AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00951 1639

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

02-B 4883

B
741
S7x
1929

مباحث فلسفية دينية

لبعض القدماء من علماء النصرانية

انتخبها

القس بولس سباط

من خزانة كتبه الخطية

وصحّحها وعلّق عليها

School of Oriental Studies
of
The American University at Cairo

سنة ١٩٢٩

مكتبة ه . فريدريخ

صندوق البريد ١٩٠٥ القاهرة — مصر

المطبعة السورية

بشارع دمنهور رقم ١٦ بمصر الجديدة

2 8/1.5
Sh/15
S/OS

٥ر٨١ ٥
س ب ٠ م

حقوق الطبع والترجمة محفوظة

9237

توطئة

لما رأيت تطرق الكفر وفساد العقيدة الى هذه البلاد ، وكان المتقدمون من علمائنا الافاضل لم يألوا جهداً في مقاومة الاضاليل ،وكانت مقالاتهم التي ردّوا بها على الكفرة والملحدين كثيرة ، وقد وقع اليّ منها عدد وافر ما فتىء الى اليوم مطوياً ، آليت على نفسي أن انشرها ، مصلحاً فيها ما افسده النساخ ، ومعلقاً عليها بعض حواش وتنبيهات ، وذلك تعميماً للفائدة ، واحتفاظاً بهذه الآثار الجليلة من تراث السلف الصالح رحمهم الله تعالى

وهي عشرون مقالة ، جمعتها من مخطوطات عديدة في خزانة كتبي ورتبتها كما يلي :

الاولى . في التثليث ، لابي علي عيسى بن اسحق بن زرعة المنطقي من كبار علماء الملة اليعقوبية المتوفى سنة ١٠٠٧

الثانية . له ايضاً ، في المواضع التي فيها الاختلاف بين اليهود والنصارى ، وهي : نسخُ الشريعة التي أتى بها موسى ، ومجيء السيد المسيح ، والتثليث ، والاتحاد الذي يقول به النصارى في المسيح ، والقيامة العامة

الثالثة . له ايضاً ، في المواضع التي فيها الخلاف بين المسلمين والنصارى ، وهي : التثليث ، والتشبيه ، ونبوءة محمد

الرابعة . له ايضاً ، في امر العقل ، وتمثيل الآب والابن والروح القدس بالعقل والعاقل والمعقول

الخامسة . في حدوث العالم ، ووحدانية الخالق ، وتثليث اقانيمه ، لايليا مطران نصيبين النسطوري المتوفى سنة ١٠٤٩

السادسة . في وحدانية البارىء تعالى ، وتثليث اقانيمه ، لسمعان ابن كليل القبطي من كتبة القرن الثاني عشر

السابعة . في التثليث ، والاتحاد ، لابن العسال من جهابذة الاقباط في القرن الثالث عشر

الثامنة . له ايضاً ، في شرح اعمال السيد المسيح ، وتقسيمها

التاسعة . في الرد على قضايا شتى يجحدها الناس ويكثرون من البحث عنها ، لعبد الله بن الفضل الانطاكي الملكي المتوفى سنة ١٠٥٢

العاشرة . في وجود الخالق ، وكمالاته ، لدانيال بن الخطاب اليعقوبي من اهل القرن الرابع عشر

الحادية عشرة والثانية عشرة . في البراهين والادلة على صحة الانجيل ، لايشوعياب بن ملكون مطران نصيبين النسطوري الدُنيسري المتوفى سنة ١٢٥٦

الثالثة عشرة . له ايضاً ، في رد من يتهم النصارى بعبادة الاصنام من حيث انهم يسجدون للصليب ويكرمون الصور

الرابعة عشرة . في القيامة العامة ، له ايضاً

الخامسة عشرة . في اثبات صدق الانجيل ، لابي زكريا يحيى بن عدي الفيلسوف اليعقوبي المتوفى سنة ٩٧٤

السادسة عشرة . في اختلاف لفظ الاناجيل ومعانيها ، له ايضاً

السابعة عشرة . في قولنا : تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، له ايضاً

الثامنة عشرة . في رد المسلمين وادحاض ما يفتئتون على النصارى من الاعتقاد بثلاثة آلهة ، لابي الخير بن الطيب المتطبب من كتبة اليعاقبة في القرن الحادي عشر

التاسعة عشرة . في العلم والمعجز ، للفيلسوف الفاضل ابي الفرج عبد الله بن الطيب النسطوري المتوفى سنة ١٠٤٣

العشرون . في كيفية ادراك حقيقة الديانة ، للفيلسوف حنين بن اسحق الطبيب النسطوري المتوفى سنة ٨٧٣ ، وشرحها ، ليوحنا بن مينا من كتبة الاقباط في القرن الثاني عشر

ومن بعض هذه المقالات نسخ مختلفة في خزانة كتبي خُطّت بين القرنين الحادي عشر والثامن عشر ، والله وليُّ التوفيق

القس بولس سباط

مصر القاهرة في ٥ آذار (مارس) سنة ١٩٢٩

School of Oriental Studies
of
The American University at Cairo

١

[١] بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

رسالة (١) صنفها الشيخ ابو علي عيسى بن اسحق بن زرعة (٢) رحمه الله في معان سأله عنها بعض اخوانه انشأها في ذي الحجة من سنة ثلاثمائة وثمان (٣) وسبعين (٤)

الذي اعتقده من مودتك وأوثره من المسارعة الى طاعتك ايها العزيز عليّ الحبيب اليّ [٥] ، اطال الله في اتمّ سعادة بقاءك ، يقتضيني البدار الى امرك والتجرد لما تختاره ، اعان الله على قضاء حقوقك وأداء فروضك بفضله وجوده ، وكنا تجارينا منذ ايام في [٦] ذكر التثليث الذي يقول به النصارى وما دعاهم الى القول به والعلةِ التي لا يكونون [٧]

---

١) في خزانة كتبي ثلاث نسخ من هذه المقالة ومن المقالات الثلاث التي تليها الاولى رقم ١٠٣٩ خطت في القرن الثالث عشر والثانية رقم ١٠٤٠ كتبت سنة ١٥٠٤ للشهداء اي ١٧٨٧ للمسيح والثالثة رقم ١٥٢٠ نسخت سنة ٦٥٥٩ لادم اعني ١٠٥١ للمسيح وقد اعتمدت على هذه النسخة في نشر المقالات الموما اليها

٢) اطاب ترجمته في فهرست ابن النديم ص ٢٦٤ éd . Flugel Leipzig 1871 وفي كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء لابن القفطي ص ١٦٣ و ١٦٤ مطبعة السعادة مصر وفي كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة جزء ١ ص ٢٣٥ و٢٣٦ المطبعة الوهبية سنة ١٨٨٢ وفي مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٣١٥ مطبعة اليسوعيين بيروت سنة ١٨٩٠

٣) في الاصل : وثمانية

٤) اي : ٩٨٨ مسيحية

٥) راجعنا كتب التراجم بتدقيق حتى نعرف من اليه وجه ابن زرعة هذه الرسالة فلم نتمكن من ذلك

٦) سقط في الاصل : في . وقد تكرر هذا الخطأ كما سترى

٧) في الاصل : لا يكونوا

على وتيرة التوحيد مع قولهم به من غير تعرّض لذكر التثليث والاستشعار [١] في فعلهم هذا أنه [٢] من الفضل المستغنى عنه والزيادة التي لا يُحتاج اليها ، وتجارينا مع ذلك أن الصفات التي يصف بها الاسلاميون ، ايدهم الله ، البارىء تعالى داخلة تحت ثلاث صفات منها لا اقلّ ولا اكثر ، وتفاوضنا مع ذلك في [٣] مسئلتين كنتُ أثرتهما على القائلين عند نفوسهم بالتوحيد توجبان [٤] عليهم امرين : احدهما القول بأنه واحد من جهة كثير من جهة اخرى ، والآخر أن يكون واحداً وكثيراً من جهة واحدة وهذا ما لا يُعقل . فقد عزمت على أن اسطر ما جرى في ذلك في هذه الرسالة لتنعم [٥] النظر فيه وتكرّره وتفكر فيه وتتبحّر [٦] ، فان تعلقت [٢] نفسك ، احياها الله اطول المدى ، بموضع فيه نقصٌ في البيان او تقصير في البرهان طالبتَ به لاذكر ما فيه حتى لا يبقى على فكرك من هذه الابواب شيء البتة ، وبالله الذي يُعين على قصد الخيرات استعين وهو حسبي

وهذا حين ابتدىء بالمعنى الاول من المعاني الثلاثة التي اريد الكلام فيها فاقول : ان كل امرٍ بسيطٍ فاعلٍ بعيدٍ من أن يُدرك

---

١) يريد : الشعور
٢) سقط في الاصل : انه
٣) سقط في الاصل : في
٤) في الاصل : يوجب
٥) في الاصل : لتمعن
٦) في الاصل : وتتبحره

بالحواس [١] فانما يكون العلم به على احد وجهين : احدهما بالتطرّق الى ذلك بافعاله والمناسبة بينه وبين مفعولاته ، والوجه الثاني النظر في ما يوجد بينه وبين ذاته من المناسبات ان كانت بينه وبين ذاته مناسبة ، ولما كان البارىء جل وتعالى من الامور البسيطة الفاعلة بعيداً [٢] عن الحواس لايمكن أن يُدرَك بشيء منها وجب [٣] ضرورةً أن يكون العلم به انما يقع على احد هذين الوجهين او عليهما لاغير . فأما الوجه الاول الذي انما يُعلم به وجوده وهو الاستدلال على وجود ذاته من وجود مفعولاته فقد [٤] أتى به في اول الخليقة موسى النبي عليه السلام بما بيّنه من اختراعه العالم فان المخترَع يقتضي مخترِعاً والمفعول يقتضي فاعلاً لامحالة فعلم [٥] بذلك مع وجود البارىء جل اسمه أنه خالق من مخلوقاته وأنه حكيم من اتقان صنعته وعلم أنه قادر من اخراجه الموجودات من العدم الى الوجود ، وقد استدل على وجود البارىء جل اسمه الفلاسفة المتقدمون من هذه الطريق بعينها ولذلك قالوا فيه انه المحرك الاول لانهم لحظوا أن الحركة لا تكون [٣] الا عن محرّك فاوجبوا لوجودها وجوده

واذ قد وُقف على هذا النحو من النحوين اللذين تُعلم بهما الامور

---

١) في الاصل : الحواس
٢) في الاصل : بعيد .
٣) في الاصل : فوجب
٤) في الاصل : قد
٥) في الاصل : فيعلم

الفاعلة البسيطة فقد بقي لأن يكون النظر [١] في هذا المعنى والامر الذي هواشرف الموجودات كاملاً أن يُنظر فيه على الجهة الاخرى وهو أن ننظر هل بينه وبين ذاته مناسبة توجب النظر فيه ؟ فوجدنا الامر قد تقرر مع تقريره على أنه موجود أنه حكيم فعلمنا أنه يستحق اسم العقل لعلمه بسائر الموجودات وعقله لها ، ولأن ذاته من الذوات الموجودة ما [٢] تكون معقولة فصار عقلاً قد عقل ذاته وصار معقولاً لذاته [٣] ، فلزم لذلك أن توجد لذاته ثلاثة احوال : احدها أن يكون عقلاً ، ومن اجل عقله ذاتَه أن يكون معقولاً ، وأن يكون مع ذلك عاقلاً ذاته . وليس يجب أن توجد له من هذه الجهة مناسبة غير هذه الثلاثة [٤] ولا رابع لها ولا يمكن أن [٥] يكون اقل من ثلاثة للزوم وجود بعضها وجودَ بعض : فسمي البارئ العقلُ من هذه الثلاثة اباً ، وسموا تلك الذات اذ كانت عاقلة ذاتها ابناً لتولدِ هـذا المعنى عن ذات الآب الذي خصوه باسم العقل ، وجعلوا المعقول من هذه الثلاثة المعاني هو الروح على جهة التمثيل من قِبل أن الروح كأنها امر خارج عن ذي الروح وهوابعد منه كما ان المعقول ابعد عن معنى العقل من معنى العاقل [٦] فان ذات المعقول قد تكون في بعض

---

١) في الاصل : الناظر
٢) يريد بما : التي
٣) في الاصل : ذاته
٤) اي : الثلاثة الاحوال
٥) سقط في الاصل : ان
٦) في الاصل : العقل

الاشياء من خارج وتكون مباينة للعقل فأما في هذا المعنى فانه غير مباين وانما قيل ذلك فيه على جهة التشبيه والمناسبة ، فأما العاقل فانه انما يكون عاقلاً بالعقل فهولذلك شديد الملابسة والمشابهة والمشاركة في معنى العقل [١] ، فجعلت المناسبة القريبة بينهما اعني بين العقل والعاقل هي نسبة الابوة والبنوة ، وجُعلت نسبة المعقول نسبة الشيء المفارق وهو الروح [٤]

وللسائل أن يسأل في هذا الموضع ويقول : ولمَ عدلوا عن اسم العقل والعاقل والمعقول الى اسم الآب والابن والروح ؟ فنقول في جواب ذلك : انهم انما فعلوا هذا ليرمزوا به الى [٢] تلك المعاني حتى لا تُذال ويقف عليها الجهال ومن ينبغي أن تصان العلوم الشريفة الالهية عنه وأن يكون وقوفه عليها من جهة التمثيل المرموز اليه [٣] لا من قبل المعنى الحقيقي ، فان المفاوضة في الامور الالهية وكشفها لكل احد منهي عنه : أما اولاً فان سيدنا المسيح انما نهى بقوله : « لا تطرحوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تتوطأها بأظلافها وتعود فتعقركم » [٤] عن هذا المعنى ، وكذلك الطاهر القديس ثاولوغس [٥] وضع مقالة مفردة في أنه ليس في كل زمان ولا لكل [٦] احد ينبغي أن تفاوض في الامور الالهية ،

---

١) في الاصل : العاقل

٢) في الاصل : على . وقد تكرر هذا الخطأ في رسائله كما سترى

٣) سقط في الاصل : اليه

٤) انجيل متى ٧ : ٦

٥) يريد : القديس غريغوريوس النزينزي

٦) في الاصل : ولا مع كل احد . فلا يقال « فاوض معه » بل « فاوضه » فوضعنا « لام » التقوية بدلا من « مع »

فلهذه العلة رمزوا الى [١] قولهم وعدلوا عن التصريح به الى الكناية عنه . ولعلة اخرى قد ذكرها الطاهر الفاضل ديونوسيس وهي ان الامور الالهية اذا عبر عنها بالعبارات القريبة منها دعا ذلك الناظرين الباحثين عن الحق الى البحث عنها وعن اسبابها والمطالبة بالوجه الذي به تصح العبارة عنها بتلك الاستعارات فيصير لذلك [٢] علم الباحثين عنها يقيناً و يبقى لا ريب فيه لشدة بحثهم وتفتيشهم ، وقد يجوز أن يكون ذلك لان سيدنا المسيح شرط في الانجيل أن كلامه يكون على جهة الامثال والرموز [٣] ، فلهذه الوجوه المذكورة عدلوا عن التصريح بتلك المعاني التي ذكرت الى هذه . فقد اتيتُ في هذا القول على السبب الذي دعا النصارى الى الكلام في التثليث وقلت انه كمال النظر في الامر الالهي بالواحد [٤] وهو الذي اتى به سيدنا المسيح الذي افادنا العلم بذلك ونهج لنا طريقاً الى بلوغ الغايات من جميع الفضائل النفسانية والبدنية ، و بينت أن هذه الصفات ثلاث لا اقل ولا اكثر ، وذكرت العلة التي من اجلها عدلوا عن تسميتها عقلاً وعاقلاً ومعقولاً الى أن سموها اباً وابناً وروحاً و بينت ما بين هذه وتلك [٥] التي [٥] استعيرت هذه الاسماء عوضاً عنها [٦] من المشابهة ولله واهب العقل

---

١) سقط في الاصل : الى

٢) في الاصل : ذلك

٣) انجيل متى ١٣ : ٣٤ و ٣٥

٤) في الاصل : بالواحدة

٥) في الاصل : مابين هذه وبين تلك

٦) سقط في الاصل : عنها

المجد كما هو اهله وتم بذلك البحث عن المعنى الاول من المعاني الثلاثة التي عرض الكلام فيها [١]

فأما الصفات التي شُخّص فيها صفات البارىء وأنها ثلاث لا اقل ولا اكثر فانني اذكر ذلك وابينه بالاستقراء فاقول : ان هذه الثلاثة المعاني وهي [٢] انه جواد حكيم قادر وان كل واحدة من الثلاث الصفات [٣] متى استقريتَ الصفات اللاحقة بالبارىء تعالى باسرها لم يخرج شيء منها عن أن يكون داخلاً [٤] تحت واحدة من هذه الصفات ، فابدأ بالصفتين التابعتين بسم الله وهما قولنا الرحمن الرحيم فان هاتين الصفتين داخلتان تحت الجود بوجه من الوجوه وتحت القدرة بجهة اخرى ، وكذلك رؤوف ، فأما خالق وبارىء وحيّ فداخلة تحت قادر فان كل واحدة من هذه الصفات وما جانسها يُحتاج فيها الى القدرة ويتم معناها بها وتكمل ولا توجد البتة الا [٥] بوجودها ومعها ، فأما عالم فداخل تحت حكيم لان الحكمة انما هي امر وكيد في العلم ، وكذلك ايضاً الحنان والمنان هما [٦] من الصفات الداخلة تحت جواد ، ولك أن تقف على واحدة واحدة من الصفات وأنها [٧] داخلة تحت واحدة واحدة من هذه الثلاث الصفات من الاستقراء والتأمل

---

١) انظر عدد ١ و ٢ من المحاضرة الثانية من كتابنا « المشرع »
٢) في الاصل : هي
٣) في الاصل : الثلاث صفات . وقد تكرر
٤) في الاصل : داخلة
٥) سقط في الاصل : الا
٦) في الاصل : هي
٧) سقط في الاصل : وانها

لسائرها فانك تعلم من ذلك ما قلناه . وقد تعلم ذلك من جهة اخرى وهي الجهة التي بها وقفنا على وجوده تعالى وهي وجود مفعولاته : فانا اذا اخذنا الاستدلال على وجوده من هذه الجهة وصفناه بالجود لاخراجه الامور من العدم الى الوجود ، ونصفه بالحكمة لاحكامه مصنوعاته واتقانها ، ونصفه بالقدرة للجمع بين الاضداد في تكوينها . فقد بان بما [١] قلناه من هذه المعاني أن هذه الثلاث الصفات حاوية مشتملة على سائر ما يوصف به البارىء تعالى مما هو سوى اوصاف النصارى فانها خارجة عن هذه اعني ما يقولونه من التثليث و بهذا القول يختم الباب الثاني [٦]

فأما الباب الثالث وهو ذكر المسئلتين اللتين يلزم بهما القائلين بالتوحيد عند نفوسهم ما يتبين [٢] لزومه لهم فاني اقصهما فاقول : ان القائلين بالتوحيد يصفون البارىء تعالى بصفات كثيرة و يقسمون تلك الصفات الكثيرة قسمين : احد القسمين الصفات التي يسمونها صفات الذات ، والقسم الآخر هو [٣] الصفات التي يسمونها صفات الفعل ، و يجعلون قولنا حي وقولنا حكيم وقادر وجواد من صفات الذات الى غير ذلك مما استغني عن ذكره اذ كان في ذكر [٤] هذه كفاية في ما اريد بيانه . فنسألهم بعد تقريرهم بذلك ونقول : هل نصدق عند وصفنا البارىء تعالى بهذه الصفات ام لا ؟ فان قالوا : لا ، ارتكبوا شناعة عظيمة وهي انهم يصفون

١) في الاصل : ما
٢) في الاصل : ما بين
٣) في الاصل : هي
٤) في الاصل : ذكره

البارى،عز ذكره بغير الحق ويتقربون اليه ويمجدونه بالكذب تعالى الله عن ذلك ، وان قالوا : اننا نصدق ، عطفنا وسألناهم : هل معنى الصدق عندكم غير مطابقة القول ما [١] الامر عليه ؟ فان هذا ايضاً هو حد الصدق وما اظن أن انساناً يخالف فيه ، فاذا قالوا : نعم، قلنا : فهل ينفك الصادق في قوله من احدى حالين : احدهما [٢] أن يكون القول الصادق اسماً او حداً لذلك الموصوف او جزءاً من الحد مثاما نقول في زيد مثلاً انه زيد وانه الحي الناطق المائت مثلاً وهو حده [٣] او نقول فيه انه احد هذه الثلاثة الاجزاء التي عنها تركب الحد على انفراده ، او يكون ذلك القول دالاً على معنى موجود للموصوف مثاما نقول في الاسفيداج انه ابيض لوجود البياض فيه وفي الكاتب انه كاتب لوجود الكتابة له ، وما احسب أن الصدق يقع في الاقاويل ، وهو ما حكيناه من أنه مطابقة ما الامر عليه ، على [٤] غير هذين الوجهين اذ كانت كل صفة لا تخلو من أن تكون اما مأخوذة من ذات الامر او من اعراضه . ثم نسألهم بعد ذلك فنقول : هل ما نستفيد من قولنا حي هو الذي نستفيده من قولنا حكيم وهو الذي [٧] نستفيده من قولنا قادر وجواد ؟ او المستفاد [٥] من كل واحد منها غير الذي يستفاد من الآخر ؟ ومن قولهم : ان المستفاد من كل واحد منها

---

١) سقط في الاصل : ما

٢) بناء على ان لفظة حال مذكرة ومؤنثة قال المؤلف « احدى حالين احدهما »

٣) في الاصل : حد

٤) سقط في الاصل : على

٥) في الاصل : والمستفاد

غيرالذي يستفاد من الآخر ، والاّ خرجوا عن التعارف وعما تستعمله اللغة

فاذا قررنا معهم هذه الاحوال كلها قلنا لهم : على أي وجه تقولون في البارىء جل اسمه ان هذه الصفات صادقة فيه هل ذلك على أنها ذاته ؟ فان قلتم ذلك ، فذاته عندكم واحدة والصفات كثيرة مختلفة ، لزمكم أن تكون ذاته مختلفة وغير مختلفة [١] : أما غير مختلفة فلانها واحدة ، وأما مختلفة فلصدق الاقاويل الدالة على معان مختلفة عليها وكل واحدة [٢] من تلك الصفات ذاته وهذا محال ظاهر لكل ذي نظر ضعيف . وان قالوا : انها ليست مما تدل على ذاته بل مما تدل على احوال له ، كان اللازم لهم بأن تكون ذاته من قِبلها نفسها واحدة واذا نُظر اليها بحسب الاحوال المختلفة الموجودة لها كثيرة ، فتصير واحدة من جهة واكثر من واحدة من جهة وهذا ليس من قولهم . فان قالوا به فهو [٣] قول النصارى ولا معنى للتعجب من تثليثهم وتكذيب اقاويلهم ، فان النصارى ليس يقولون اكثر من أنه واحد من قبل الذات كثير من قبل الصفات ، وهذا الوجه يخرجهم عن التعارف من اقاويلهم او يبطل عليهم التشنيع على القائلين بمثل ما يقولونه فان من العجب العجيب تشنيع الانسان على قوم بما [٤] يقول مثله

ولنا ايضاً أن نسألهم مسئلة من جهة معلقون بها كثيراً في مناظراتهم وهي اللغة فنقول : خبرونا هل الاسماء المشتقة مأخوذة من معان موجودة

---

١) سقط في الاصل : وغير مختلفة
٢) في الاصل : واحد
٣) سقط في الاصل : فهو
٤) في الاصل : ما

للمسميات بالاسماء المشتقة ؟ فمن قولهم : نعم ، فانني استفتيت جماعة من اللغويين بالحضرة فاجابوا الى ذلك ، فنقول لهم : ان كل هذه الصفات التي عددناها من صفات الذات هي اسماء مشتقة فان حياً مشتق من الحياة وقادراً [١] مشتق من القدرة وجواداً [٢] من الجود وحكيماً من الحكمة ، واذا كانت هذه الاسماء مشتقة فقد [٣] وجب لها ما وجب في حكم اللغة للاسماء المشتقة فيلزم أن يكون انما نصدّق في المسميات بها متى وُجدت معانيَ منها اشتُق لها الاسماء ، واذا كان الامر كذلك [٨] فان اللازم لهم أن يكون لهذا الموصوف مع وجود ذاته وجود معان [٤] اكثر من واحد فيها وهذا هو قولنا . على أني قد رأيت من يقول : ان هذا القول في الاسماء المشتقة في اللغة معروف مشهور الا في صفات البارىء تعالى فان الامر ليس كذلك وليس الاسماء المشتقة له لمعان موجودة في المسمى فيثبتون موضع الخلاف وينفون التعارف المقرر في اللغة بدعوى ، وهذا ما لا يجوز في النظر فان بعض المتقدمين شرط على مكلمه أن قال له : لا تجعل الدعوى دليلك . وفي هذين البيانين كفاية في الدلالة على أن الامر في التوحيد عند غيرنا غير مقرر ولا هو مما قد بلغ منه الى غاية يثلج باليقين منها [٥] صدر الناظر فيها وأنهم متى لم يعاندوا الحق انقادوا الى مثل

---

١) في الاصل : وقادر
٢) في الاصل : وجودا
٣) في الاصل : قد
٤) في الاصل : معاني
٥) سقط في الاصل : منها

ما يقوله اصحابنا في البارىء تعالى من أنه واحد من قِبل الذات متكثر من قبل الصفات

واذ قد أتينا على الابواب الثلاثة التي كنت وعدتك باثباتها فقد رأيت أن اضيف الى هذه الثلاثة المعاني معنى رابعاً غيرَ ما كنا تجارينا فيه [١] وجرت المفاوضة بيننا فيه وهو من الاسرار التي لا يجب أن تكشف الا لذوي الالباب الناظرين في الامور الالهية ويصانُ عن كل احد الا عن مستحقيه الذين [٢] انت احدهم : وهو ان هذه الصفات منا ومن غيرنا للبارىء جل اسمه ليست دالة على ذاته بل انما تدل على المناسبات الموجودة له اما بينه وبين مفعولاته او بينه وبين ذاته . فأما ذاته فلا تُعرّف بشيء البتة ولا تعلم ماهيتها البتة ولا يعلم من امرها اكثر من أنها موجودة فقط وما يلزمها من حيث هي موجودة ولا اسم لها كما قال الطاهر الثاولوغس في المقالة الثانية من مقالتيه في الابن : ان الله لا اسم له ، وانما قال ذلك لان الاسم عند القدماء هو الذي يدل [٣] بالاجمال على ما يدل عليه الحد بالتفصيل ، فلو كان له اسم لوجد له حد ولأن الحد انما يكون عن الجنس والفصول وكان الله تعالى ذكره لا جنس له ولا فصول : وذلك لأنه لو كان مما [٤] له جنس لكان الجنس اقدم منه بالطبع ولكان علةً له

---

١) في الاصل : تجاريناه
٢) في الاصل : الذي
٣) في الاصل : يدرك
٤) في الاصل : ما

فكان حينئذ [٩] لا يصدق وصفه أنه اقدم الامور ولا أنه علة لسائر الاشياء ، وكذلك يجري الامر في الفصول ، فلذلك لم يكن له حد واذا لم يكن له حد لم يكن له اسم اذ كان الاسم ، كما قلنا ، انما يدل على جهة الاجمال على ما يدل عليه الحد على جهة التفصيل . فليس ينبغي أن [١] يُظن أن الذات الشريفة تعالى ذكرها قد تدل على جوهرها بشيء من هذه الاوصاف البتة ، وانما تدل على مناسباتها التي بينها و بين مفعولاتها و بينها و بين ذاتها فقط ، فأما الذات على بساطتها ومن غير أن يناسب بينها و بين غيرها فلا [٢] يجوز أن يدرك من امرها شيء اكثر من أنها موجودة فقط ولا تعلم البتة ، فان العلم انما يقع بالامور المحدودة والمحدود متناه ولأن هذه الذات تعالى ذكرها غير محدودة ولا متناهية ما يمتنع على احد من خلق الله الوقوف على شيء من امرها غير انها موجودة . ونتبع نظرنا في هذا المعنى أن نقول فيها انها اذا عبر عنها بشيء من هذه الصفات فانها انما تُعرف بتلك العبارة لا من حيث هي في غاية البساطة بل بتركيب ما ومن قِبل النظر في الذات اما بحسب فعلها [٣] او بحسب مناسباتها بذاتها ، واذا نُظر فيها من هذه الجهة فليس يكون النظر فيها من حيث هي بسيطة في الغاية بل من حيث قد اضيف الى تلك الذات البسيطة معنى آخر وهو المناسبة

---

١) سقط في الاصل : ان
٢) سقط في الاصل : فلا
٣) في الاصل : فعله

فقد أتيت على قدر قوتي الواهية بما حضر في المعاني الثلاثة التي تجارينا فيها [١] وزدت على ذلك الكلامَ في ما ظننته متصلاً بهذه المعاني محبة الانقياد لما تأمر به ، والله [٢] تعالى يوفق للصواب و يرشد اليه و يحمي من الباطل و يعين على الوصول الى الغاية القصوى في العلم والعمل وارجو أن اكون قد أتيت على ما يقنع به الناظر في هذه الرسالة والسلام

٢

[١٧] وله (٣) مقالة عملها لبعض اليهود في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة (٤) وهو بشر ابن فنحاس بن شعيب الحاسب

لما وجدت في بعض كتب الحكماء أن : من قعد عن فعل الخير اذا كان به عالماً فانه يكون لذلك لا محالة آثماً ، وهذا القول يوضح لنا و يدلنا على أن الذي يلزمنا فعله من الخيرات ليس مقصوراً على ما ندبتنا اليه السنَّة و بعثتنا عليه الشريعة فقط ، بل على [٥] ما يُظهر الاجتهاد لنا ما [٦] فيه من الخير وذلك لاستظهار من الحكيم القائل لما حكيناه على نفسه بما عساه قد شذ عن فكره الاذكار به والحض عليه كيلا [٧] يتأوّل طالبو الرخصة بأن هذا ليس مما نُدبنا له ولا مما حضضنا عليه ، ومن البين الظاهر أنه لا شيء

١) في الاصل : تجاريناها
٢) في الاصل : الله
٣) اي : لابن زرعة المصنف المذكور
٤) اي : ٩٩٧ مسيحية
٥) في الاصل : بل وعلى
٦) سقط في الاصل : ما
٧) في الاصل : كي

أوضح ولا أبين وجوباً في الخيرات من الحث على اعتقاد الحق والقول به والفعل الواجب والعمل به ، والحق وان كان في نفسه واحداً وهو مطابقة ما الامر عليه قولاً كان او اعتقاداً [١] فان بعضه اشرف من بعض من قبل شرف الموضوع الذي القول فيه والاعتقاد له ، ولأن اشرف الموضوعات للبحث هو البارىء عز ذكره ما يكون القول فيه اذا كان قولاً او اعتقاداً اشرف واعظم من كل حق يساويه في معنى أنه مطابقة القول والاعتقاد ما الامر عليه في ما قد ذكرته من هذه الاشياء ، وجب [٢] عليّ أن اعدّد المواضع التي بيننا وبين اليهود ، احسن الله ارشادهم ، فيها الخلاف مع اتفاقنا في ما توجبه التوراة وكتب الانبياء ، ثم اتعرض لبيان صحة ما تدعيه وتقول به في واحد واحد منها ، ليتضح بذلك لمن نظر في هذه الرسالة ممن [٣] لم يغلب على عقله هواه وجوبُ الانقياد لما دعوت اليه ان [٤] كان صحيحاً ، أو أن يبين لي موضع الغلط في قولي والمغالطة ليكون قد قابل جميل فعلي بمثله في قصد المناصحة والتنبيه على مدخل الشبهة ، فان الرجوع عن الاراء الفاسدة [١٨] ، كما قال بعض القدماء ، ليس يجري في القباحة مجرى قتل الآباء بل منزلته منزلة الخلاص [٥] من الاعداء ولعمري انه لاشيء اشد عداوة ومباينة للعدل من الاعتقاد في الشيء

---

١) في الاصل : اعتقادنا
٢) هو جواب « لما » التي في صدر المقالة
٣) في الاصل : من
٤) في الاصل : وان
٥) في الاصل : الاخلاص

خلاف ما يجب أن يُعتقد فيه ، وهذا حين ابتدىء بتعديد مواضع الخلاف والله اسأل حسن التوفيق والتسديد

وأول ذلك الكلامُ في جواز نسخ الشريعة التي أتى بها موسى عليه السلام وذكر وجوب ذلك ضرورةً والتبيين أن [١] ذلك ليس واجباً في كل شريعة دائماً بلا نهاية وأن النسخ انما يجب الى حدّ ما ثم لا [٢] يجوز النسخ بعد ذلك

والثاني ايضاح مجيء المسيح المنتظر الذي اليه اشارت الكتب واليه [٣] رمزت وبمجيئه وعدت

والمعنى الثالث هو ما تراه النصارى من القول بالتثليث الحافظ مع القول به القولَ بالتوحيد وتبيين الوجه الصحيح الذي عليه يكون القول بالتوحيد قولاً صادقاً وأن كل ما عداه فليس بخالص الصحة [٤]

والرابع الكلام في الاتحاد الذي يقول به النصارى في المسيح وهو أن ذاته ذات وسيطة بين ذاتي الاله والانسان والوجهِ الذي يصح عليه ذلك ويجب بحسب اصولهم

فهذه الاربعة المعاني التي عددتها هي عُمد كل خلاف بيننا وبين اليهود ، فمن علم صحة ما ذكرته في هذه الرسالة منهم فقد [٥] وجب عليه

---

١) في الاصل : بان
٢) سقط في الاصل : لا
٣) في الاصل : وعليه
٤) راجع رسالته السابقة
٥) في الاصل : قد

الرجوع عما سواه اليه ، ومن اتضح عنده بطلانه فقد لزمه اظهار ذلك على الوجه الذي به اظهرت له ما اردت بيانه في هذه الرسالة ، ومن عرف صحة ذلك فظاهر [1] بخلافه محبةً للمغالبة فقد كذّب نفسه وغبن عقله واستعمل الشر في نفسه لاضلاله اياها واضلال غيره من الناظرين في قوله المقلدين له بما لا يعتقده لنفسه من فضل القوة ، ومنزلته في ذلك منزلة من منحه سلطانه بسطة وقوة ليحمي بها ويصون السابلة فأخاف السابلة بتلك [2] القوة فهو لذلك حقيق بأن يسلب تلك البسطة وينتزع منه [3] تلك القوة [١٩] لكفره نعمةَ المنعم بها عليه واستعماله لها في غير الوجه الذي مُنحها من اجله . وانا مقدم لكل واحد من الاربعة المعاني اصولاً يجب الاقرار بها تعين على بيان ما قصدت بيانه :

وابتدىء بالباب الاول منها وهو وجوب نسخ شريعة موسى عليه السلام على الوجه الذي ذكر فاقول : ان السنن ثلاث طبيعية وعقلية ووضعية : فالطبيعية هي التي تدعونا الى حيازة كل ما نقدر على حيازته من النافع واللذيذ وتذليل كل ما نقوى عليه من المناسب القريب والمباين البعيد فان هذا اوفق للطباع والأم لها [4] واشد مطابقة ومحافظة عليها ،

---

١) يريد : تظاهر . وكأن معنى « تظاهر » كان في عهد المؤلف يستعمل له « ظاهر » ايضا ولذلك فلا غلط في قول العامة اليوم « مظاهرات » وان لم تأت بها معاجم اللغة . وكلام ابن زرعة هو حجة

٢) سقط في الاصل: بتلك

٣) سقط في الاصل : منه

٤) في الاصل : والامر عليها

وهذه السنة اقدم في الانسان من جميع السنن لانها له مع ابتداء حركته الطبيعية من كان صحيحاً سليماً من الامراض قوي الحس والبنية . فأما السنة الثانية وهي العقلية فهي التي تبعثنا على اقتناء ما يكفينا ونستظهر به [١] لما عساه أن يطرأ علينا والقوة على أن نستعين به في مصالحنا وتقوم بمصلحته حتى ان العقل قد جعل الافراط في التماس ذلك والخروج عن الاعتدال مرضاً نفسانياً فاقتصر العقل بالانسان مما اوجبته الطبيعة له على ما تدعو الحاجة اليه وما يستظهر للشدة به دون ما سوى ذلك . فأما السنة الوضعية التي سبيلها التوقيف [٢] من البارىء جل اسمه فهي التي قد نهجت لنا سبيل تحصيل تلك الامور اللذيذة والنافعة وخصّصتها ولم تجعلها بأي طريق اتفقت ولا كيف وُجدت بل جعلت من اللذات والمنافع محظوراً وحيازته [٣] قبيحة توجب على من تحقق بذلك أن تمسّ منه العقوبةُ بعدل الوضع للرأفة من البارىء سبحانه بين القوي والضعيف والبليد والحصيف وجَعل سبيل كل واحد من الناس الى اللذيذ والنافع مخصوصة [٤] وكأن الطبيعة أباحت اللذيذ والنافع على الاطلاق ، والعقل اقتصر من ذلك على مقدار الحاجة للاستعمال والاستظهار بما فوق الحاجة لما عساه يطرأ ، وشريعة التوقيف جعلت ذلك بطريق مخصوصة وسبيل محدودة [٥] للتسوية بين

---

١) في الاصل : بها

٢) التوقيف في الشرع كالنص يقال مثلا اسماء الله تعالى توقيفية

٣) في الاصل : وحيازتها

(٤ و ٥) كان ينبغي له ان يقول « سبيل مخصوص محدود » ولكنه حملها على « طريق » فهي مذكرة ومؤنثة

كافة الناس في الوصول اليها فهذا من الاصول التي التمس تسليمه وهو عندي وبحسب ظني من الوضوح بحيث لا يسوغ جحده ولا الاعتراض عليه

والاصل الثاني ان التوقيف تعليم ما ، ومن شأن المعلم لشيء من الاشياء أن يبدأ التعليم [١] بأيسر ما في ذلك للمتعلم ثم يرتقي به الى اقصى ما في ذلك العلم ، وبالواجب فعل ذلك لان ايراده السهل [٢٠] في أول الامر يدعوه الى الانقياد لما يدعوه اليه ويعامه ويرسم في نفسه معنى التعليم والتوقيف فيسهل عليه بذلك الترقي الى الغاية

والاصل الثالث ان الحس وما ينال به ويوقف عليه من قِبله أسرعُ وصولاً الى النفس وأيسر من الذي ينال بالعقل وبالاستدلال ، ولذلك [٢] يكون مقدَّماً هو والشيء المدرك به عند عدد اكثر من عدد القابلين للامور التي يظهر قبولها بالاستدلال والعقل لقرب تناول تلك وصعوبة الوصول الى هذه

والاصل الرابع ان كل ما ابتُدىء به فله انتهاء وغاية ، ولولا تلك الغاية [٣] لكان المبتدىء بما ابتدأ به في غاية الجهل لان افعاله كلها من اجل تلك الغاية وانه اذا بلغ الى غايته قطع الفعل وكفّ عن العمل

فاذا كانت هذه الامور مسلمة فقد آن أن [٤] نبين وجوب نسخ شريعة

---

١) في الاصل : المتعلم
٢) في الاصل : وذلك
٣) سقط في الاصل : ولولا تلك الغاية
٤) سقط في الاصل : ان

موسى عليه السلام بما تعتقده النصارى وتذهب اليه من طريقتين احداهما قياسية عقلية والأخرى كتابية صحفية : فأما العقلية فان موسى لما كان أول من دعا وسنّ سنّة مأخوذة عن الله تعالى وكان داعياً لقوم قد غلبت عليهم سنن عبادة الاصنام وتحققوا [١] في الادراك لما يعتقدونه بعبادة اشياء محسوسة ومدركة باللمس والبصر لم [٢] يمكن موسى أن يقودهم قوداً ارادياً الى أن يجعل ما يدعوهم اليه قياسياً عقلياً ، بل نقلهم عن الملموس الى المرئي المسموع ونقلهم من سنة الطبيعة الى سنة العقل والتوقيف بأيسر الطرق وهي طريق التسوية بينهم ، وهذا انما تم له منهم بعد أن استنقذهم من ذل العبودية والرق وأنزلهم منزلة الاحرار ، وكانوا مع ذلك يلتوون عليه و ينصرفون عن قوله مع اظهاره المعجزات الباهرة وما ذلك الاّ لأنه نقلهم من سنة الطبيعة الى سنة الوضع التي هي اتم من سنة العقل من قبل أن التمدن والالتئام والتضافر يتم بها اكثر من تمامه [٣] بسنة العقل ، وتخطى بهم سنة واحدة ولم يُقرّهم فيها مدة ثم نقلهم [٤] عنها وذلك بحسب ما أوعز به اليه ولئلا يعتادوا التنقل من حال الى حال من غير استبصار بالحال التي كانوا فيها [٢١] ووجوب النقلة عنها لما في المنتقَل اليه من الفضيلة ، فلهذه العلة أقرّهم على سنة العدل على علم منه بأن سنة التفضل اكمل منها وأن

---

١) في الاصل : وتحقق
٢) في الاصل : فلم
٣) في الاصل : اتمامه
٤) في الاصل : ثم ونقلهم

الحاض عليها هو المنتظر الذي قد تقدمت المواعيد قبل موسى ومنه و بعده به ، وانما كان ذلك كذلك للزوم سنة العدل عن غير توقيف. فقد اظهرتُ بهذا القول أن موسى عليه السلام كان المبدأ بدعوة التوقيف والسنة عن الله وأن الغاية لا تكون في المبدا كما اصّلنا [١] ولأنه المبتدىء بذلك ليس ينبغي أن يلقاهم بأقصى ما ندبهم اليه ، فلهذه العلل يجب أن يكون ما ندبهم له يقتضي تماماً وغاية هي غير التي عندها وقف بهم موسى

وأيضاً فمن البين الظاهر أن العدل وان كان امراً فاضلاً فان التفضل اكمل في الفضيلة منه واتم في الخيرية لانه خُلق الهي ، وافضل احوال البشر الاقتداء ببارئهم تعالى ، فلو لم يندبنا بارئنا تعالى ذكره لهذه الطريق مع استطاعتنا لها [٢] لما كان في غاية الجود تعالى الله عن ذلك لضنّه علينا بالتنبيه على فضيلة يسوغ منا الانتهاء اليها [٣] وترك الحض لنا عليها ، ولأن هذا مما لا يسوغ وصف البارىء تعالى به ما يكون قد ندبنا لذلك وحضّنا عليه وفي الندب اليه والحض عليه نسخ سنة العدل التي أتى بها موسى عليه السلام بما هو أوفى واتم منها وهي سنة التفضل التي العدل عند اهلها من صغائر الخيرات . واذ قد بان أنه لا يجوز مع جود [٤] البارىء سبحانه أن يضنّ علينا بحضنا وندبنا الى فعل فضيلة تامة وهي مما في قدرتنا

---

١) في الاصل : اوصلنا
٢) سقط في الاصل : لها
٣) في الاصل : انتهاها
٤) في الاصل : وجود

واستطاعتنا ، وفي ندبنا لها وحضنا عليها نسخُ شريعة موسى عليه السلام ، فقد وجب أن تكون شريعة موسى منسوخة وأن يكون الناسخ لها هو الداعي الى سنة التفضل ، ولأن التفضل [١] قد يكون اكثر واقل وأزيد وانقص وقد أوجبنا الأوفى أن ينسخ الانقص ما يلزم متى كان الداعي الى سنة التفضل لم يدعُ الى ما كان من ذلك في غايته أن تكون شريعته ايضاً منسوخة والناسخ لها هو الذي يأتي بالتفضل الاكمل

ولذلك ما وجب علينا أن نبين أن ناسخ شريعة موسى أتى من سنة التفضل بما ليس في الاستطاعة البشرية زيادة عليه وانا مبين ذلك من جهة قوى النفس فاقول : ان قوى النفس لما كانت ، على ما قد تبين في الكتب في النفس ، ثلاثاً [٢] هن الشهوانية والغضبية والناطقة فمتى تبين أن [٣] ناسخ شريعة موسى وهو [٤] المسيح عندنا قد دعانا الى اقصى ما في هذه القوى الثلاث من العمل بالفضيلة التي في استطاعة البشر فقد بانَ أن لا مزيد على ما دعا اليه . فأما القوة الشهوانية فلما كانت مادتها والشيء المعين على بلوغ المراد بها وفيها [٢٢] انما هو المقتنيات ما دعانا الى اطراح المقتنيات بالواحدة متى ما اردنا أن نكون من الفضيلة في غايتها ، وظاهرٌ أن من رفض المقتنيات كلها صغيرَها وكبيرها واقتصر على طلب قوت

---

١) سقط في الاصل : ولان التفضل

٢) في الاصل : ثلاث

٣) سقط في الاصل : ان

٤) في الاصل : هو

يومه لا سبيل للشهوات عليه ولا لها طريق اليه فليس للشره ولا للشبق ولا للمفاخرة والمكاثرة التي تجرّ النجاسة والمنافرة طريق البتة اليه ، فقد انتفت عن الانسان بهذا الامر الواحد رذائل كثيرة واستفاد به فضائل عظيمة . فأما القوة الغضبية فاما كانت سَورتها وقوّتها على من يناوىء ويضاد [١] ويعادي لم يقنع منا بمسالمة الاعداء حتى امرنا بمحبتهم والاحسان اليهم والمحافظة عليهم وأن نجريهم في عنايتنا مجرى الاصدقاء في المعاملة حتى انه قال لنا في اقاويله : « انكم ان اقتصرتم على أن تحسنوا الى من أحسن اليكم فاين موقع التفضل منكم ؟ فان غيركم قد يفعل ذلك وانما تفضلون بهذا المعنى وهو الاحسان الى المسيء والصفح عن الجاني » [٢] وامرنا بأنْ : « من لطمكم على احدى جهتي الوجه منكم فأبرزوا له الجهة الاخرى ينال منها ما يريد » [٣] فهل في الصبر على الضيم وقمع النفس الغضبية مزيد يُلتمس على هذا ؟ أو في التوبيخ وكسر سورة المستضيم متى لم يكن عارياً من التميز شيء [٤] يزيد على هذا الفعل ؟ فأما القوة الناطقة التي العلم فعلُها فانه حضنا على الدأب في طلب العلم والبحث والنظر في الكتب حتى انه قال : « ان ملكوت الله على ما عرفناه هي [٥] محصورة فينا » [٦] اشارة

---

١) في الاصل : ويضادد

٢) انجيل متى ٥ : ٤٤ و ٤٦ و ٤٩

٣) انجيل متى ٥ : ٣٩

٤) في الاصل : شيئا

٥) أنث « ملكوت » حملا على اللغة السريانية

٦) انجيل لوقا ١٧ : ٢١

منه الى أن وقوفنا على المعلومات الشريفة الدائمة الوجود ومعرفتنا بها المعرفة الحقيقية هي الملكوت المنتظرة لانها تُعلي نفوسنا من الادناس البدنية وتجعلها في حيز الاشياء التي لا ينالها الانفعال ويرتقي بها عن كل رتبة دنية . فقد وضح بما ذكرناه أن الناسخ لشريعة موسى ندبنا لما ليس في وسع البشر استعمال فضيلة هي اتم منه ولا فعلُ شيء من التفضل أوفى ولا اتم ولا اكمل مما أتى به [١] ، وفي هذا بيان واضح يوجب نسخ شريعة موسى بهذه الشريعة الحاضة على مثل هذه الافعال والاّ نُسب [٢] البارىء سبحانه الى الضن علينا بنبيل المنزلة الكاملة في الفضيلة تعالى الله عن ذلك

[٢٣] واذ قد تبين لنا بطريق القياس وجوب نسخ شريعة موسى عليه السلام فلا بأس بأن ندل على أن ذلك قد ذُكر لكم في كتبكم وأوعِز به اليكم فان داود النبي عليه السلام يقول : « ان الله لا يؤثر الذبيحة الفانية وانما ذبيحة الله هي النفس المتواضعة الخاضعة » [٣] فليت شعري أترى هذا القول من داود مع نص موسى على مرضاة الله تعالى في ذبيحة الحمل والثور نسخاً [٤] منه لما قاله موسى ؟ ما احسب ذلك خافياً على احد ، فليس في النسخ اكثر من أن يرفع الواحد ما وضعه الآخر كما قال داود عليه السلام لانه قال في الشيء الذي قال موسى ان في ذبحه مرضاة الله

---

١) اقرأ عدد ٤ من المحاضرة السادسة من كتابنا « المشرع » وايضا المحاضرة السابعة منه

٢) في الاصل : ولا ينسب

٣) سفر المزامير ٥٠ : ١٨ و ١٩

٤) في الاصل : نسخ

School of Oriental Studies
of
The American University at Cairo

« ان الله لا ترضيه تلك الذبيحة وان الذبيحة لله هي النفس المتواضعة الخاضعة » وايضاً فان ارميا عليه السلام يقول : « قال الله سبحانه ان الايام ستأتي واعهد اليكم [١] عهداً جديداً ليس كالعهد الذي عهدته الى آبائكم لما اخرجتهم من ارض مصر » [٢] أفليس يا معاشر الناس في هـذا القول تصريح ظاهر بنسخ شريعة موسى فما بالكم تستنكرون ذلك وتستكبرونه ؟ وانا اكتفي بهذه البيانات والشهادات في اثبات المعنى الذي له قصدت وارجو أن اجد ممن [٣] يقف على ذلك سمعاً سميعاً وقلباً واعياً فيؤثّر قولي في نفسه وينقاد للواجب ويعرض عما سواه . فقد وضح بما قلناه وجوب نسخ شريعة موسى ووضح مع ذلك أنه ليس يلزم أن تُنسخ الشريعة الناسخة لها لكمال الافعال التي ندب الله لها [٤] اهلها ، فليس من الحكمة أن يندب الله تعالى قوماً الى فضيلة في غاية التمام ويرسل اليهم من يندبهم الى الرجوع عن الفضيلة الكاملة واستعمال فضيلة هي دون تلك أو الى ما ليس بفضيلة ، ولأن هذا من المحال ما ينبغي أن يكون هذا آخر نسخ ولا شيء ينسخ بعده وأن كل داعٍ فانما يدعو اما الى الفضيلة الأولى فيكون بمنزلة موسى أو الى الفضيلة الثانية فيكون المسيح ، فأما ما سوى ذلك فلا سبيل اليه وذلك من قِبل أن الفضيلة بالجملة موقوفة بين امرين

---

١) في الاصل : لكم
٢) نبوءة ارميا ٣١ : ٣١ و ٣٢
٣) في الاصل : من
٤) سقط في الاصل : لها

هما العدل وقد أتى به موسى عليه السلام والتفضل وقد أتى بأقصى ما فيه المسيح ، وهذا القول في ما قصدت له من هذا المعنى كافٍ تام .

فأما المعنى الثاني من المعاني التي قصدت الكلام فيها وهو أن المسيح المنتظر الذي ذكرته الانبياء ورمزت اليه [١] الكتب قد جاء فانني ابين ذلك من بعد أن اقرّر معكم اشياء [٢٤] احتاج اليها في وضوح ما اريد بيانه : احدها ان هذا المنتظر عندكم اذا [٢] حضر خلدتم وهو يبعث [٣] الاخيار من الآباء وغيرهم كابراهيم واسحق ويعقوب ومن جرى مجراهم من القبور ، وأقمتم معه دائماً بغير نفاد في النعيم وباد من سوى ذلك ، وان ظهوره وولاده يكون من آل داود عليه السلام ، وان ولادته على ما ذكر اشعياء النبي عليه السلام تكون من امرأة عذراء [٤]

فنقول لكم : خبرونا ان كان لم يأتِ المسيح بعد فقد كُذّب قول يعقوب : « انه لم يعدم القضيب من يهوذا » [٥] وهذا القضيب هو المرموز به الى [٦] الملك « ولا النذير من ظهر أبيه حتى يأتي من له الامر الذي تنتظره الامم » [٧] الى غير ذلك مما وصفه به وذكره من علامته فيه وهو يشير بالنذير الى النبي وبالمنتظر الى المسيح ، فليت شعري هل بقي لكم

---

١) في الاصل : عليه
٢) في الاصل : انه اذا حضر
٣) في الاصل : انبعث
٤) نبوة اشعيا ٧ : ١٤
٥) سفر التكوين ٤٩ : ١٠
٦) في الاصل : عن
٧) سفر التكوين ٤٩ : ١٠

من الملك حظ أولكم من النبوة سهم ؟ أو ليس بانقطاع هذين عنكم وزوالهما من [١] بين أظهركم مع تصديق قول يعقوب يلزم أن يكون المسيح قد جاء ؟ والاّ فما كان ليَعدم ولا واحد من الشيئين اللذين جُعل عدمهما علامة في مجيئه ولعمري ان من بعد مجيئه يُستغنى عن كلا الامرين اعني النذير فان النذراء انما كانت تنذر به وتجعل حضوره الغاية الموجودة ومستقر الامر بعده على ما لا يتغير . وقد رأيت من صرف هذا القول الذي قاله يعقوب الى أن جعل المفهوم منه أن الملك والنبوة لا ينقطعان منذ يجيء المسيح فانه قال : ان تلك اللفظة وهي [٢] قول يعقوب « عد » تدل في العبراني على « منذ » وهذا قول من يدافع في الجدل بغير تأمل ، وكأنه لم [٣] يحس بأن هذا تأويل يخرج المسيح ومجيئه من أن يكون الغاية المقصودة التي تقف في طلب الفعل عند وجودها لظهوره وينعكس الامر فيه حتى يصير مجيئه هو المبدأ لا الغاية وليس هو المبدأ ايضاً لأن قد تقدمه سواه ممن انذر به ، والذي احسبه أن علماء هذه النحلة ، ايدهم الله ، لا ترضى بهذا التأويل ولا تقول به

وايضاً فان دانيال عليه السلام يقول : « ان المسيح يأتي وانه يقتل وان مدينة السلم تخرب » [٤] يعني بيت المقدس وليس الى هذا المجيء

---

١) سقط في الاصل : من
٢) في الاصل : هي
٣) سقط فى الاصل : لم
٤) نبوءة دانيال ٩ : ٢٦

يذهبون في مجيئه ، فقد شهد دانيال بما يقوله من أن المسيح يأتي العالم [٢٥] مرتين احداهما يكون فيها مقتولاً ويكون في الاخرى مقبولاً [١] وهذا هو الذي يعتقده النصارى في المسيح . وكثير ما رأيت من اليهود من يعتلّ بالعلامات المعطاة لمجيئه والتواريخ ويقولون انها ماحضرت ولو حضرت لسلمنا له : فأما التواريخ فانها تجوز [٢] حدود الف سنة وقد مضت لمجيئه على ما نراه نحن الى حيث انتهينا تسعمائة وثمان [٣] وتسعين سنة شمسية وانقضت مدة التفاصيل في التاريخ ولم يبقَ فيه حجة ، فقد رأيت شيوخاً من اهل هذه النحلة يعدونني بلقاء المسيح في سنة ستين وثلاثمائة للهجرة [٤] ويجتمعون على أنه [٥] لا يتأخر بوجه ولا سبب واحياهم الله تعالى حتى صرت اليهم في الوقت الذي وعدوا به فجنحوا الى الضحك والتعجب لا غير

وأما امر العلامات مثل اجتماع الذئب والعنز على ماء واحد [٦] فانها من العلامات التي إن صُرفت الى ظاهرها كان المعطي لها على صفة لا يحلّ التفوه بها لجلال قدره عنها لأن هذا لو جرى في كل يوم عشر دفعات لما كان لنا سبيل الى الوقوف عليه ولا الوصول الى معرفته اذ ليست الذئاب

---

١) نبوءة دانيال ٧ : ١٣ و ١٤
٢) في الاصل : تعجز
٣) في الاصل : وثمانية
٤) اي : ٩٧ للمسيح
٥) في الاصل : ويجتمعون بانه
٦) نبوءة اشعيا ١١ : ٦

بين اظهرنا ولا ندري كيف تتصرف ، وانما الحق في ذلك والذي اليه اشار النبي بهذه العلامة أن الرئيس والمرؤوس بسنة المسيح يتساويان ويشربان من مشرب واحد ، وانت تجد ذلك متى شئت في الكأس التي [١] في بيع النصارى فانك تجد الضدين منهم الوضيع والملك يجرعان من اناء واحد لا يأبى ذلك الرئيس ولا يتحاماه [٢] المرؤوس فالى هذا المعنى اشار النبي لا غير

فأما الاشارة من داود عليه السلام الى أن الجبال والتلال ترقص [٣] فقولي فيه مثل قولي في العلامة الأولى ان النبي عليه السلام لم يقل ان ذلك يكون في كل جبل وكل تل فيلزم أن نرى ذلك نحن ببغداد في تلّ فرصة جعفر والتل الذي على نهر البزّازين لانه بحيث يُرى ، وهي ايضاً من العلامات التي إن حُملت على ظاهرها لزم من [٤] امرها مثل اللازم في العلامة التي قبلها ، وانما قال ان بعض الجبال والتلال ترقص لا جميعها فقد يجوز أن يكون ذلك قد جرى في ما لا نعرفه منها اذ لسنا بجميعها موكلين ولا لجميعها حافظين فهذا ما نقوله في هذا القول إن حمل على ظاهره ، وانما هو اشارة من النبي الى أن شريعة المسيح تستخفّ وتستدعي من كان يعسر استدعاؤه ويبعد نقله عما كان يراه ويعتقده كبعد حركة التلال والجبال [٢٦] كالفلاسفة والبطاريق والباحثين الذين

١) في الاصل : الذي . حملها على اللغة السريانية وذلك غلط لان « كأس » في العربية مؤنثة
٢) في الاصل : يتحاباه
٣) سفر المزامير ١١٣ : ٤
٤) سقط في الاصل : من

استخفتهم هذه الشريعة ودعتهم وقادتهم بالآيات الباهرة العقول التي [١] فعلها الدعاة فهذا تأويل العلامات المعطاة في مجيء المسيح لا ما ذهب اليه من يحملها على ظاهرها للعلل المقدم ذكرها

ولم يبقَ على ما يظهر لي بهذا النظر من اسباب المقام على هذه المسئلة دون الانقياد الى شريعة المسيح الظاهرة الكمال التي تدعو الى افضل المناهج وهو المسيح فنكون [٢] فيها بالبارىء عز ذكره مقتدين ولطرائقه سالكين فلا يمكن [٣] احداً [٤] من خصومها أن يطعن عليها ولا على ما فيها من الفضائل ، فان جالينوس على كثرة ما يوجد [٥] له من التسفيه والتعجب من اهل شريعتي موسى والمسيح يقول في كتابه الذي عمله في جوامع السياسة لافلاطون في آخره : ان في شريعة القوم المنتسبين الى المسيح اخياراً كثيري [٦] الاستعمال للفضائل التامة وليس ذلك في الرجال منهم فقط بل في [٧] النساء ، وأراه يتعجب مما لهم من الفضل وهذا رجل محله في العلم معلوم ومنزلته في عناد هاتين الشريعتين ظاهرة مكشوفة [٨] لمن نظر في كتبه وعرف ما يقوله فيها وانه مع هذا لم

---

١) في الاصل : والتي
٢) في الاصل : التي نكون
٣) في الاصل : التي لا يمكن . وهو غلط
٤) في الاصل : احد
٥) الاصح والافصح ان يحذف هنا فعل « يوجد » وان تقول « على كثرة ما له » وقد ورد هذا التركيب في مظان كثيرة من رسائله
٦) في الاصل : كثيرو
٧) في الاصل : بل وفي
٨) في الاصل : ظاهر مكشوف

يمكنه جحد ما لأهل هذه النحلة من الفضل في استعمال الفضائل وأخذهم نفوسهم بها سوى الخجل من الرجوع عما كان الآباء والاسلاف عليه ، وليس قدر ما يقتضيه هذا مع أنه موضع حتى نترك [1] له القول بالحق والانقياد الى ما يوجبه النظر السديد والقياس الصحيح فقد صدر من قوله حكاية عن فرفوريس في الرجوع عن الآراء الفاسدة ما صدر . وفي ما أتيت به في هذا المعنى مع محبتي للاختصار واجتنابي للاطالة والاكثار ما فيه مجزأ لمن تأمله فأما من لا تأمل له فالقليل عنده من ذلك مثل الكثير والاشتغال به عناء باطل والله اسأل توفيقي والجماعة لاصدق قول وافضل عمل بطوله وفضله

فأما المعنى الثالث الذي بين النصارى واليهود فيه الخلاف من تثليث اقانيم البارىء سبحانه فما ينبغي أن يتأخر عن المعنيين الأولين لأن العمدة في ما يبين للفئة المدعوة بهذا البيان اولاً انما هي أن يبين لهم وجوب نسخ الشرع [٢٧] على اصولهم [2] وأن المسيح قد أتى من حيث يعترفون ، وهذان البيانان قد فُرغ منهما بأوجز وأوضح ما وجدت اليه سبيلاً وكأنني لم ازد بهما على أن بينت أن الرجوع عما هم عليه ومتمسكون به من الامور الواجبة . فأما ما اريد بيانه فيما بعد فهو الارشاد الى ما يجب التمسك به عند الانصراف عن تلك الآراء والاعتقاد له والمقام عليه وابدأ اولاً

---

١) في الاصل : حتى ان نترك

٢) في الاصل : اصولها

بازالة الشبهة والشناعة في ما تقرّف [١] به النصارى في اعتقادهم من تثليث البارىء سبحانه فان مذهب النصارى لا يمكن أن يُسبّ فيه العمل لأنه خير ظاهر عند كل مخالف وموافق سوى المجوس فانها تطعن عليهم [٢] في عصيان الهوى ، وانما يطعن الطاعنون في الاصول المعتقدة فان وضح للناظر سلامتها و براءتها من الذم فلا معدل لطالبي الحق عنها ولا وقوف الاّ عندها ، واول ما ابدأ به في هذا المعنى أن اقول : كل من قرف النصارى بأنها تقول ان للعالم ثلاثة آلهة فقد اخطأ في اعتقاده وأساء في فهمه عنهم فان هؤلاء القوم يكفّرون كل معتقدٍ دخولَ التكثير على هذه الذات ولا يختلفون في أن من قال ان هناك ذوات كثيرة اكثر من واحد فهو [٣] مبطل كافر خارج عن كل ما يوجبه العقل و يدعو اليه النظر الصحيح ، لكنهم يعتقدون أن الذات التي يشار اليها باسم الاله سبحانه ذات واحدة و يعتقدون مع ذلك أن الوحدانية فيها موجودة خالصة متى لُحظت عرية من الصفات مختلفة كانت تلك الصفات او غير مختلفة ، وذلك أنها متى وُصفت بصفات مختلفة فان الذات مع كل واحدة من الصفات المختلفة غيرُها مع الصفات الأخر من حيث الجملة لا محالة ، فانا متى وصفنا ذات البارىء سبحانه بالجود فان المعنى الحاصل في نفوسنا المرتسم في عقولنا من معنى الجواد غير المعنى الحاصل لنا متى وصفناها بالحكمة

---

١) في الاصل : تعترف

٢) سقط في الاصل : عليهم

٣) سقط في الاصل : فهو

فانه ما من احد يقدر على أن يقول ان معنى حكيم هو هو بعينه معنى جواد [١] ولا أن المفهوم من هذا هو المفهوم من ذلك وإن كانت الصفتان اللتان هما الجود والحكمة انما هما صفتان لذات واحدة لا اكثر، فقد بان وجوب التكثير متى كانت الصفات اكثر من واحدة . فأما إن كانت الصفات واحدة فان الوحدانية ايضاً لا تقترن بالبساطة ، وذلك أن معنى الذات ليس هو معنى الصفة [٢٨] لا محالة والاّ [٢] لزم أن يكون ذات البارىء سبحانه حالاً لا ذاتاً وهذا محال ، لان الحال انما يكون حالاً لشيء فيلزم أن يكون الشيء الذي الحال له اقدم بالطبع من البارىء ولا كفر اشنع من تقديم شيء على البارىء سبحانه ، واذا كان الامر كذلك فقد وضح أن الوحدانية له جل اسمه لا تخلص متى قُرن بصفة واحدة او صفات اكثر من واحدة . فقد وجب اذاً أن يكون خلوص الوحدانية له انما هو على ما تراه النصارى عند النظر في الذات عرية من صفة من الصفات بالنظر وظهر بهذا القول الوجه الذي به يكون التوحيد صحيحاً وإن كان ما خالفه فيحتاج الى أن يُنظر فيه حتى يُفهم معناه [٣]

فأما التثليث فانه امر حصل للنصارى القول به بايعاز من المسيح اليهم وعند النظر في حال من احوال [٤] الذات من جهة البيان الموجب وجودَ البارىء سبحانه من قبل مفعولاته ، وذلك انه لما كان كل امر

---

١) في الاصل : جود
٢) في الاصل : ولا
٣) راجع مقالته السابقة
٤) في الاصل : الاحوال

خفي عن الحس انما يُستدل على وجوده بوجود فعله متى كان فاعلاً وكان الباريء عز ذكره بهذه الطريق بعينها وصلنا الى الوقوف على وجود ذاته بوجود افعاله وكانت افعاله التي دلتنا على وجود ذاته متقنة محكمة على ما توجبه الحكمة البالغة ويشهد لذلك ما تقوله القدماء في منافع اعضاء الانسان التي لو انحرفت عن هذا الترتيب والوضع لفسد وجوده ولان الحكمة عندنا في الانسان هي أن يتخرج عقله ويتدرب بالمعارف ما وجب أن يكون كل حكيم منا هو ذو عقل ، ولبساطة ذات الباريء جل اسمه لم يجُز أن يقال فيه انه ذو عقل بل انه هو نفسه عقل يفوق عقول البشر فان عقول البشر يوجد عندها شيء متقدم وشيء متأخر والمقدمات عندهم اظهر من النتيجة فأما الباريء سبحانه فليس شيء من الاشياء عنده اقدم من شيء ولا اشد تأخراً [1] اذ كانت المعلومات له بالذات لا على جهة التطرق ، كما تحصل لنا فيجب لذلك أن يكون بعضها عندنا اقدم من بعض ، بل كل الامور عنده في منزلة واحدة من البيان ، فاذا كان عقلاً فقد [2] وجب له أن يكون عاقلاً للموجودات ولأن ذاته من معقولاته وهو عاقل ذاته يلزم لذلك أن يكون عقلاً وعاقلاً ومعقولاً [٢٩] بحسب ما دلتنا عليه الحكمة في افعاله والاتقان في مصنوعاته وأن يكون هذا المعنى خاصاً به ولا يشركه فيه سواه ، فان هذا المعنى لا يصح وجوده الاّ للعقل المجرد وهو الباريء تعالى فانه هو العقل وهو بعينه العاقل وهو هو المعقول بجهات

١) في الاصل : تأخر
٢) في الاصل : قد

مختلفة والذات واحدة ، فأما العقل الانساني فلا يجوز ذلك فيه لأن الانسان يحتاج في أن يعقل عقلَه الى أن يجرد عقله من ذاته حتى يصير معقولاً له من اجل التركيب ، فأما ذاك عز ذكره فالبساطة يستغني عن تكلف التجريد [١] لانه هو نفسه يكون عقلاً وعاقلاً ومعقولاً وليس هذه الصفات مما يقتضي أن تكون الصفات للذات اربع صفات ولا اكثر من ذلك ولا يجوز أن تكون اقل من ثلاث . فالى هذا ذهبت النصارى في التثليث لا الى ما تقرّفهم به خصومهم من تكثير الذوات التي توجد وهذا القول مع وضوحه ووجوب القول به ظاهر غير مدافع الاّ عند من يريد دفع الحق [٢]

فقد وجب وحَقَّ على كل مكلف له عقل يدرك [٣] به ما قلناه في هذا المعنى أن يعتقده ويقول به ويتبرأ [٤] من مخالفته ويستعيذ بخالق الكل من القول بما يضاده [٥] وينافيه ، فالى هذا يا معاشر البشر تذهب النصارى في تثليثهم ، انني لاظنُّ أن من وقف على قولي هذا ممن لا يغلب على عقله هواه سيبلغ به الحرص على القول به الى أن يدّعي العلم به والاعتقاد له قبل التنبيه عليه مني ولست في ذلك منازعاً له لأن غرضي أن تقول

---

١) في الاصل : التجرد
٢) راجع مقالته السابقة
٣) في الاصل : ان يدرك
٤) في الاصل : ويتبرر
٥) في الاصل : يضاده

الناس بالحق ، فإن كان ذلك بي وعلى يدي كان [1] لي من ذلك مثلُ ما لمن حُذي على مثله من الجمال والثواب وإن قال القائلون به من تلقاء نفوسهم حصل من ذلك السرور والالفة وارتفاع الخلاف وارجو أن ارى ذلك فان كون الناس بأسرهم او جلهم مجمعين على امر واحد مما تمناه بعض القدماء حتى انه لما يئس من مشاهدة ذلك تمناه لاحبائه ، والله اكرم مسؤول اسأل أن يوفقك للخير ويعين عليه ويرشدنا الى الصواب ويسدد اليه بجوده وكرمه

وأما المعنى الرابع الذي نريد تبيينه فهو ما تقوله النصارى من اتحاد الذات الالهية بالذات الانسانية وأن الكائن عن ذلك طبيعة وسطى ليست الاهية فقط ولا انسانية فقط ، فاقول : ان ما من طائفة يلزمها القول بذلك اكثر من لزومه لليهود وذلك انهم يرون ويقولون في الانسان ما قيل لهم [٣٠] في صدر التوراة من أن : « الله تعالى خلق الانسان على صورته ومثاله » [2] وكونُ الانسان بهذه المنزلة يجعله مناسباً لبارئه في صورته ومثاله وشبيهاً به واتحادُ المناسب الشبيه لمناسبه وشبيهه واتصالهُ به من أسهل الامور وأقربها وأوجبها ، وايضاً فان الاقانيم الثلاثة في العقل والعاقل والمعقول التي رُمز اليها [3] باسم الآب والابن والروح قد يمكن أن يكون احدها متصلاً بالانسان وهو العاقل من بينها دون

---

١) في الاصل : فمكان

٢) سفر التكوين ١ : ٢٦ و ٢٧

٣) في الاصل : عليها

الباقيين ، فان الانسان لا يمكن أن يكون عقلاً مجرداً ولا أن يكون معقولاً مجرداً وقد يمكن أن يصير عاقلاً عقلاً مجرداً الذي هو معنى الابن فيصير لامكان ذلك فيه متصلاً باحد الاقانيم الثلاثة الذي هو العاقل ، ويكون الجوهر القديم تعالى لذلك متصلاً بالانسان لان الاقنوم هو الجوهر مع صفة [1] . ومن البين الظاهر أن ذلك انما صار ممكناً من قبل ما في الانسان من الجزء المناسب لبارئه على ما ذُكر في مبدإ سفر الخليقة وانما اشار القائل لذلك في ذلك المكان الى هذا المعنى توطئةً لما من شأنه أن يوجد من معنى الاتحاد ، فوطأ ذلك له بذكر المشابهة ليكون امكان ذلك عند سامعيه بتلك التوطئة سهلاً قريب المأخذ ، ولو كان غير مناسب لما جاز ذلك فيه ولا ساغ لنا أن نصله بغير المناسب كما تسوغ صلته بالتشابه ، واذ قد تبين أن ذلك من الامور الممكنة وكان الممكن من الامور متى فُرض له زمان لا نهاية له خرج الى الوجود فقد لزم أن يخرج هذا المعنى الذي قد تبين امكانه الى الوجود وخروجه الى الوجود [2] كان بظهور المسيح ، والى هذا المعنى اشار داود النبي عليه السلام بقوله : « انك انت ابني وانا اليوم ولدتك » [3] ، وهذا الشخص هو الذي اذا استقري ما قالته الانبياء في صفات المسيح واحواله وُجدت له بأجمعها لم يُخلَّ بشيء منها ولا فقد منها شيئاً بوجه ولا سبب فانه على ما ورد

---

١) انظر ص ٦٩ من كتابنا « المشرع »

٢) سقط في الاصل : وخروجه الى الوجود

٣) سفر المزامير ٢ : ٧

به الخبر الصحيح المولودُ من عذراء كما وعد اشعياء [١] والابنُ المقتول على ما مثل اشعياء [٢] ايضاً والمقتسَمُ اللباس بالقرعة كما ذكر داود [٣] عليه السلام [٣١]

وايضاً فان الاتحاد مع بيان امكانه لو لم يوجد مع قدرة البارىء عز ذكره عليه وهو خير لما كان لعدم وجوده وجه غير البخل ، وهذا المعنى اعني البخل في غاية المباينة للبارىء تعالى اذ كان قد جاد بالوجود وليس يجوز أن يقال فيه انه ضنّ علينا بالوجود الافضل ، واذا كان وصفه بالبخل محالاً فهو [٤] لا محالة اعني الاتحاد موجود ومما لا يجوز ألاّ يوجد [٥]

فأما ما العلة في أن كان هذا الجود على هذا الشخص الواحد دون باقي الاشخاص من البشر والاستغناء عن ذلك ، فذلك أن المسيح نهج السبيل المؤدية [٦] بالاختيار والارادة الى الاتصال به فاكتفى بشخص واحد يكون ذلك له بالطبيعة لينهج للباقين الوصول الى تلك السعادة بالسعي والارادة ، وصورة هذا السائل صورة من قال : لمَ لمْ يعمّ معنى البنوة سائر البشر ؟ فلو عمّ ذلك جميعهم لما احتيج اليه في واحد منهم وكانوا كالمجبورين على الفضيلة لا المختارين لها ، وكأني ببعض من ينظر في هذه

---

١) نبوة اشعيا ٧ : ١٤
٢) نبوة اشعيا ٥٣ : ٧ و ٨
٣) سفر المزامير ٢١ : ١٩
٤) في الاصل : هو
٥) راجع ص ٦٨ من كتابنا « المشرع »
٦) انظر ما مر بك في حاشية ٤ و ٥ من ص ٢٣

الرسالة وهو متعجب من اتياني بشهادة الانبياء عليهم السلام لذلك لاحتمال اقاويلهم التأويل ، فينبغي أن يعكس ذلك على نفسه متى تأوّل بغير ما ذهبتُ اليه ويحكمَ لي ويوجب من صرفي القولَ اليّ ما يحتمله مثل ما أوجبه لنفسه ، فان قال : انا اذا تنازعنا التأويل وكان قولي وقولك يحتملهما القول المتأوَّل به فليس احدنا بالتصديق احقّ من الآخر ، فاقول : لعمري اني لو [١] كنت اقتصرت في البيان لما بينته على هذا التأويل دون شيء آخر من الحجج لقد كان القول على ما ذكره الخصم ، فأما ولي بيانات أخَر واضحة عضدتها بهذا التأويل فانا بالتأويل احق والانقيادُ لما اقوله فيه أوجب لمشاكلة ما وقع عليه البيان ، وقد قال بعض الانبياء ايضاً : « ان الاله يظهر في آخر الزمان على الارض » [٢] اشارة الى المسيح . والذي يلزم من اليهود ، احسن الله ارشادنا واياهم ، من قبول هذه الاقاويل والتأويلات هو أزيد من اللازم لغيرهم من قِبل أن هؤلاء يعترفون أن هذه الاقاويل موجودة في كتبهم وأن معانيها مصروفه الى المسيح ويخالفون في مجيئه ، فاذا ثبت مجيئه بما قلنا فقد صارت منصرفة اليه وعائدة عليه

فأما صحّة الخبر بمطابقة احواله وما جرت عليه سيرته [٣٢] لما رمزت اليه [٣] الانبياء فيُعلم من أن [٤] نقلة هذه الاخبار لا يجوز عليهم

١) سقط في الاصل : لو
٢) نبوءة باروك ٣ : ٣٨
٣) في الاصل : رمزته الانبياء
٤) سقط في الاصل : ان

الكذب من قِبل أن اقاويلهم لم تُقبل على ما تضمّنته كتب دعوتهم الاّ بالمعجزات التي ادّعوها لنفوسهم في كتبهم ، ومن البين الظاهر أن ما دعوا اليه قد قُبل ، وما كان قول الداعي الى شيء ليقبل مع ما يدّعيه لنفسه من القدرة على المعجزات اذا كان القابل عاقلاً الاّ بعد المطالبة باظهار المعجز ، والمعجزات لا يظهرها الله تعالى على ايدي الكذّابين فيُضلّ بها ، فأما ان القابلين لهذه الدعوة كانوا اعظم الامم بحثاً وتفتيشاً وتحصيلاً فيبين من قِبل اليونانيين (١) وما (٢) لهم من التنكيت (٣) والتنقير والبحث ، فأما الفلاسفة اذ حلّ منهم ذلك وفُهم فهم (٤) القابلون لهذه الاقاويل والمصدّقون بها وليس انما لم يكونوا عقلاء فقط او ممن لا يعرف او ممن يجوز على امثالهم المغالطة والتدليس والتلبيس بل كانوا افقه خلق الله في استنباط المدلَّس وأقواهم على البحث ، ومع هذا فان هذه الدعوة ليست موجودة في أمة من الامم دون أمة بل في جميع الامم على كثرتها واختلافها فما من امة الاّ وفيها من اهل هذه النحلة طائفة من العرب والنوبة والفرس واهل الهند والصين والترك والديلم وغير ذلك ، وتطبيقهم الامم على لين دعوتهم وسهولة مسلكهم دليل واضح على صحة قولهم وان الناس كلهم والامم كلها لم تنجذب اليهم وتصدّق اقوالهم الاّ بما كان لهم من التأييد والعناية ،

---

١) في الاصل : من قبل ان اليونانيين

٢) سقط في الاصل : وما

(٣) اراد « بالتنكيت » مصدر « نكت في كلامه » اي اتى بالنكت لا مصدر « نكت عليه » العامية

٤) سقط في الاصل : فهم

والاّ فمن المحال أن يكون الناس بأسرهم اتّهموا في هؤلاء الدعاة وقبلوا اقاويلهم وصدّقوها من غير بحث ولا تفتيش فان هذا إن ادّعاه مدّعٍ كان قوله واضح الكذب بتجويزه على جميع الامم حتى امته دخولَ التدليس والتلبيس وشهادتهِ لنفسه بالخلوص من تلك الدلسة [١] . فهذا ما ظننته كافياً في تبيين الاتحاد ووجوبه على اقتصار واختصار [٢]

وقد بقي من المعاني التي أريد الكلام فيها مما لم يذهب اليه اليهود ، والنصارى قائلون به ، عموم القيامة لسائر الخلق وجزاء المسيء باساءته والمحسن باحسانه . فانهم لا يرون أن معنى القيامة هو هذا [٣٣] بل ان مجيء المسيح المنتظر ينبعث مع ظهوره الاخيار من آل اسرائيل ويلبثون دائمًا معه وقد اوجبوا للبعض من الناس النشور ، وتبيينُ بيان ذلك عندهم امكانُ هذه الحال في الطبيعة البشرية وعند القوة الالهية ولهم في ذلك دليل وشهادة من حزقيال والرؤيا التي رآها في العظام النخرة [٣] ، والذي بقي علينا أن نبين وجوب عموم القيامة للناس كافة وأن المسيء يجازى باساءته والمحسن باحسانه من أي جيل كان فنقول : انا قد كفينا [٤] معكم مؤونة التعسف في تبيين وجود هذا الامر على الاطلاق لما قد أذعنتم له من امكانه في البعض من الناس فانا نحتاج أن نبين عمومه ، وهذا فقد

---

١) اقرأ ص ٥٦ و ٥٧ وص ١٤٩ وما بعدها من كتابنا « المشرع »
٢) راجع المحاضرة الرابعة من « المشرع »
٣) نبوءة حزقيال ٣٧
٤) في الاصل : اكتفينا

يظهر متى اعترف القائل به [1] بأن الله جل اسمه عادل وأن العدل انما يوجب الاحسان الى المحسن بأكثر من ايجابه الاساءة الى المسيء وأن البر والاحسان ليسا مقصورين على طائفة من الطوائف دون غيرها وليس من العدل أن ينال الاحسان والنعيم المحسن من آل اسرائيل دون المحسن من وُلد عيسو او دون ولد حام الى غير ذلك من الامم ، واذا كان العدل لا يوجب خصوص الجزاء في الاحسان ولا الاساءة فانما يوجب ذلك اذاً على العموم ، واذا وجب على العموم كان القول قولنا في وجوب عموم القيامة ومجازاة المحسن من أي امة كان بالاحسان والمسيء بالاساءة

وقد كان في اليهود رجل من المتكلمين لي صديق وكان متقدماً فيهم نظّاراً يُعرف بأبي الخير داود بن موشج رحمه الله جاءني يوماً يلزمني خصوص القيامة بطريق انا ذاكرها وشارح ما جرى لي معه فيها ، وذلك انه قال لي : أليس القيامة عندكم عامة لسائر البشر ؟ قلت : بلى ، قال : أو ليس كل منهم ينبعث ببدنه ؟ فاجبت ببلى ، فاعترضني [2] عند ذلك فقال : فاذا كان الامر كذلك وكان السبع قد أكل خمسة انفس من الناس واغتذى بهم فقد صاروا جزءاً من جثته ؟ قلت : ولعمري ان ذلك كذلك ، قال : ثم ان السبع صاده بعض الناس فأكله فصار جزءاً من جثة الصائد له والآكل لحمه ؟ فقلت له : الامر كذلك ، قال : فان

---

١) سقط في الاصل : به

٢) في معاجم اللغة « اعترض له واعترض عليه » ولعله حملها على « ابتدرني »

أعيدت جثة آكل السبع لم يوجد الخمسة النفر الذين أكلهم السبع وإن وُجد الخمسة النفر لم يوجد بدن الآكل للسبع فقد دعت الضرورة الى أن يُفقد بعض الناس في القيامة وتُعدم طائفة منهم [٣٤] واذا كان الامر كذلك فليس ما تدّعي من عمومها لسائر البشر حقاً بل القولُ زعمُ قولنا في أن [١] القيامة لا تعم سائر الناس بل انما توجد لبعضهم لا غير ، فعدت عليه وقلت له : اني اجيبك عن هذه المسئلة متى سامت اليّ اشياء ظاهرة منها ان الشيء الذي تركب منه الانسان هو [٢] الذي اليه ينحل وان التركيب الذي في الانسان انما هو من الاسطقسات الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض وان أي جزء أخذ من كل واحد من هذه الاسطقسات اربعتها كان شبيهاً بالجزء الآخر منه بما هو تلك الطبيعة مثل ان أيّ جزء اخذته من الهواء كان مساوياً لأيّ جزء اخذته منه وكذلك في الباقية ، فسلّم لي هذه الاصول ، فقلت له : فاذا كان الامر كذلك فليس زيد وعمرو وكل واحد من اشخاص البشر الاّ طبائع متقومة من الاسطقسات الاربعة على مناسبة معلومة بينها واذا كانت تلك المناسبة محفوظة عند البارىء تقدس اسمه وأعادها من الاسطقسات عاد زيد مثلاً وعمرو وكل واحد من الاشخاص اشخاصَ الناس ولم يُحتج

---

١) سقط في الاصل : ان

٢) في الاصل : وهو

الى مراعاة جثة الاسد ولا عن أي شيء انبنت [١] ولا جثة الانسان من أي شيء كوّنت اذ [٢] الاسطقسات متى أعيدت بسببها وجمعها على تلك المناسبة التي كانت لها عاد الانسان الذي هو زيد وعمرو وخالد ويوسف وابراهيم وسقطت عنا مراعاة موادّهم وكيف تصرفت بها الاحوال اذ كان مصيرها على اختلاف التصرف بها انما هو الى ما منه كانت واعادتها تتم بحفظ المناسبة ، فاقول حالفاً بالله ان أبا الخير رحمه الله سلّم لذلك وعاملني في الوقت بما أكبرته لانه كان شيخاً من اهل العلم . وفي هذا البيان من الدليل على امكان وجود عموم القيامة مجزأ

فاما اقتصصت ما جرى لي مع أبي الخير بن موشج على بعض اصدقائي اعترض عليّ في ذلك فقال : انكم تدّعون في القيامة أنها مما يكون بسرعة ، وكونُ هذه الاشخاص على المجرى الطبيعي انما يكون في تسعة اشهر [٣] واقله في سبعة ، فهبنا سلّمنا لكم أنها تعود فكيف ليت شعري يجوز كونها في لحظة واحدة ؟ فأجبته بأن بيان جواز ذلك معلق بتسليم أصل واحد [٣٥] وهو أن القوى تتفاضل ، واصلٍ ثانٍ وهو أن ليس لما لا [٤] نهاية له الى ما له نهاية نسبة بجهة من الجهات ، وأن قوة

---

١) اي : بنيت . ولفلاسفة العرب افعال مثل هذه اجازوا بناء صيغتها على وزن انفعل

٢) في الاصل : اذا

٣) في الاصل : شهور

٤) سقط في الاصل : لا

البارىء عز ذكره غير متناهية والاّ لزم أن تكون محدودة متناهية وانحداد [١] القوة يجعل الذات محدودة، وهذا محال لان ذات البارىء تعالى من البين المشهور من امرها أنها غير محدودة . فاذا كانت هذه الاصول مسلمة وكنا نرى أن تفاضل القوى المحدودة قد تتفاوت فانا قد نرى من الناس من يمكنه أن يقطع مسافة مقدارها ثلاثون فرسخاً في يوم ونجد من ابناء جنسه وسنه من لا يتمكن من ذلك في اقل من عشرة ايام ، علمنا أن القوى المحدودة المتناهية في الطبائع المتساوية [٢] قد تتفاوت هذا التفاوت وعلمنا مع ذلك أن النُجب الجياد قد تقطع هذه المسافة في بعض يوم والطائر في ساعتين [٣] من يوم . وقد وجب بحسب تفاضل القوى المحدودة المتناسبة أن تكون القوة التي ليست بمحدودة ولا متناسبة لامانع يمنع بل واجب فيها ، لانها غير محدودة ، أن تجمع بين الطرفين اعني المبدأ والمنتهى في لا زمان او في اقصر الازمان ، وليس ذلك محالاً فيها بحسب ما بينا لأنه اذا كانت الطبائع المحدودة قد يتفاوت وجود الشيء عنها من بين عشرة ايام وهي مئتان واربعون ساعة الى ساعتين وهما [٤] نصفُ سدسِ عشرها ونصفُ سدس عشر السبعة الاشهر وهي مائتان وعشرة

---

١) راجع حاشية ١ من ص ٤٩

٢) في الاصل : متساوية

٣) في الاصل : ساعة . وذلك خطأ لانه ذكر « ساعتين » فيما بعد كما سترى

٤) في الاصل : وهي . والصحيح « وهما » لانها تعود الى ساعتين

AUC - LIBRARY

ايام وهو [١] يومان غير ربع فليس يمنع مانع من عدم التناهي والانحداد [٢] وعدم المناسبة بين القوتين أن يستغرق هذا التفاضل ، فانه اذا كانت القوى المحدودة المتناهية قد يتفاوت فيها الشيء حتى يكون في بعض الطبائع يتم كونه في مدة ما وفي بعضها يتم كون ذلك الشيء في نصف سدس عشر المدة فكم بالحري اذا كانت القوة غير متناهية يمكن فيها أن تجمع بين الطرفين اعني المبدأ والنهاية ؟ فليس يمنع مانع اذاً أن يكون ما يوجد في تسعة اشهر بالقوة المتناهية المحدودة موجوداً في لحظة واحدة اذا كانت القوة القائمة مقام تلك المحدودة غير محدودة ، بل ذلك واجب فيها من الاضطرار والاّ لزم أن يكون لغير المتناهي الى المتناهي نسبة وهذا محال فان الذي يوجبه عدم انحداد [٣] تلك القوة أن يوجِد ذلك الامر في مدة غير محدودة [٣٦] . فقد زالت الشبهة اذاً في وجود القيامة على العموم وتبين امكانها وظهر وجوبها وزال الشك في سرعة وجوبها والتفاوت بين مدتي كونها على المجرى الطبيعي و بالقوة الطبيعية وعلى خلاف المجرى الطبيعي بالقوة الغير المحدودة الالهية،وبزوال ذلك يثبت وجود القيامة على العموم والجزاء لكل واحد من المحسن والمسيء بحسب احسانه واساءته

---

١) في الاصل : وهي . وقلنا « وهو » لانه خبر للمبتدا « ونصف سدس عشر السبعة الاشهر . . . »

٢) راجع حاشية ١ من ص ٤٩

٣) في الاصل : الانحداد

وهو ما أردنا بيانه وقصدنا اظهار امكانه ولله الهادي للحقائق البادىء ينفع الخلائق الحمد كاستحقاقه

٣

[٤٥] قال عيسى بن اسحق بن زرعة رحمه الله تعالى : هذا رد أبي القسم عبد الله بن احمد البلخي على النصارى في كتابه المسمى اوائل الادلة سألني بعض اصدقاءي ، ايدهم الله ، تصفحه والاجابة عنه في ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة (١)

قال أبو القسم « الكلام على النصارى الخلاف بيننا وبينهم في التثليث ، والتشبيه وإن كانوا ينتفون منه ، وانكارِهم نبوة نبينا ، فأما التشبيه فالكلام عليهم فيه هو الكلام على المشبهة واليهود لانهم وإن كانوا ينكرون التجديد والكون في مكان دون مكان فانهم يقولون انه ثلاثة اشياء وهذا يوجب التجزؤ ، (٢) وكذلك النبوة الكلام عليهم فيها هو الكلام على اليهود »

قال المجيب : اني وجدت أبا القسم رحمه الله قد قصر الخلاف بين اهل ملته والنصارى (٣) على ثلاثة اشياء عدّدها : احدها « التثليث » وهذا المعنى وإن كان المسلمون ، ايدهم الله ، مخالفين فيه في ظاهر الامر لظنِهم أن النصارى يعتقدون وجود ثلاثة آلهة متغايرة متفرقة وهو ظن باطل فانهم عند الحق وعند كلامنا لهم في الصفات يعودون الى القول بما

١) اي : ٩٩٧ مسيحية
٢) في الاصل : التجزي . وقد تكرر في هذه المقالة
٣) في الاصل : الخلاف بين اهل ملته وبين النصارى

يتجاوز عند الحقيقة في الشناعة ما ينسبون النصارى اليه من القول بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، وذلك أن النصارى وإن قالت ذلك فانها انما تقول انه واحد بجهة غير الجهة التي هو [١] بها ثلاثة ، وهم ، ايدهم الله ، فقد يلزمهم ، على ما سأبين ، أنه واحد واكثرمن واحد من جهة واحدة ، وذلك أني [٢] اسألهم فاقول لمتكلميهم : انا قد علمنا من آرائكم أن صفات البارىء تعالى عندكم تنقسم قسمين منها صفات الفعل ومنها صفات الذات واقررهم ايضاً في أن هل نصدق اذا وصفناه تعالى بالصفات المسماة عندكم صفات الذات ؟ فمن جوابهم ايضاً أنا نصدق بوصفنا اياه بذلك ،[٤٦]ومن البين أن الصدق في الاقاويل انما يكون بمطابقتها ما الامر عليه فينبغي أن تكون صفاتنا هذه مطابقة له ، واذا كانت الصفات صادقة فيه فانها لا تخلو من [٣] احد امرين إما أن تكون هي الذات او احوالاً [٤] لها : فإن كانت هي الذات وقد تبين أن معاني الصفات مختلفة فان الذات تختلف باختلافها وتصير كثيرة وهي واحدة وهذا محال لا يُعقل ، وإن كانت احوالاً في الذات لزم امران : احدهما أن تكون الذات غير الصفات وهي لازمة ، ولزم أن يكون تعالى واحداً من قبل الذات كثيراً

---

١) في الاصل : وهو
٢) سقط في الاصل : اني
٣) سقط في الاصل : من
٤) في الاصل : احوال

من قبل صفاته وهذا بعينه هو الذي تذهب اليه النصارى [١] ، فقد تبين بهذا القول ضرورة الانقياد الى القول بمثل ما تقول به النصارى في البارىء من أنه واحد بالذات كثير من قبل الصفات وزال التشنيع عليهم بأنهم يقولون في الواحد انه ثلاثة وفي الثلاثة [٢] انها واحد وتكون الشناعة عامة للجميع

فأما المعنى الثاني الذي ذكره في الخلاف بين النصارى وبينه رحمه الله فهو « التشبيه » وأراه يعني بقوله التشبيه احد امرين إما التجسيم أو أن يكون البارىء تعالى يماثل مخلوقاته بجهة من الجهات : وإن كان يريد بذلك التجسيم فان النصارى من القول بذلك براء وما اعرف فيهم فرقة تعتقده ولا تذهب اليه من هذه الفرق الثلاث [٣] التي لها اقاويل ثابتة ومذاهب، وإن كان يذهب في قوله التشبيه الى أن مخلوقاته تشاركه في شيء من صفاته فانني اترك سائر الصفات التي ربما [٤] اعترض عليّ فيها بما يطول الكلام بذكره ، واقتصرُ في الكلام على الوجود فان البارىء تعالى ذكره يوصف بأنه موجود والشمس توصف بذلك ولست اجد فرقاً في الزمان الحاضر بين هذين الموجودين [٥] في معنى الوجود فان معنى موجود

---

١) راجع رسالته التي صنفها في معان سأله عنها بعض اخوانه ـ والمعنى الثالث من مقالته لبشر بن فنحاس بن شعيب الحاسب

٢) سقط في الاصل : وفي الثلاثة

٣) اراد بها : الملكية والنسطورية واليعقوبية

٤) في الاصل : قد ربما . وهو غلط لان « قد » لا تدخل الا على الفعل

٥) في الاصل : الوجودين

عندنا هو الشيء الذي يمكن أن يفعل او ينفعل او أن يفعل و ينفعل ،وهذه الصفة للبارىء تعالى والشمس صادقة عليهما فان البارىء تعالى يدخل في [٤٧] الموجود من جهة ما يفعل والشمس من قبل ما تفعل وتنفعل ولا فرق في الزمان الحاضر بينهما في الوجود دع الآن أن نلحظ ازليته وحدوثها و بقاءه الدهر كله ودثورها فان هذا نظر آخر والاّ فالوجود في هذا الوقت الحاضر الازلي والمحدث [١] بمعنى واحد فقط ولا فرق بينهما في ذلك [٢]

فأما المعنى الثالث الذي ذكر ابو القسم رحمه الله أنه من الخلاف بين النصارى و بينه « وهو نبوة محمد بن عبد الله » وانكار النصارى لذلك ، فان النصارى وإن كانت تنكر ذلك فانها تنكره [٣] بقياس صحيح لا يعتلّ وهو انا نسألهم فنقول لهم : ما الذي يريد الله جل وعز بنا في سن السنن لنا وانفاذ الدعاة والانبياء الينا أتراه يمكن أن ينال بذلك نفعاً يخصه او انما يريد نفعنا ؟ وما احسب أن احداً يقدم على القول بأنه يريد بسن السنن لنا وشرع الشرائع علينا نفعاً يخص ذاته ولا يشركنا فيه وانما يريد بذلك نفعنا خاصة لان المنتفع هو الذي قد حاز ما كان يعوزه ولا شيء يعوز البارىء تعالى اذ كل خير موجود له ومنه فلا منفعة له [٤]

---

١) لو قال « والا فالوجود الازلي والمحدث في هذا الوقت الحاضر . . . » لكان اصح

٢) اقرأ عدد ٣ و ٤ من المحاضرة الثانية من « المشرع »

٣) في الاصل : تنكرها

٤) سقط في الاصل : له

في شيء البتة ، واذا كان انما يريد نفعنا ومن البين أنا لا نصفه بالبخل لانا نجعل معنى الجود بالحقيقة في الغاية له ولكل موصوف بذلك سواه على جهة الاستعارة فلزم من ذلك أن تكون ارادته فينا الخير في الغاية والفضيلة في النهاية ، ومن الاوائل في العقول السليمة التي لم يغلب عليها الهوى أن الفضائل التي نحن مندوبون لها تنقسم قسمين هما [1] العدل والتفضل وأن التفضل اكمل واتم فضيلة من العدل ولأن التفضل ينقسم اقساماً فالذي هو منه في اقصى غاية لا مزيد في الفضيلة عليه وما دونه كائناً ما كان الاّ انه داخل في التفضل فهو اكمل في الفضيلة من العدل ، واذا نحن عرضنا [2] الامور التي اليها دعانا سيدنا المسيح وجدناها في اقصى غايات التفضل في سائر ما الينا فعلُه والتصرف فيه ، وذلك أن سائر افعالنا انما تصدر عنا بحسب قوى النفس فينا ، فاذا تبين لنا أنه قد رسم لنا وسنّ فينا بحسب قوى النفس منا اقصى ما في وسع تلك القوة استعماله من فضيلة التفضل ، فقد بانَ أن هذه الدعوة قد بلغت بطبيعة [3] البشر الى اقصى غاية ما يمكن فيها قبوله من الفضيلة . ومن التشنيع القبيح أن يكون البارىء سبحانه يندب لنا من يدعونا ويريد منا ما يخالف [٤٨] الفضيلة في الغاية ، فإن كانت الدعوة التي دعا اليها محمد بن عبدالله هي

---

١) في الاصل : هي
٢) فى الاصل : اعرضنا
٣) في الاصل : طبيعة

الفضيلة في الغاية فما الحاجة كانت الى ذلك ؟ فقد تقدمت الدعوة الى هذه الطريقة والندبُ لها والحض عليها ، وإن كانت مخالفة لها وقد فرضنا أن ما دُعينا اليه من فضيلة التفضل هو في اقصى غاية فيها فما بقي لنا ما نُدعى اليه سوى النزول عن تلك الفضيلة في الغاية الى ما هو دونها ، وليس من فعل الحكيم أن يندب قوماً الى فضيلة هي دون الفضيلة التي كانوا نُدبوا لها وإن قصّر بعضهم عن بلوغ غايتها ، فما من سنة وإن سهل احتمالها الاّ ومِن اهلها مَن لا يقوم بجميع ما فيها بل لعلة انما يتمسك باليسير من اوامرها ، فاذا تبين أن ذلك مما لا يسوغ أن يفعل الحكيم مثله فقد [1] وجب ضرورة ألاّ نكون مدعوين الى سنة بعد سنة سيدنا المسيح لأنا قد ندبتنا سنته الى اقصى غاية في التفضل وهو افضل الفضائل

فقد بقي علينا أن نبين ما ذكرناه من أن الفضائل التي دعانا سيدنا المسيح الى استعمالها هي في الغاية من التفضل الذي هو اتم في معنى الفضيلة من العدل فنقول : انه لما كانت قوى النفس ثلاثاً على ما قد بينته الاوائل هي الشهوانية والغضبية والناطقة وكان انقياد الشهوانية والغضبية للناطقة هو النظام الصحيح ما قمع كل واحدة من تينك [2] قمعاً في الغاية وجعلهما منقادتين للناطقة ، أما الشهوانية فانها لما كانت أداتها ومادتها في نيل

---

١) في الاصل : قد

٢) في الاصل : ذينك

مآربها انما هي المقتنيات ما قال في اوامره لاصفيائه : « لا تقتنوا شيئاً البتة » [١] واذا نحن أطعنا في هـذا الامر انحسمت عنا مواد الشهوات وضعف تسلطها علينا واستولى على هذه القوة معنى الناطق الذي يتناول من هذه اعني من المقتنيات بمقدار الحاجة اليها في القوام لا غير ، وفي [٢] ضمن هذا الفعل المؤاساة والايثار واطراح المجاذبة والمطالبة على الاملاك والمقتنيات بالواحدة ، فما بقي لهذه القوة من قوى النفس سطوة ولا صولة بما أمرنا به من ذلك فقد جعلها منقادة الى القوة الناطقة . ثم عاد الى تقويم النفس الغضبية وإن شئت فقل القوة الغضبية[٤٩] فطالبنا بالاحسان الى اعدائنا والدعاء لهم والانقياد لما يدعوننا اليه ومساعدتهم والمحبة لهم [٣] وهو يعني بذلك أن يكون ما نصدره من الافعال اليهم مثل الذي نصدره الى من نودّ . ثم عاد الى امر القوة الناطقة فقال لنا : « افحصوا [٤] العلوم فانكم تجدون فيها حياة نفوسكم » [٥] وقال في مكان آخر : « ان ملكوت السماء محصورة [٦] فيكم » [٧] يشير بذلك الى القوة الناطقة التي فينا اذا جرت افعالها على ما يجب . فاذا كان نهج في كل قوة من قوى النفس اقصى

١) انجيل متى ١٠ : ٩ و ١٠
٢) في الاصل : في
٣) انجيل متى ٥ : ٤٤
٤) كان ينبغي له ان يقول « افحصوا عن العلوم » ولكنه حملها على « امتحن »
٥) انجيل يوحنا ٥ : ٣٩
٦) انظر حاشية ٥ من ص ٢٨
٧) انجيل لوقا ١٧ : ٢١

الطرق التي من شأن تلك القوة أن تفعله في التفضل الذي هو افضل الفضائل فلم تبقَ علة يُعتلّ بها في دخول النقص على سنته حتى يقتضي ذلك ارسال مرسل يسنّ سنة أخرى يقوّمنا بها . فقد بان ببيان ذلك الغنى عن نسخ هذه الشريعة اعني النصرانية بشريعة أخرى سواها لانها لا يجوز أن تُنسخ الاّ بشريعة تحطّنا عما دُعينا اليه من الفضيلة فيها ، وهذا ما لا يمكن ولأنه من القبيح في العقول السليمة أن تتبين لنا الطريق في الفضيلة الكاملة ونُندب لها ثم يعود النادب لنا لذلك فيندبنا لما هو دونها ، لأن صورته في هذا الندب الثاني صورة من يقول : اطرحوا الفضيلة الكاملة وارجعوا الى ما هو دونها وليس هذا من صفات الجواد الحكيم [1]

ووجدته رضي الله عنه قد قصّر في تعديد وجوه الخلاف بين النصارى وبينه لانني ما وجدته ذكر امر الاتحاد وهو مما لا يعترف به اهل نحلته ، ايدهم الله ، ولولا كراهيتي الاطالة لبينت وجوبه ولزومه لكني أُرشِدت الى أن التقصير قد وقع في الوجوه التي فيها خلاف بين أبي القسم والنصارى [2] ، فأما الجواب عن قوله « فانهم يقولون انه ثلاثة اشياء وهذا يوجب التجزؤ » فانه في ضمن ما ذكرناه في شرح قولنا في التثليث وما يذهب اليه النصارى فيه ، فلزوم ما يقول النصارى لابي القسم يوجب عليه ما يجب عليهم ، واذا كان التكثير انما لزم من جهة الصفات ،

١) راجع المعنى الاول من مقالته لبشر بن فنحاس بن شعيب الحاسب ص ٢٧ وما بعدها

٢) في الاصل : بين ابي القسم وبين النصارى

والصفات لازمة لجملة الذات لا لجزء منها اذ كانت لا تتجزأ ، فقد بطل معنى التجزوء فيها والتقسيم . وقوله « وكذلك النبوة الكلام عليهم فيها هو الكلام على اليهود » والجواب عنه ما قد قدمنا ذكره [٥٠] من الغنى بعد ما دعانا سيدنا المسيح اليه عز داع الى شيء اذ كان ما ندبنا اليه موسى عليه السلام وسيدنا المسيح قد استغرق سيرتي العدل والتفضل في الغاية وهما السيرتان الفاضلتان ولم يبقَ قسم ثالث نُندب له ونحض عليه مما فيه فضيلة

قال أبو القسم « فأما التثليث فان الوجه فيه أن تؤخذ علتهم التي من اجلها اعتلّوا وذهبوا الى ذلك فيعارَضوا [١] فيها بما نحن واصفون إن شاء الله » — قال المجيب : قد اصاب أبو القسم في الطريق التي نهجها للمتكلم في كل شيء يُعطي فيه علة متى كان باطلاً فيعارِض في علته بما يفسدها ، فأما الاعتراض في العلة التي يأتي بها المتكلم متى كانت صحيحة فانه يفضح المعتلَّ المعترِضَ لا العلة ولا المعترَض عليه

قال أبو القسم « فمما بلغنا أنهم اعتلّوا به أنهم قالوا : وجدنا من لا ابن له ناقصاً [٢] والذي له ابن اكمل فوجب أن نصفه بالصفة التي توجب الكمال والفضل ، قيل لهم : فقولوا ان له عينين ويدين بمثل علتكم هذه » —

---

١) في الاصل : فيعارضون

٢) في الاصل : ناقص

قال المجيب : هذه العلة التي أتى بها ليست [١] من العلل التي يرضاها علماء النصارى وامرُها واضح الفساد من جهة ليست الجهةَ التي اعتمد عليها أبو القسم ، وذلك أن الشيء انما يُعدّ ناقصاً متى قصّرعن الفضيلة التي توجد [٢] لجنسه وتختص بها نوعَه ، فأما إن قصر عن فضيلة ليست لنوعه بل هي لشيء آخر فليس ذلك بنقص له ولا عار عليه وذلك أن سرعة الاحضار من الفضائل الموجودة للفرس ولا يُعدّ الانسان ناقصاً متى لم يوجد له السرعة وشم الروائح من البعد الشديد من فضائل الرَخَم [٣] وليس الانسان منقوصاً ولا مؤوفاً متى قصّر عنها ، واذا كان الامر على ما اظهره الاستقراء من قولي فليس من النقص في ما لا حاجة به الى الأخلاف لان ذاته لا يتطرق عليها العدم حتى تحتاج الى الأخلاف لبقاء النوع ، وانما يحتاج الى الأخلاف ما يتطرق على ذاته الفساد حتى متى [٤] عُدمت ذاته بقي من نوعه ما هو علة ايجاده [٥١] فلم يبِد ، فأما الباقي بلا زوال ولا نفاد فلا حاجة به الى الأخلاف بل انما يحتاج اليه الفاني الزائل . فأما ما عارض به أبو القسم علة القوم فانه مقصور على أن يكون النقص انما يلزم الذات متى عدمت شيئاً من الاشياء او شيئاً من الافعال والاستطاعات ، وهذا يوجب أن يكون البارىء تعالى لا يخلو من النقص بجهة من الجهات

---

١) سقط في الاصل : ليست
٢) انظر حاشية ٥ من ص ٣٥
٣) طائر ابقع يشبه النسر في الخلقة وهو المعروف عند العامة بالشوح
٤) سقط في الاصل : متى

الاّ اذا ساوى سائر الاشياء في افعالها وخلقها واخلاقها واستطاعاتها ، وفي هذا من الشناعة ما لا خفاء [1] به عن كل ذي عقل وإن قلّ و بصيرة وإن ضعفت

قال أبو القسم « ومن ذلك أنهم قالوا : ان الابن نطق والروح حياة ومن ليس بناطق فهو اخرس ومن لا روح له فهو ميت ، قيل لهم : فان من ليس بفاعل فهو عاجز او تارك او مُحال منه الفعل في ذلك الوقت فقولوا انه لم يزل فاعلاً او تاركاً لتنفوا عنه العجز واستحالة وقوع الفعل ومن لا يد له هي بعضه اشلّ ومن لا عين له أعمى ومن لا ذكر له أنثى » — قال المجيب : قد أتى أبو القسم في هذا القول بعلة أخرى نسب النصارى الى الاعتلال بها في وجود التثليث وهي أنه حكى عنهم انهم يقولون « ان الابن نطق والروح حياة » وليس على القائل لما يقولونه على جهة التمثيل أن يكون المثال شبيهاً بالممثَّل به من كل جهة ، فأما قوله « ان من ليس بناطق فهو [2] اخرس » فلست اعلم أن النصارى قط ذهبت ولا واحدة [3] من فرقها الى أن معنى النطق في البارىء تعالى هو المقابل للخرس بل الى ما يقابل البهيمية ولا ذهبوا في وصفهم البارىء جل اسمه بالحي الى المعنى الذي تقابله الميتوتة بل الى ما يقابله العدم ، و بالجملة فليس العلة التي توجب

---

١) في الاصل : خفى
٢) سقط في الاصل : فهو
٣) في الاصل : واحد

عندهم التثليث هي هـذه العلل التي ذكرها عنهم بل غيرها وهي أنهم يعتقدون أن من صفات البارىء تعالى مع بساطة ذاته أنه عالم بسائر الاشياء ، وادراكُ المعلومات يوجب معنى العقل للمدرِك فلبساطته وجب ألاّ يكون عاقلاً من هـذه الجهة بل انما يكون عقلاً [1] اذ كان ليس يُحتاج على الجهة البسيطة في الشيء الى أن يكون مدرِكاً لعلم الموجودات الى اكثر من العقل ، ولأن اول معقولات العقل ذاته على ما قد تبين في الـكتب في العقل ما وجب لذاته أن تكون مع أنها عقل هي [٥٢] معقولة ايضاً لذاتها ، وبكونها معقولة لذاتها تصير عاقلة ذاتها ، فتصير هذه الذات ذات ثلاث صفات ذاتية لها متى أُقِرّ بعلمها بسائر الموجودات او ببعضها وهي أنها عقل وعاقل ومعقول ، وكني عن هذه الصفات الثلاث بصفة الآب والابن والروح لتكون هذه الصفات رامزة الى تلك [2] وداعية الى البحث عن حقيقتها فيصير لنا بالبحث عن ذلك كمال العلم بامر البارىء سبحانه ، لأن البسائط وبالجملة الامور البعيدة عن الحواس انما تُعلم إما بالمناسبة بينها وبين معلوماتها او بالمناسبة بينها وبين ذاتها [3] ، وقد كان موسى النبي عليه السلام بين لنا بما ذكره من أمر الحدَث ووصفِ خلق الخلائق المناسبةَ التي بين العلة ومعلولاتها من قِبل أن وجود المعلول

---

١) في الاصل : عاقلا

٢) في الاصل : رامزة تلك

٣) راجع ص ٩ من رسالته في معان سأله عنها بعض اخوانه ـ والمعنى الثالث من مقالته لبشر بن فنحاس

موجب وجودَ العلة لا محالة ، وأتى سيدنا المسيح بالطريق الأخرى وهي التي نعلم بها من امر هذا المعنى البعيد عن الحواس عند ذكره الصنف الثاني من جهتي العلم به وهي المناسبة بينه وبين ذاته ، فكمل بذلك العلم بالباريء سبحانه وقد مضت لنا الاجابة [١] عن أن ليس كل من عدم شيئاً هو فضيلة لغيره يُعدّ ناقصاً لعدمه ذلك في ذاته بما فيه كفاية

قال أبو القسم « فان اعتلّوا بما وجدوا في كتابهم فان فيه أن المسيح قال : « اذهب الى أبي وأبيكم » [٢] فإن وجب بهذا القول أن يكون المسيح ابنه على ما ذهبوا اليه وجب أن يكون جميع من خاطبهم ابناءه ايضاً » — قال المجيب : لعمري انهم لو [٣] اعتلوا بالعلة التي ذكرها أبوالقسم للزمهم ما ذكر أنه لازم واذ ليس يقولونه فليس لازماً لهم ، على أن معنى الابن عندهم ينتظم من [٤] معنيين : احدهما الابن الذي هو من طبيعة أبيه على مثل ما نحن عليه من آبائنا فهذه المناسبة توجب تساوي المتناسبين في الجوهر والطبيعة ، والأخرى نسبة اختيارية مثلما [٥] ينتسب الانسان الى من يقتدي بافعاله فقد يقال عندهم في من اقتدى في افعال الخير بالله أنهم ابناء الله وكذلك في من اقتدى في افعال الشر بالشيطان انهم ابناء

---

١) مر بك ذلك في ص ٦١
٢) انجيل يوحنا ٢٠ : ١٧
٣) سقط في الاصل : لو
٤) سقط في الاصل : من
٥) في الاصل : ما

الشيطان ، ويسمون ايضاً بالابن معنى ثالثاً على جهة هي اعمّ ، فالمعلول عند العلة يشبه نسبة الابن عند الآب فانهم من اجل هذه المشابهة يجعلون المعلول ابناً والعالّ أباً [1] ، وليس يعتقد النصارى [٥٣] في قوله « اذهب الى أبي وأبيكم » أن جهة الابوة فيه وفيهم اعني مخاطبة واحدة بل تختلف لأن جهة الابوة عند القائل طبيعية وعند المخاطبين على جهة الاقتداء بالافعال على ما قلناه

قال أبو القسم « قد سألهم الاسكافي فقال لهم : أليس الآب له ابن؟ قالوا : بلى ، قال : فالابن لا ابن له ؟ قالوا : كذلك هو ، قال لهم : فكيف يكون الذي له ابن هو الذي لا ابن له وكيف يجوز أن يكون الابن غير اله ؟ » ـ قال المجيب : هذه المسئلة ليست موافقة لما بنى أبو القسم عليه تثليث النصارى وذلك أنه بنى تثليثهم على التجزؤ والتكثير وهذا بنى تثليثهم على وحدانية الذات الموصوفة بهذه الصفات ، وهذه الصفات [2] لو كان معنى الابوة والبنوة فيها هو محمول على ظاهر اللفظ للزم ما ذكره الاسكافي ، فأما والمعنى [3] فيها هو ما ذكرناه اعني أن معنى الآب هو معنى عقل ومعنى الابن هو معنى عاقل فلا مانع يمنع من أن يكون الشيء

---

١) في علم اللاهوت النظري يقال « ان الاب هو مبدأ الابن وان الابن صادر عن الاب »

٢) سقط في الاصل : وهذه الصفات

٣) في الاصل : المعنى

الواحد عقلاً ويكون مع ذلك عاقلاً ذاته فيكون الشيء الواحد عقلاً وعاقلاً ومعقولاً ، ولا يلزم لذلك المحالُ الذي رام الاسكافي الزامه وهو أن يكون الشيء الواحد والداً وغير والد معاً . فأما قوله « ان الآب غير الابن » فقول الحق لأن كل شيء لا يخلو من أن يكون إما هو شيء ما او هو غيره واذا كان الآب ليس هو الابن فهو غيره ، وليس ذلك محالاً كما انه ليس بمحال [١] أن يقال ان الحكيم وهو [٢] المعنى المنتظم من الذات والحكمة هو غير معنى الجواد ، فأما اذا نحن لحظنا الموضوع لهذه الصفات مجرداً في عقولنا فانه واحد لا يتكثر بجهة من الجهات ، واذا نحن نظرنا الى الموضوع مع واحدة واحدة من الصفات كانت [٣] الذات مع واحدة واحدة منها غيرها مع الصفة الأخرى فيصير حينئذ واحداً من جهة الذات كثيراً من قبل الصفات ، أباً من جهة ما هو عقل وعلة ابناً من جهة ما هو عاقل ومعلول [٤] ، فلا يكون ذلك محالاً . فقد بطل ما رام الاسكافي الزامه النصارى بما بيناه

قال أبو القسم « وسألهم ايضاً فقال : اذا كنتم تعبدون المسيح والمسيح اله وانسان فقد عبدتم الانسان [٥٤] ومن عبد الانسان فقد كفر عندنا

---

١) في الاصل : محال

٢) في الاصل : هو

٣) سقط في الاصل : كانت

٤) انظر حاشية ١ من الصفحة السابقة

وعندكم » ـ قال المجيب : انا وإن كنا نُحلُّ المسيح محل المستحق للتعظيم والتألّه فان ذلك عندنا من قِبل احدى الذاتين اللتين هو متقوم منهما ، فنحن نصفه بأنه اله من قبل احدى الذاتين اللتين جملته متقومة منهما [١] وهي [٢] ذات الاله الابن ، وليس بديعاً أن يُعظَّم الشيء من بعض الجهات وإن كانت بعض اجزائه على انفرادها غير مستحقة التعظيم استحقاق الجزء الآخر ، مثال ذلك الانسان زيد مثلاً الذي يوجب له التعظيمَ احدُ اجزائه وهو عقله وليس بمستحقّ لذلك من قِبل ما يأكل أكلاً كثيراً ولا من قبل أنه لين الطبيعة وأنه متعذرها ولا من قبل ما له من الاعضاء كالعانة والذكر فتعظيمنا لزيد مثلاً ليس هو من قبل هذه الامور بل من قبل أنه عاقل وأنه ابن فلان الرئيس والذي منزلته من السلطان المنزلة الفلانية ، واذا جاز أن يكون للشيء الواحد احوال يوجب بعضها تعظيمه ولا يستحق التعظيم من بعضها ويكون الاعظام للجملة من قبل استحقاق [٣] بعض [٤] الاجزاء لذلك ولا يلزم ما رام الاسكافي الزامهم اياه من عبادة الانسان

فهذا يا سيدي ، جعلني الله فداك ، ما ذكره أبو القسم رحمه الله

---

١) في الاصل : منهم
٢) سقط في الاصل : وهي
٣) في الاصل : الاستحقاق
٤) سقط في الاصل : بعض

Institute of Oriental Studies of American University at Cairo

في الرد على النصارى وقد ذكرت ما عندي فيه بقدر قوتي الواهية وقلبي المضطرب الفكر ، والله اسأل حسن الهداية وهو وليّ ذلك بفضله وطوله ومنّه وجوده فتعذر في الهفوة إن وُجدت والزلّة إن كانت فانت تعرف الزمان وقواطعه والشغل الذي نحن اليه مدفوعون وتنبه عليها لاتأملها وأصلحها إن شاء الله تعالى

٤

[٥٥] مقالة يحيي بن عدي بن حميد بن زكريا رضى الله عنه التي اوعز بالرؤيا الى تلميذه وشيخنا أبي علي عيسى بن اسحق بن زرعة بتصنيفها عنه فصنفها ممتثلا لامره في سنة ثمان وستين وثلاثمائة (١)

اسعدك الله يا سيدي وكبيري واخي واثيري واطال بقاءك [٢] ، كنتُ عرّفتك حال رؤيا رأيتُها في أمر العقل فسألتَ أن اشرحها لك وما آلت اليه الحال بعدها لتقف عليه وانا ذاكر ذلك في هذه الرسالة لاؤدّي بما اضيفه فيها حق مسئلتك واتمم ما رسمه شيخنا أبو زكريا ، رضي الله عنه وأرضاه وأحسن منقلبه ومآبه ومثواه ، وارجو أن ابلغ في ذلك لمبلغ الكافي واكون في جميعه على الحق الذي لا معدل عنه إن شاء الله

كنتُ رأيت كما يرى النائم في الليلة التي صباحها يوم الثلاثاء الثامن من نيسان سنة تسعين ومائتين [٣] والف للاسكندر وهو الثامن من

---

١) اي : ٩٧٨ مسيحية

٢) لا نعرف من اليه وجه ابن زرعة هذه المقالة

٣) في الاصل : ومائتي

شهر رمضان سنة ثمان وستين وثلاثمائة [١] بعد أن كان قد جرى النظر في تخليص امر التثليث الذي تعتقده النصارى مع ما مثّل به شيخنا رضي الله عنه قنوم الآب بالعقل والابن بالعاقل والروح بالمعقول وقولِ الاوائل في البارىء جل اسمه انه عقل ، فالآب [٢] إن كان العقل على ما اعتقده شيخنا رحمه الله هو ذات البارىء على رأي الاوائل والعقل على ما تراه القدماء بسيط ، وقنوم الآب مركب من الجوهر الازلي ومن معنى الابوة لم يبقَ لنا وجه نقيمه مقام الجوهر الذي منزلته عند الاقانيم منزلة الموضوع لبساطة العقل وتركيب قنوم الآب ، فلما كان في الليلة المذكورة رأيت شيخنا أبا زكريا رضي الله عنه ضاحكاً اليّ باشاً بي وهو يقول : اني اريد أن [٣] اسألك عن شيء ، قلت له : يقول سيدي الشيخ ما هو ، فقال : العقل عندك بسيط أو مركب ؟ فأجبته في الوقت بما لم اكن فكرت فيه قط ولا خالج سرّي وهو [٤] أن العقل مركب ، فضحك ضحكاً شديداً [٥٦] وجمتُ له ، فقال لما رأى وجومي وهو يشير اليّ بأصبعه : هذا صحيح وهو الحق ، ثم قال بعد ذلك : في نفسي من أمر العقل خمسة او ستة معانٍ اريد أن تعمل مقالة تضمنها اياها وتنسبها اليّ

---

١) انظر حاشية ١ من الصفحة السابقة

٢) في الاصل : فالاب الان . ولا حاجة الى اقحام كلمة « الان » هنا

٣) سقط في الاصل : ان

٤) سقط في الاصل : وهو

فانني انا لا اقدر على تصنيف شيء فإن لم تقدر على ذلك كلفته أبا الخير يعني الحسن بن سوار ، أسعده الله ، ولاح لي مع قولي له في العقل انه مركب الوجهُ الذي عليه يصح القول في العقل انه مركب وهو اول المعاني الحاصلة لي فيه مما لم اقصّ قولاً في معناه ولا سمعته ، ثم تلا [١] ذلك معانٍ أُخر أخرجها الفكر في امر العقل فاثبتُّها [٢] بالفاظ هو رضي الله عنه احقّ بها لأنه الباعث على استنباطها والكلام في معناها ، وبالله استهدي واياه استعين وهو حسبي ونعم المعين :

فأول المعاني التي اذكرها هو المعنى الذي يظهر أن العقل مركب وأنه ليس في غاية البساطة وهو أن العقل لما كان امراً من الامور موجوداً يتقوم معناه [٣] بانضمام معنى القوة على تصور سائر المعقولات اليه وكانت القوة المضامة الى تلك الذات ليست الذات نفسها ، فلهذه العلة تكون الذات على التجريد اذا نُظر اليها من حيث لها قوة على التصور بالمعقولات ابسط منها اذا كانت تلك القوة مضمومة اليها ، فاذا كان الامر كذلك فالذات مع القوة اذا اجتمعتا كان الامر المجتمع منهما وهو [٤] معنى العقل مركباً لا بسيطاً [٥] ، واذا كان ذلك كذلك خلص القول بالتثليث على

---

١) في الاصل : ثم وتلا
٢) في الاصل : اثبته
٣) في الاصل : معنا
٤) في الاصل : هو
٥) في الاصل : مركب لا بسيط

ما مثل به شيخنا رضي الله عنه لأن الموضوع للعقل يقوم مقام الجوهر في قنوم الآب وهو جوهر ، والصفة التي تقوّم ذات العقل تنوب مناب الصفة [١] المختصة بقنوم الآب وهو معنى الابوة

والامر الثاني ان الذي استنبطته من امر العقل أن فعله في [٢] الاشياء المركبة تحليلُها حتى يعقلها فانها اذا كانت شديدة التركيب لم ترتقِ اليه ولم يمكن انحطاطه اليها وانما يقدر على ذلك بتحليلها فانه اذا حلّلها وصل الى معرفتها ، مثال ذلك ان العقل لا يمكنه أن يصل الى أن يعقل زيداً الاّ من جهة صورته التي هي الانسانية ومن [٣] قبل صورته فقط ، فأما من حيث [٥٧] هو هذه الجملة المركبة فلا طريق له الى الوصول الى علمها [٤]

والامر الثالث ان العقل لا يمكن أن يدرك ما كان في غاية البساطة لأنه انما يدرك الامور الموصوفة ، والامور التي في غاية البساطة لا صفة لها فانها بما هي موصوفة مركبة لان الصفة منها غير الموصوف ، ولعلّ متشككاً [٥] يتشكك في هذا الموضع فيقول : قد وصفته بقولك انه لا صفة له ، فقوله حق ، الاّ انه ينبغي أن يستعمل الانصاف فاني لم اقدر على تصوير هذا المعنى في نفس من اردت تخييله له الاّ بالعبارة ولا عبارة في

---

١) في الاصل : صفة
٢) سقط في الاصل : في
٣) في الاصل : من
٤) في الاصل : علمه
٥) في الاصل : متشكك

النفي ابلغ من النفي المطلق ، لا على أن النفي يُثبَت له معنى كما يثبِت غيرُ الناطق للثور والفرس والبهائم بالجملة معنى يقابل الناطق وإن كانت العبارة عنه بالنفي ، بل على أن الشيء الذي قد نُفيت عنه سائر الصفات انما يُفهم منه ذات ليس يتصل بها معنى من المعاني ولا يقارنها ولا ينضم اليها ، فأما حقيقة الامر فهي أن البسيط في غاية البساطة انما يُفهم بها من غير أن يوصف بشيء يوجد له . فاذا كان الامر كذلك فالعقل اذاً انما يدرِك على ما يجب الامورَ الموصوفة لتكون محدودة بالصفة فيحتوي عليها وتتقرر عنده [1] ، وذات الامر الذي في غاية البساطة لا صفة له فالعقل يكلُّ عن الوصول الى الاحتواء على تحصيل الامور البسيطة غاية البساطة على ما ينبغي وانما قلت على ما ينبغي من قبل أنه قد يدرِك من [2] أمر غير الموصوف أنه موجود دون العلم بماهيته وحاله

والمعنى الرابع هو أن اول معقولات العقل ذاته ، والسبب الذي من اجله كان كذلك فقد قال هذا القول في العقل المتقدمون ولم اجد من ذكر السبب فيه ، والذي ظننته سبباً لذلك هو أن العقل لما كان كما قلنا انما يدرك الامور اذا كانت مركبات في الغاية عند تحليلها ، فاذا كانت بسائط في الغاية فعند ما تُلحظ موصوفة ، فقد لحقها بذلك ضرب من التركيب صارت به من طبقة العقل في التركيب مع تعرّي هذا المركب من هيولى

---

١) في الاصل : عندها

٢) سقط في الاصل : من

واعراض ، وكانت هذه حال الامور[1] البسائط اذا نُظر اليها من حيث هي موصوفة ، وذاته هذه حالها اعني أنها من الذوات البسائط التي يُنظر فيها من حيث هي موصوفة ، فعقله اذاً للامور يكون عند تصييره اياها من جنسه [٥٨] إما بالتحليل إن كانت مركبات او بالنحو من التركيب الذي ذكرنا من ضم الصفات الى الذوات إن كانت بسائط ، واذا كان انما يعقل الامور بعد أن يصيرها من جنسه في البساطة والتركيب وكانت ذاته مما من شأنه أن يعقله وليس يحتاج فيها الى تحليل ولا تركيب فهي[2] أول الامور المعقولة عنده وأقربها منه ، وهذا يبين به السبب الذي من اجله كان العقل اول معقولاته ذاته والسبب الذي من قبله لا يشتمل العقل على الامور البسائط الاّ اذا كانت موصوفة وأن الذي لا صفة له البتة غير محدود ، وغير المحدود[3] ليس من شأن العقل ادراكه والوقوف عليه

والامر الخامس الذي وجدته من امور العقل ولوازمه أن العقل اذا نُظر اليه بالقياس الى الامور التي دونه في البساطة والشرف كان بسيطاً واذا لُحظ بالاضافة الى ما هو فوقه كان مركباً ، وهذه الحال انما وُجدت له وكان كذلك من قبل أنه ليس في غاية البساطة ولا في غاية التركيب على ما بينا ، ولهذه العلة يصير بالاضافة الى البسيط بالحقيقة مركباً و بالاضافة الى المركب على الصحة بسيطاً

---

١) في الاصل : امور
٢) في الاصل : هي
٣) سقط في الاصل : وغير المحدود

والمعنى السادس أنه أول هيولى وأول الاشياء التي يطلق عليها اسم البساطة مما يوصف ويعبر عنه لأن ما فوقه لا يمكن أن يعبر عنه لبساطته في الغاية ، فأول ما يطلق عليه اسم البساطة من الموصوفات هو العقل والهيولى [١] وبعدهما النفس لأن معنى النفس يتقوّم من اكثر من صفة واحدة وهذان يتقوم كل واحد منهما بصفة واحدة فهما ابسط من النفس والنفس اشد تركيباً [٢] منهما ، فأما ما قبله مما هو بسيط بالحقيقة ولا عبارة لنا تؤدي الى معناه ولا صفة فهو البارىء تعالى الذي انما يُعقل من امره بأنه كناية عن الوجود ولا يعبر بشيء عنه ، ولهذه العلة كان افلاطون في ما يقال يمنع [٣] من أن يعبر المعلم للمتعلم عن هذا المعنى بشيء ويقول ما هـذا معناه : ان الذي على المعلم اعطاء الاصول التي تؤدي الى معرفة هذا المعنى ، فأما الجمع لها والعبارة عما يوجبه مجموعها فكان لا يطلق ذلك ، ويقول : ان هذا مما لا [٤] ينبغي أن يفوض الى المعلم ليستنبطه بنفسه ولا يكون فعله ذلك بخلاً به لأنه مما لا تفيدنا العبارة معرفة ذاته وانما تعرّفنا الاشياء [٥٩] التي هي خارجة عن ذاته وبالاستنباط [٥] نصل الى معرفة ذاته من غير عبارة

---

١) يريد : الهيولى الاولى
٢) في الاصل : تركيب
٣) في الاصل : ويمنع
٤) سقط في الاصل : لا
٥) في الاصل : بالاستنباط

فهذه المعاني التي خطرت ببالي في امر العقل وهي التي [١] المبين لها والباعث عليها والمرشد اليها شيخنا أبو زكريا رضي الله عنه فهو أولى بهذه الرسالة واحقّ لو لم يكن رسم أن تُنسب اليه ، فأما وقد رسم ذلك فلا معدل عن قوله ولا رجوع عن امره فإن اكن أصبت فبفضل الله وحسن ارشاد شيخنا رضي الله عنه وإن اكن ضللت فبالله استهدي وبه استعين وهو حسبي ونعم المعين

٥

[١] رسالة في حدوث (٢) العالم ووحدانية الخالق تقدس اسمه وتثليث الاقانيم (٣) تأليف الاب الاوحد مار ايليا مطران نصيبين واعمالها (٤) بركاته علينا امين

سألت ، تغمني الله بك وأمتعك بفعل ما يرضيه ، أن أورد في رسالة اصدرها اليك البراهين الدالة على حدوث العالم ، ووحدانية الخالق تعالى ، وتثليث الاقانيم ، ففعلت ذلك وأنشأت هذه الرسالة وبينت فيها ما التمسته بأسهل طريق وأيسر سبيل وسألتُ الله عز وجل أن ينفعك بما أوردته وأن يوفقك لطاعته ومرضاته

---

١) في الاصل : في امر العقل التي

٢) في الاصل : حدث . وقد تكرر هذا الخطأ في الرسالة كلها

٣) في خزانة كتبي نسختان من هذه المقالة الاولى رقم ١٠٢٤ خطت سنة ١٥١٣ للشهداء اي ١٧٩٦ للمسيح والثانية رقم ١٥٣٦ كتبت سنة ٦٧٠ للهجرة اي ١٢٧١ للميلاد وقد استندت الى الثانية في نشرها بعد معارضتها بالاولى

٤) اطلب ترجمته في كتاب اداب اللغة السريانية R. Duval. la Littérature syriaque p. 394 — 395 ; 2e édit . 1900 وفي مجلة المشرق السنة الخامسة ١٩٠٢ بيروت ص ٣٣٧ وما بعدها

اعلم ، وفقك الله وأحسن توفيقك ، أن لو فارقتنا الارض والهواء مفارقة النار والماء لما كان لنا بقاء ، ولو ماستّنا النار والماء مماسة الارض والهواء لما كان لنا ثبات لحظة

تأمل أمر الشمس [١] وحركاتها المختلفة كيف ترتب الفصول المستعملة اعني الربيع والخريف والصيف والشتاء : فلولا الحركة الأولى التي من المشرق الى المغرب لما عُرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا مقادير أعمال الصنّاع ولا العمال ولا عدد السنين ولا الشهور ولا كانت أيضاً فرائض الديانة من الصوم والصلاة تصحّ وكانت تبطل أشياء كثيرة قد رُتبت على أحسن نظام ، ولولا حركتها الثانية التي من المغرب الى المشرق لما عُرفت السنون الطبيعية والشهور ولا السنون الدينية والفروض ولا الاوقات لسير [٢] الواجبات والحقوق والمعاملات ، ولولا حركتها الثالثة التي من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال لكان الزمان كله واحداً لا فرق فيه بين الربيع والخريف ولا بين الصيف والشتاء ، ولو كان الأمر على هذا لهلك جميع [٢] ما على وجه الارض من النبات والحيوان ، لأنه ما كانت الاشجار تورق في الربيع وتثمر في الصيف ، ولا كانت الغلاّت تدرك في الخريف ، ولا الامطار تجيء في الشتاء ، ولا كان يوجد شيء من أنواع النبات

---

١) لا يخفى ان المصنف رحمه الله يتكلم في مقالته بحسب المعارف القديمة

٢) في الاصل : بسير

تأمل حال تغيير الازمنة اعني الربيع والخريف والصيف والشتاء وكيف تكون على تدريج لمصلحة جميع الاشياء وأنها لو تغيرت فجأة وبغتة لكان في ذلك أكبر فساد ، وذلك أنه لو خرج الناس من نفس الشتاء الى نفس الصيف أو من غاية الصيف الى غاية الشتاء بغتةً لهلك الناس وكل ما في العالم ، ولذلك جُعل بين الشتاء والصيف الربيع وبين الصيف والشتاء الخريف ، فهما يعدّلان الازمنة ويغيرانها على تدريج فلا يلحق الاجسام آفة من هجوم ما يناكرها اذا ورد عليها فجأة

انظر أنه لو كانت الشمس أقرب الى الارض من البعد الذي هي عليه لهلك بحرارتها ووهجها جميع ما على الارض من نبات وحيوان وكانت حرارتها تجفف المياه في الانهار والبحار فتغور [1] بأسرها ، ولو كانت أبعد مما هي عليه من الارض لقلّت حرارة الصيف ونقصت وتضاعفت برودة الشتاء وعظمت فهلك كل حي من ماشٍ وطائر وسابح لقوة برد الهواء وكانت أيضاً الثلوج تزداد [2] ولا تنحلّ لكثرتها ولنقصان حرارة الشمس

تأمل أمر القمر وترتيب حركاته والمنافع الظاهرة منه : فان بحركته تُعرف مُدَد الشهور والسنين ، وبزيادة نوره ونقصانه يزداد [3] الضوء بالليل وينقص وينشوء النبات والثمر لأن مع زيادته تزيد الرطوبات

---

١) في الاصل : فتغير
٢) في الاصل : تتزايد
٣) في الاصل : يتزايد

ومع نقصانه تتناقص ، وبحسب حركته تكون حركة الجزر والمد

تأمل أمر الكواكب وكثرتها وحسن نظامها وانظر أنه مع زينتها للسماء فيها فوائد كثيرة للذين يسافرون في البر والبحر فانها تهديهم الى المواضع التي يقصدونها ، وهي أيضاً تدفع بنورها ظامة الليل المدلهمة ، فلولاها لما كان يفرق الانسان بالليل [٣] بين كونه تحت السماء وكونه [١] في بيت مظلم ، كذلك ما كان يتحصل للانسان حركة بالليل [٢] أصلاً ، واذا وقف الحصيف على ترتيب الشمس والقمر والكواكب في اتفاق سيرها واختلافه [٣] وعلل ذلك واسبابه رأى في ذلك من الحكمة ما يحيّر العقل عنده ويتعجب منه حتى انه لو لم يكن دليل على وجود البارىء تعالى غير هذا لكان [٤] فيه كفاية

تأمل أمر المطر ومجيئه في الخريف والشتاء عند طرح الحبوب والبذور في الارض وانقطاعه في صدر الصيف عند حصاد هذه الحبوب ودراستها ، فانه لو دام السيل وتواتر في الصيف مثل تواتره في الشتاء لعفّنت الزروع وهلكت في بيادرها ولو انقطع عنها في الشتاء كانقطاعه في الصيف لهلكت ولم تنبت ، ولوكانت الامطار في الشتاء أزيد من

---

١) في الاصل : وبين كونه

٢) في الاصل : أيضا بالليل اصلا

٣) في الاصل : واختلافها

٤) سقط في الاصل : لكان

المقدار المحتاج اليه لغرقت الارض وفسدت الزروع ولو كانت أقل من ذلك لهلكت البذور وجفّت الزروع

تأمل أمر السحب الحاملة لماء الامطار وانظر أنها لو كانت أعلى وأرفع من المواضع التي تكون فيها لما وصل الى الارض منها قطرة واحدة لأن الريح كانت تفرّقها وتجعلها أجزاءً صغاراً لبعد المسافة ولشدة ما تلقاه من الرياح فتفرقها الى أن تصير كلها هواء ، ولو كانت أقرب الى الارض مما تكون عليه لصار القطر صبّاً لا ينتفع به الزرع وكانت تهلك به المساكن والبيوت وتُهدم السقوف

تأمل أمر الرياح واختلافها والمنافع بها ، فان اختلافها في الازمنة يجلب المطر ويثمّر الزرع ويقوّي الاجسام ويحمل المراكب والسفن من بلدة الى بلدة ، ولولا اختلافها لما كانت ريح الجنوب تعيد المراكب التي ذهبت بها ريح الشمال ولا ريح الشمال [١] تعيد ما ذهبت به ريح الجنوب ، وكان مع ذلك الفوائد المعدومة والامتعة المجلوبة من الجزائر والبلاد البعيدة غير موجودة

انظر كيف لما كانت انواع المحسوسات خمسة وهي المرئيات والمسموعات والطعوم والمشمومات والملموسات جُعل [٢] للجسد خمسة حواس وهي البصر والسمع والذوق والشم [٤] واللمس ليدرك بكل حاسة

١) سقط في الاصل : ولا ريح الشمال
٢) في الاصل : فجعل

منها نوعاً واحداً من المحسوسات من حيث لا تزيد الحواس على المحسوسات ولا المحسوسات على الحواس

تأمل أمر الحيوان الغير الناطق [١] فانك تجده لاجل عدم المعرفة والكلام قد أُعطي كل نوع من انواعه خاصية طبيعية يدرك بها ما يعجز الانسان الناطق عن ادراكه : فمن ذلك أنه لو [٢] اتفق في موضع واحد مائة شاة أو أقل أو أكثر وأنتجت جميعها في ليلة واحدة وأُخذ اولادهن فجُعلوا في موضع آخر ناحية عنهن ثم أُطلقت من غد اولادهن قدّامهن لكانت كل شاة تقصد ولدها وكل ولد [٣] يقصد أمه بلا غلط ، وهذا فوق معرفة الناس وذلك أنه لو اتفق أن تلد امرأتان في وقت واحد ثم يؤخذ ولداهما ويُجعلان في ناحية عنهما قبل أن تشاهداهما ثم يُعرَضان عليهما معاً لما فرقت الواحدة منهما بين ولدها وولد [٤] الأخرى ، وهذا من لطيف الحكمة لأنه لما كان الانسان قد أُعطي المعرفة والتمييز صار يدرك أموره بالموهبة العقلية التي منحه الله اياها ولما سُلب الحيوان الغير الناطق هذه الموهبة أعطي كل نوع خاصية بالطبع يدرِك بها ما يحرس نوعه بها ويعيش معه [٥] . ومن ذلك أمر الابل وامتناعه من شرب الماء

---

١) في الاصل : الغير ناطق . وقد تكرر هذا الخطأ في الرسالة كلها
٢) سقط في الاصل : لو
٣) سقط في الاصل : وكل ولد
٤) في الاصل : وبين ولد الاخرى
٥) في الاصل : معها

عند العطش الشديد لأنه يأكل الحيات ويتجنب شرب الماء لئلاّ يطير السمّ في جسمه ولذلك اذا رأى الماء ينهق ويعجّ من شدة عطشه ويقهر عطشه ويغلب شهوته فلا يشرب ، والانسان الناطق ربما غلبته شهوته فتابعها وخالف عقله ومذهبه . ومن ذلك أمر النمل وحرصه على جمع القوت وحفظه له في خزائنه ثم اذا اقترب الشتاء اخرج الحب من خزائنه وجعله مفروشاً على باب بيته ليلتين ثم يقطعه لئلاّ ينبت اذا مسّته نداوة الارض ثم يردّه ، والانسان ربما كسل عن فعل ما ينفعه ولم يسلك [٥] طريقة النمل في ما له فيه من المصلحة . ومن ذلك أمر النحل فانه يعمل من الزهر والماء شيئين جليلين وهما العسل والشمع ولو اجتمع سائر الحكماء وجمعوا سائر انواع الازهار والمآكل والمياه لما قدروا أن يركبوا منها مثلها ، ومن ظريف ما يعمله النحل ايضاً البيوت المسدسة التي يسكنها فانه لو اجتمع كل المهندسين والصناع لما قدروا أن يعملوا مثلها في الضوء والآلة والنحل يعمل في الظامة بلا آلة . ومن ذلك دود القزّ فانه يعمل ما يعجز جميع الناس عن عمل مثله . ومن ذلك امر الجراد الذي مع ضعف بطشه ومهانته يخرب البلاد العظيمة التي يعجز الملوك والسلاطين عن اخرابها [١] وذلك انما يتم باتفاق بعضه مع بعض واتباع بعضه لبعض [٢] ، ولما كان لا بقاء له عند الحر الشديد ولا عند البرد القوي صار يحصر نسله في

١) في الاصل : عن خرابها
٢) في الاصل : ببعض

مواضع من الارض لا يناله الحر ولا البرد فيبقى هناك شهوراً ثم يظهر من حيث لا يُرى والده ولا ولده ، والناس مع ما قد أُعطوا من العقل والتمييز لا يتفقون على ما لهم فيه مصلحة كاتفاق الجراد ولا يتبع بعضهم بعضاً [١] على منفعتهم مثله ولا يحرسون اولادهم مثل حراسته لنسله . وبالجملة فكل نوع من انواع الحيوان الغير الناطق الماشي والسابح والطائر مطبوع على ما يَعجب ذوو العقول منه عجباً يدلهم على حدوث الخلق ووجود الخالق

تأمل أشخاص الحيوان الغير الناطق الماشي منه والطائر فانك تجد كل شخص من اشخاص ما يُقتنى ويُستخدم منها [٢] مثل الخيل والحمير والبقر والدجاج والحمام مخالفاً للشخص الآخر لئلاّ يشبّه ما يملكه الانسان منها بما يكون لغيره ملكاً ، وما كان وحشياً لا يُقتنى مثل الغزلان والارانب وحمير الوحش والغربان والهداهد وغير ذلك تجد اشخاصاً متشابهة

تأمل تركيب أعضاء الحيوان وكيف خُلق لكل نوع من انواعه اعضاء تلائم شكله : فما كان من [٣] الطائر طويل الساقين جُعل له منقار طويل [٤] بقدر ساقيه ليبلغ [٦] الى الارض فيتناول به ما يحتاج اليه

---

١) في الاصل : لبعض
٢) في الاصل : منهم
٣) سقط في الاصل : من
٤) في الاصل : منقارا طويلا

من الغذاء وغيره ، وما كان قصير الساقين كان قصير المنقار ، وما كان من الجوارح مثل الباشق والبأز والنسر جُعل له مخالب [١] ومناقير قوية تعينه على الصيد وتقطيع اللحم ، وما كان ظهوره بالليل أعطي له حدة البصر ليرى بالليل كما يرى بالنهار سواه ، وما كان من الحيوان مفترساً مثل السبع والنمر والفهد خُلق له انياب ومخالب [٢] تعينه على الصيد وأكل اللحم ، وما كان منه مطلوباً مأكولاً مثل الغزلان والايائل والارانب وما شاكلها أعطي خفة السعي والعدو ليهرب من طالبه

تأمل أمر فراخ الطائر وكيف ما كان منها يخرج من البيض على الارض مثل الدجاج والدُرّاج والبطّ صار اول خروجه من البيضة يلتقط ويتناول الغذاء مثل الكبير من ابناء جنسه ، وما كان منها في الاعشاش في الشجر والمواضع العالية ألهم أباه وامه حمل القوت اليه وزقّه اياه الى حين يكبر فيطير ويأخذ القوت لنفسه

تأمل أمر ما تنبته الارض من الاشجار والزروع والحشائش وكيف مع تولد جميعها من الارض والماء يخالف بعضها بعضاً [٣] بالكبر والصغر وطول البقاء وقصره والروائح والطعوم والمنافع والمضارّ والالوان المختلفة : فمنها الاشجار التي تبقى السنين الكثيرة ، ومنها الزروع والحشائش التي لا بقاء لها ، ومنها ما له زهر ، والذي له زهر فمنه احمر ومنه اصفر ومنه

---

١) و ٢) في الاصل : مخاليب

٣) في الاصل : لبعض

ابيض وغير ذلك من الالوان العجيبة التي لا يقدر المخلوقون على توليد مثلها ، ومنها ما هو طيب الرائحة ومنها ما لا رائحة له ، ومنها ما يثمر ومنها ما لا يثمر ، والذي يثمر منه الحلو ومنه المرّ ومنه الحامض وغير ذلك من الطعوم ، ومنها ما يشفي من الامراض الصعبة ، ومنها ما يقتل . واذا تأمل الانسان اختلافها مع كون جميعها من ارض واحدة وماء واحد علم أن ذلك من فعل خالق حكيم

[٧] تأمل أمر الاشجار وجميع ما تنبته الارض وكيف خُلق لكل اصل كبير منها عروق كبيرة قوية بقدر اغصانه وكبره ولكل اصل صغير عروق صغيرة ضعيفة على قدر صغره ، وما كان طويلاً كانت عروقه غائصة في الارض بمقدار طوله فوق الارض ، وما كان متفرشاً على الارض [1] كانت ايضاً عروقه متفرشة على الارض بحسب كبره وصغره وذلك لتمسكه تلك العروق حتى لا تقلعه الرياح الهائلة اذا هبّت به وأيضاً لتجذب له تلك العروق من الماء ما يُرويه والاّ فلو كانت اغصانه على وجه الارض كثيرة وعروقه قليلة لما كان يثبت عند ممرّ الرياح فيه ولا كان ايضاً يجذب من الماء ما يرويه وجميعَ [2] اغصانه

تأمل أمر الجواهر التي تخرج من الارض مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزرنيخ والكبريت والنفط والزيبق والملح

---

١) سقط في الاصل : وما كان متفرشا على الارض

٢) في الاصل : والجميع

وما شا كل ذلك من الجواهر المعدنية فان في كل نوع منها فوائد جليلة للناس ، والعجب من استخراج الناس لها وكيف اهتدوا الى [١] استخراجها من معادنها بالسبك والحيل الطبيعية ، واعجب من هذا توليدهم منها بالاحراق والتكلس اشياء أُخر نافعة كالزنجار والراسخت والاسفيداج والزرنيخ والمرداسنج والزنجفر والمرتك وغير ذلك من الاشياء المعدنية ، ثم اعجب من ذلك ردّهم كل واحد من هذه الاشياء المحترقة اعني المكلسة الى جوهره الاول بصناعة قد اخترعوها وآلات استخرجوها يردّون فيها الراسخت والزنجار الى النحاس والاسفيداج والزرنيخ والمرداسنج والمرتك الى الرصاص والزنجفر الى الزيبق وهذا لو قيل لمن لا يعرفه لاستغربه واستبعده كما يستبعد من يشكّ في البعث والقيامة قولَ من يقول : ان الاجسام تُبعث وتقوم بعد الموت . وبالجملة ليس شيء من المخلوقات كبيرها وصغيرها نفيسها وحقيرها الاّ وفيه مصلحة ودلالة على حكمة الخالق وعنايته

[٨] فصل — فان قيل : ما المصلحة في الذباب والبقّ والبراغيث والقمل وما يشاكلها وأيّة دلالة فيها على الحكمة والعناية بنا ؟ قلنا : ان المصلحة في ذلك تنبيهنا [٢] على فرط العناية بنا وذلك أننا نجد الذباب والبقّ والبراغيث والقمل وما شاكلها مما ليس له [٣] قدرة على اذيّتنا اذية

١) سقط في الاصل : الى
٢) في الاصل : تنبهنا
٣) في الاصل : لها

بيّنة ملازمة لنا ملحّة بنا الحاحاً لا طاقة لنا في دفعها عنا ، وهي مع ذلك غير قادرة على اذيّتنا اذية تؤلمنا وتهلكنا مثل الزنابير والنحل والحيات والعقارب وما شاكلها التي تهابنا وتتجنبنا وتهرب منا ، فلولا عناية خفية وألطاف سرّية تزجر القوية المؤذية عنا لكان طمعها فينا اعظم من طمع الذباب والبق والبراغيث والقمل وما شاكلها وكان في ذلك هلاكنا [1] ، فاما رأينا أن القوية البطش الشديدة الأذى تهابنا وتتجنبنا وتهرب منا والضعيفة القليلة الاذية طائفة بنا وملحّة بنا علمنا أنه لم يخلق هذه الضعيفة الطامعة فينا الاّ لينبهنا على فرط العناية بنا ولنعلم أنه لو سُلّطت تلك القوية المؤذية علينا ومُكّنت منا مثل هذه الضعيفة القليلة الاذية لما ثبتنا لحظة واحدة

فصل ـ انظر الى تركيب جسدك وترتيب اعضائك فان في ذلك دلالة كافية على حكمة الصانع تعالى : وذلك أن دم امّك يغذوك في احشائها ، وعند ظهورك بالولادة يستحيل ذلك الدم لبناً في الثدي لتربيتك وترتيبُ الثدي في موضع يصلح أن تكون فيه نائماً [2] وانت ترضع وخصّك في نفس طباعك لأخذ الغذاء من غير أن تجري عادتك به ومن غير أن تعلم ما تفعل ، واذا قويت وتمكنت من استعمال ما هو أقوى من اللبن أنبتَ [3] لك الاسنان لتطحن ذلك ، واذا كبرت وقويت أُعطيت

---

١) في الاصل : اهلاكنا
٢) في الاصل : يصبح ان تكون نائما
٣) في الاصل : نبت

المعرفة والتمييز لحراسة نفسك وكسب ما يقوم به جسمك واستخراج العلوم والصنائع التي تنتفع بها انت وغيرك

[٩] فصل ـ تأمل كيف سُلب الانسان المعرفة عند ولادته وايام صغره وضعف جسمه وأعطي اياها عند [١] كبر سنه وشبابه وأنه لو كان الانسان عارفاً مميزاً للامور في طفوليته لكان يأنف مما يجري منه من الاشياء التي تجري من الاطفال و يتنغص عيشه اذ ليس يجد له حيلة أن يغير ذلك لضعف [٢] اعضائه وجسمه ، ولو بقي طول عمره بلا معرفة كما خُلق في صغره لما كان بينه و بين البهائم فرق

فصل ـ تأمل أمر كل عضو من أعضائك وأعضاء سائر الحيوان الغير الناطق وانظر كيف وُضع كل عضو منها ورُتّب وقُدّر على صفة لو زال عن الموضع الذي وضع فيه الى غيره او رُتب على غير ترتيبه او لو جُعل مقداره أكبر مما هو او أقل لكان يقف من أمرك او من الجسم الذي ذلك العضو فيه ما يفسد من حالك او حال ذلك الجسم بازاء ذلك التغيير ، واذا نظرت في كتب منافع الاعضاء التي صنفها [٣] علماء اليونانيين وعلماء السريانيين وقفت من مضمونها على ما يحقق في نفسك حدوث العالم ووجود الخالق تعالى

---

١) سقط في الاصل : عند
٢) في الاصل : بضعف
٣) في الاصل : صنفوها

فصل — تأمل أمور الناس في العالم فانك تجدها على ضربين : منها متفقة لو اختلفت لكان اختلافها فساداً في الحكمة ، ومنها مختلفة لو اتفقت لكان اتفاقها مفسداً لأمورهم . فأما المتفقة التي لو اختلفت لكانت فساداً في الحكمة فهي [١] اتفاقهم في الجماع والولادة والتربية والاكل والشرب والنوم واليقظة والموت وجميع الامور الطبيعية التي الناس كلهم متساوون فيها متفقون عليها . وأما المختلفة التي لو اتفقت أوقفت أمورهم فهي [٢] اختلاف الوجوه واختلاف الآراء واختلاف الشهوات واختلاف الخطوط واختلاف الاصوات واختلاف الاحوال في الغنى والفقر والعز والذل وفي الصحة والمرض وفي طول العمر وقصره وغير ذلك من الاعراض الداخلة عليهم ، وذلك أن في اختلاف [١٠] الوجوه مع تساوي الاعضاء والقامات والالوان حكمة عجيبة ولولا [٣] هذا الاختلاف الموجود [٤] في الوجوه لما عُرف البريء من السقيم ولا المسيء من المحسن ولا الصديق من العدو ولا من عليه الحق ولا ممن يستحقه ، وفي اختلاف الآراء والشهوات عمارة الدنيا ولولا ذلك لوقفت أمور الناس وذلك أنهم لو كانوا على رأي واحد وشهوة واحدة لكان كل منهم يلتمس لنفسه المنزلة التي يلتمسها غيره فكانت تقف أمور جميعهم ويفسد تدبيرهم وانما الحكمة في

---

١) و ٢) في الاصل : هي

٣) سقط في الاصل : ولولا

٤) لا ضرورة للفظة « الموجود »

اختلاف آرائهم وشهواتهم فالواحد يرى لنفسه ويرغب أن يكون ملكاً والآخر أن يكون وزيراً والآخر أن يكون حاجباً والآخر أن يكون كاتباً والآخر أن يكون ركّاباً والآخر أن يكون حدّاداً والآخر أن يكون صباغاً وكل من هؤلاء يرضى صناعته لنفسه ويراها موافقة لشهوته كما يرضى الملك المملكة لنفسه ويراها موافقة له ويُسرّ بها وذلك سبب عمارة الدنيا ولولا هذا الاختلاف لما وُجد احد يقضي حاجة احد ولا من يخدم غيره ، وفي اختلاف الخطوط مع تساوي الحروف آية عجيبة وذلك أنه لو جُمع خطوط جماعة من الناس قد تعلموا الكتابة على استاذ واحد لوُجد خط كل منهم مخالفاً لخط صاحبه حتى ليس يكون فيها [١] خطان متشابهان تشابهاً لا فرق بينهما ولولا ذلك لبطلت الحقوق الثابتة في الكتب والتوقيعات والسجلات التي فيها تُحرس الحقوق وتُحفظ الاموال ، وفي اختلاف الاصوات مع تساوي الالفاظ فائدة كبيرة وذلك أنه لولا هذا الاختلاف لاشتبه على الاعمى وعلى البصير الذي يخاطب بالليل خطابُ زوجته وولده وصديقه بخطاب الغريب والعدو وكان يتم في ذلك من [٢] الحيل والغلط ما يتجاوز الوصف ، وفي اختلاف احوال الناس في الغنى والفقر استقامة أمورهم وصلاح شأنهم وذلك أن لو كان جميعهم اغنياء لما كان [٣] فيهم من يخدم الآخر ولا من يقضي حاجة [١١] غيره ولا

١) في الاصل : فيه
٢) سقط في الاصل : من
٣) سقط في الاصل : لما كان

كان يوجد من يزرع ولا صانع يعمل ما يُحتاج اليه من الآلات وكان امرهم يؤول الى العطب والوقوف ولو كان جميعهم فقراء لما وجدوا من يستمنحونه [١] ولا من يخدمونه لينالوا فضله وكان امرهم يؤول الى التلف [٢] وانما الحكمة في أن يكون بعض الناس أغنياء و بعضهم فقراء لأن الاغنياء يحتاجون الى الفقراء ليخدموهم والفقراء يحتاجون الى الاغنياء ليعطوهم ما يصلح حالهم وحاجة كل منهما الى الآخر كحاجة صاحبه اليه ولحاجة بعضهم الى بعض يستقيم حال جميعهم وتصلح أمورهم ، وفي اختلاف احوالهم في العز والذل مصلحة لجميعهم وذلك أنه لو كانت حالهم في العز والذل واحدة لما اطاع بعضهم بعضاً ولخذل بعضهم بعضاً ولا ادّى بعضهم الى بعض ما يجب عليه ولا كفّ بعضهم عن بعض ولكان كل منهم يتكبر على صاحبه و يعتقد أنه اجلّ منه وكان في ذلك فساد أمورهم كلها ، وفي اختلاف احوالهم في الصحة والمرض اعظم مصلحة واكبر منفعة وذلك أنه لو كان جميعهم صحيحي الاجسام للحقهم من الكبر وقساوة القلب ما لا كان يصحّ معه ديانة ولا سياسة ولو كان جميعهم مرضى لتلفوا لعدم من يخدمهم و يقوم بأمرهم وانما من الحكمة أن يكون بعضهم معافى و بعضهم مريضاً فالمعافى يخاف من المرض والمريض يخاف من الموت وفي ذلك ردع لهم وتحذير تستقيم به أمورهم ، وفي اختلاف احوالهم في

١) في الاصل : يستمحنوه
٢) في الاصل : التلاف

طول العمر وقصره حكمة عظيمة ومصلحة عامة وذلك أنه لو كانت اعمارهم متساوية لعرفوا قدر ايام حياتهم ولو عرف [١] الناس ذلك لبطلت كل هممهم وقصّرت آمالهم وحرصهم على عمارة دنياهم ثم كانت تفسد الديانات والشرائع خصوصاً التي يعتقد أهلها أن في التوبة غفراناً للذنوب فان الانسان كان [١٢] يخطىء الى أن يعلم أنه قد قرب أجله ثم يتوب فكانت تنقضي اكثر اعمار الناس في الفساد وفعل القبيح لتعويلهم على [٢] التوبة في آخر اعمارهم وايضاً كان الانسان لو ان عمره محدود محتوم لا يزيد ولا ينقص كسب او لم يكسب تعب او لم يتعب أكل او لم يأكل عمل الخير او عمل الشر يتهاون في أمر معيشته وعمارة دنياه وأمور آخرته لتحققه أنه لو فعل ما فعل لم يزد [٣] ذلك في عمره ولم ينقص منه وكان ذلك مما يضر الناس جداً ويطغيهم ويخرب الدنيا ويوقف أمورها . فهذا وغيره مما لم اذكره يدل على أن للعالم مدبراً حسبما تجري أمورهم على مقتضى الحقيقة وموجب العناية الالهية فافهم ذلك

فصل — وإن قال قائل : انه وإن كانت الامور المقدم شرحها جارية على موجب الحكمة الاّ انا قد نرى أموراً كثيرة غيرها تجري على ضد موجب الحكمة وبخلاف العدل : وذلك انا نرى في الناس قوماً اخياراً

---

١) في الاصل : عرفوا
٢) سقط في الاصل : على
٣) في الاصل : لم يزيد

محظوظين مسعودين صحيحي الاجسام مرتاحي القلوب طيبي العيش مرزوقين من الاولاد والاموال مستقيمي الاحوال ، وقوماً آخرين من الاشرار مثل هؤلاء الاخيار في الحظ والسعادة وصحة الجسم وراحة القلب وطيب العيش وسعة الرزق من الاولاد والاموال واستقامة الاحوال ، ونرى قوماً اخياراً اشقياء محرومي [1] الاولاد والاموال واستقامة الاحوال زمنين مرضى كثيري الهموم والغموم منغصي العيش ، وقوماً آخرين اشراراً امثالهم في الشقاء والحرمان وعدم الاولاد والاموال والاحوال زمنين مرضى كثيري الغموم متصلي الهموم ، وذلك مما يدل على ضد الحكمة وخلاف العدل لأن الحكمة والعدل يوجبان [2] : إما أن يكون جميع الاخيار محظوظين وجميع الاشرار أشقياء في الدنيا [١٣] والآخرة ، وإما أن يكون جميع الاخيار اشقياء في الدنيا مسعودين في الآخرة وجميع الاشرار مسعودين في الدنيا اشقياء في الآخرة — قلنا له : ان الذي توجبه الحكمة غير ما ذهبت اليه وذلك أنه لو كان جميع الاخيار في هذه الدنيا محظوظين مسعودين صحيحي الاجسام مرتاحي القلوب طيبي العيش مرزوقين من الاولاد والاموال والاحوال ، وكان جميع الاشرار بالعكس اشقياء محرومي الاولاد والاموال والاحوال زمنين مرضى كثيري الهموم منغصي العيش ، لظن الناس أن الجزاء واقع في هذه الدنيا وأن لا آخرة

١) في الاصل : محرومين من الاولاد . وقد تكرر هذا الخطأ
٢) في الاصل : يوجب

لهم وكانوا يعملون الخير لا لثواب يرجونه في الآخرة لكن لخوف من مصائب الدنيا ورغبةً في ما يرجونه من السعادة فيها ، ومن فعل الخير والجميل لهذا الوجه فلا حمد له ولا يستحق الجزاء عليه . ولو كان جميع الاشرار محظوظين في صحة الجسم وراحة القلب وطيب العيش وسعة الرزق من الاولاد والاموال والاحوال ، وكان جميع الاخيار بالعكس اشقياء محرومي الاولاد والاموال والاحوال كثيري الهموم متصلي الغموم منغصي العيش لعدل الناس كلهم عن فعل الخير الى فعل الشر خوفاً من مصائب الدنيا ورغبةً في لذّاتها ونعيمها . فمن الحكمة اختلاف احوال الناس في الغنى والفقر والعز والذل والصحة والمرض وطول العمر وقصره وامتزاج ذلك بين الاخيار والاشرار [١]

فصل — فان قال قائل : لمَ [٢] خُصَّ زيد من الاخيار بالسعادة وعمرو منهم بالشقاء وخالد من الاشرار بالسعادة وبكر منهم بالشقاء ؟ قلنا : قد ثبت أن الحكمة أوجبت أن تكون احوال الاخيار والاشرار في ذلك ممتزجة ، فقد لزم من ذلك أنه لو كان زيد من الاخيار مخصوصاً بالشقاء وعمرو مخصوصاً بالسعادة وخالد من الاشرار بالشقاء وبكر منهم بالسعادة [١٤] أن تكون المعارضة التي عارضتنا بها يلزمك مثلها سواء ، وجوابنا

١) طالع ما جاء في هذا المعنى لبولس الراهب اسقف صيداء في الباب الثاني والعشرين من رسالته العقلية في وجود الباريء تعالى وكمالاته واقانيمه . ص ٥٩ من كتاب « مقالات دينية قديمة » مطبعة الاباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٢٠

٢) في الاصل : لما . وقد تكررت هذه الغلطة في مواضع كثيرة

لك عنها مثل جوابنا لمن يعارضنا ممن يوافقنا على قدم البارىء وحدوث العالم فيقول : انه لما كان الله تعالى ازلياً لمَ خلق العالم في الوقت الذي خلقه فيه ولم يخلقه قبل ذلك بمائة الف سنة او أقل او اكثر ؟ فيكون جوابنا له : لو كان خلقه في الوقت الذي ذكرته لكانت المعارضة التي قد عارضتنا بها يلزمك مثلها وهي انا كنا نقول لك : لما كان الله تعالى ازلياً لمَ كان يخلق العالم في الوقت الذي فرضته ولم يخلقه قبل ذلك بمائة الف سنة او اقل او اكثر ؟ فكنا نُلزمه في ذلك مثلما الزمنا [1] . وكما نعلم أن البارىء تعالى كان يقدر أن يخلق العالم قبل أن خلقه و بعده ونعتقد أن حكمته أوجبت خلقه في الوقت الذي خلقه فيه لحال لانعرفها ، كذلك نعلم أنه كان يقدر أن يجعل زيداً شقياً وعمراً مسعوداً وخالداً شقياً وبكراً مسعوداً ونعتقد أن حكمته أوجبت أن يكون زيد مسعوداً وعمرو شقياً وخالد مسعوداً وبكر شقياً لحال لا نعرفها ، وليس لاجل أننا لا نعرفها نحكم عليها بأنها ضد الحكمة . فقد دلَّ ذلك وغيره مما ذكره الحكماء والعلماء في كتبهم أنه اذا تأمل الانسان امور العالم تأملاً شافياً رأى [2] مايدلّه على أن العالم محدث وذلك أنه اذا رأى امور العالم وما هي عليه من حسن النظام والترتيب علم أنه لم ينفعل من تلقاء نفسه لأنه لو كان انفعل من تلقاء نفسه لما كانت اموره تجري على هذا النظام . واذا ثبت أنه له فاعل فعله وصانع صنعه وخالق

١) في الاصل : لزمنا
٢) في الاصل : فرأى

خلقه فنقول : ان العالم بعد أن لم يكن محدثاً مخلوقاً كان له خالق واحد

فصل — وإن قال قائل : ما هو الدليل على أنه واحد لا اثنان او ثلاثة او اكثر من ذلك ؟ قلنا : ان اقامة الدليل على أن الخالق واحد لا اثنان او ثلاثة او اكثر من ذلك ليس يجب [١٥] على من يقول انه واحد وانما يجب على من يقول انه اثنان او ثلاثة او اكثر من ذلك ، لأن الاجماع قد وقع ممن يقول ان الخالق واحد وممن يقول ان الخالق اكثر من واحد على أن العالم مخلوق ، فقولهم مخلوق يقتضي خالقاً [١] . فاذا قال القائل : ان للمخلوق خالقاً فقد قال قولاً يجيزه [٢] العقل ولا ينكره ، وليس للسامع أن يقول له : لمَ صار للمخلوق خالق واحد ولم يكن له خالقان او ثلاثة او اكثر من ثلاثة ؟ واذا قال ان للمخلوق خالقين او ثلاثة او اكثر فقد قال ما لا يجيزه [٣] العقل الاّ بدليل ، وللسامع أن يقول له : لمَ صار للمخلوق خالقان او ثلاثة او اكثر ولم يكن له اقل من ذلك او اكثر ؟ واذا كان الامر على هذا فالدليل انما يجب على من يقول ان للعالم خالقين او ثلاثة او اكثر لا على من يقول ان له خالقاً واحداً . ومع ما لا يلزم من يقول ان للعالم خالقاً واحداً اقامةُ الدليل على صحة قوله كما يلزم من يقول ان للعالم خالقين او ثلاثة او اكثر ، فقد توجد ادلة كثيرة تدل على أن الخالق واحد لا ثلاثة ولا اكثر من ثلاثة وانا اذكر بعضها فاقول :

---

١) في الاصل : خالق

٢ و ٣) في الاصل : يميزه

انه ليس يُعرف شيء من الاشياء ولا يوقف على حقيقته اذا عُدل عن التقليد في اموره الاّ اذا شوهدت ذاته ، او افعاله ، او ذاته وافعاله جميعاً معاً. واذا كان هذا اصلاً مقرراً فمعلوم[1] أنه ليس شيء من الاشياء الموجودة او الموهومة الاّ وهو : إما ظاهر الذات ظاهر الفعل ، وإما خفي الذات خفي الفعل ، وإما ظاهر الذات خفي الفعل[2]، او خفي الذات ظاهر الفعل . فأما ما هو ظاهر الذات ظاهر الفعل فمثل النار التي ذاتها ظاهرة للعيان وافعالها التي هي الاحراق والاسخان والانضاج ظاهرة للحس ، وأما ما هو خفي الذات خفي الفعل فليس معلوماً ولا موجوداً وإن جاز [١٦] أن يكون موجوداً فليس الى ادراك المخلوقين له سبيل اذ ليس يُعلم الشيء الاّ اذا ما شوهدت ذاته او رُئيت افعاله والاّ فليس يُعقل وليس يقع له صورة في النفس ، وأما ما هو ظاهر الذات خفي الفعل فمثل الادوية التي ذاتها ظاهرة محسوسة وافعالها خفية مستورة مثل السقمونية التي ذاتها ظاهرة محسوسة وفعلها الذي هو اسهال المرّة الصفراء مخفي قبل الامتحان والتجربة ، وأما ما هو خفي الذات ظاهر الفعل فمثل العقل الذي ذاته خفية وافعاله ظاهرة . ومن البين الذي لا ريب فيه أن البارىء تعالى هو من هذا الضرب اذ كانت ذاته خفية وافعاله ظاهرة ، واذا كان ذلك كذلك فالدليل الذي دلنا على وجود العقل هو الدليل الذي دلنا على وجود الخالق

١) في الاصل : معلوم
٢) سقط في الاصل : واما ظاهر الذات خفي الفعل

تعالى اذ كل منهما [١] خفي الذات ظاهر الفعل ، واذا كان المدبر للانسان الواحد الذي هو العالم الاصغر عقلاً واحداً وجب أن يكون مدبر العالم الاكبر خالقاً واحداً اذ لا فرق بين الانسان الذي هو العالم الاصغر و بين العالم الاكبر في الكون والفساد واختلاف الاحوال ولا بين الخالق تعالى والعقل في خفاء الذات وظهور الافعال ، وليس يظهر في العالم شيء من الاشياء المتفقة او المختلفة مما يدل على وجود الخالق الاّ و يظهر من الانسان مثله مما يدل على وجود العقل . واذا كان الامر على هذا فليس [٢] دليل يدل على وجود الخالق الاّ وهو يدل على وجود العقل ، وليس دليل يدل على وحدانية العقل الاّ وهو يدل على وحدانية الخالق . واذ قد ثبت باجماع كل واحد أن للانسان عقلاً واحداً يدبره ثبت أن للعالم خالقاً واحداً يدبره ايضاً ، فهذا وجه واحد يُعلم منه أن للعالم خالقاً واحداً كما ان للانسان عقلاً واحداً

ومما يدل ايضاً على وحدانية الخالق تعالى هو أن الاجماع قد وقع على أن [١٧] قوة الخالق تعالى على خلق العالم كله هي اعظم من قوة الرجل الجبّار على حمل تبنة او حبة خردل او شعرة او بقّة ، ولو كان مع الخالق خالق آخر للزم أن يكونا : كاملي القوة ، او ضعيفي القوة ، او مختلفي القوة اي أن يكون احدهما كامل القوة والآخر ضعيف القوة . فان كانا

١) في الاصل : منها
٢) سقط في الاصل : فليس

معاً كاملي القوة فان اشتراكهما في خلق العالم مثل اشتراك رجلين جبارين في حمل تبنة او حبة خردل او شعرة او بقة ، وكما انا لو رأينا رجلين عظيمي القوة قد اشتركا في حمل تبنة او شعرة او بقة او حبة خردل لنسبنا اليهما الجهل والهزل والضعف كذلك يلزم في الخالقين لو جاز أن يكونا موجودين ، واذا كان هذا غير موجود بطل أن يكون للعالم خالقان كاملا القوة . وإن كانا ضعيفي القوة فليسا بخالقين لأن الضعيف القوة ليس بخالق . وإن كان احدهما كامل القوة والآخر ضعيف القوة[1] فالكامل القوة هو الخالق والضعيف القوة ليس بخالق . واذا كان الامر على هذا بطل أن يكون للعالم خالقان كاملا القوة او ضعيفا القوة او مختلفا القوة ، واذا بطل أن يكون له اعني العالم خالقان من هذا الوجه بطل أن يكون له ثلاثة خالقين او اكثر من هذا الوجه بعينه

ومما يدل ايضاً على وحدانية الخالق تعالى هو أن الاجماع واقع على أن العالم معلول من حيث هو مخلوق اذ له علة فاعلة احدثته بعد أن لم يكن . وليس معلول الاّ وعلته الفاعلة له إما واحدة مثل الابن الذي علته أب واحد نسله ولا يجوز أن يشاركه فيه أب آخر ، وإما اكثر من واحدة مثل البيت الذي يجوز أن تكون علته الفاعلة له اعني البنائين له اثنين او ثلاثة[2] او اكثر [١٨] ومثل الباب والسفينة والكرسي التي يجوز أن

١) سقط في الاصل : والاخر ضعيف القوة
٢) في الاصل : ثلاث

يكون العلة الفاعلة لكل منها اكثر من واحدة وليس يجوز أن يكون علة العالم اكثر من واحد كالبيت والباب والسفينة والكرسي التي العلة الفاعلة لكل منها اكثر من واحد ، لأن السبب في كثرة من يبني البيت و يعمل السفينة والباب والكرسي انما هو عجز الصانع الواحد عن فعل ذلك الشيء وحده دون من يساعده ، والبارىء تعالى ليس بعاجز وغيرُ محتاج الى مساعدة فهو اذاً وحده علة العالم من غير مشاركة علة اخرى له فيه [1] ، كما ان الاب علة الابن من غير مشاركة اب آخر فيه [2] ، وكما لا يسوغ أن يكون للابن اكثر من أب واحد كذلك ليس يسوغ أن يكون للعالم غير خالق واحد

فصل — ومن بعض الاسباب التي لأجلها سمى النصارى الخالق تعالى أباً هو ليتقرر في نفوسهم وحدانيته كما تقرر في نفس كل واحد منهم وحدانية أبيه ، فقد يُعلم من هذه الوجوه المقدم ذكرها وغيرها مما لم اذكره تجنباً للتطويل أن ليس للعالم خالقان ولا ثلاثة ولا اكثر من ذلك ، واذا بطل أن يكون للعالم خالقان او ثلاثة او اكثر من ثلاثة ثبت أن خالقه واحد وحده [3]

فصل — وليس يخلو هذا الواحد أن يكون إما قائماً بنفسه او موجوداً

---

١) في الاصل : من غير مشاركة له فيه علة اخرى

٢) في الاصل : من غير مشاركة فيه اب اخر

٣) ورد في مخطوط محفوظ في خزانتنا هذا الكلام عينه فاستشهدنا به في كتابنا « المشرع » ص ٣٦ واضطررنا الى تهذيب عبارته حتى امتزجت بانشاء كتابنا

في غيره ، لأنه ليس شيء من الاشياء الاّ وهو إما قائم بنفسه وإما موجود في غيره ، وما كان قائماً بنفسه فهو افضل واجلّ من الموجود في غيره ، لأن القائم بنفسه هو غير محتاج والموجود في غيره فقير الى ما سواه ، ومن المحال أن يكون خالق كل شيء فقيراً الى شيء آخر غيره ، فهو إذن قائم بنفسه . وليس يخلو هذا القائم بنفسه أن يكون حياً او غير حي ، لأنه ليس شيء قائم بنفسه الاّ وهو إما [١٩] حي او غير حي ، وما كان غير حي فهو جماد ميت ، ومن المحال أن يكون خالق الحياة ومحدث كل حي ميتاً غير حي ، فهو اذن حي . وليس يخلو هذا الحي أن يكون حكيماً او غير حكيم ، لأنه ليس حي الاّ وهو إما حكيم او غير حكيم وما كان غير حكيم فهو جاهل ، ومن المحال أن يكون خالق الحكمة ومحدث كل حكيم جاهلاً ، فهو اذن حكيم ، ولم يبقَ من طريق القسم ما يقتضي شيئاً آخر يُضاف الى ما تقدّم ذكره [١] . فقد ثبت أن الخالق تعالى قائم بنفسه حي حكيم . والسريانيون يسمون كل موجود قائم بنفسه بالسريانية كيانا [٢] ، قديماً كان ذلك الموجود او محدثاً بسيطاً او مركباً شاغلاً حيزاً او غير شاغل حيزاً قابلاً عرضاً او غير قابل عرضاً ، اذ كان حدُّ الكيان عندهم هو القائم بنفسه . ولما كان البارىء تعالى حياً حكيماً وكان لا حي الاّ بحياة ولا حكيم الاّ بحكمة ، ثبت أن البارىء حي بحياة حكيم بحكمة

١) في الاصل : تقدمت بذكره
٢) اي : جوهرا

فصل — ولما كانت ذاته غير مركبة وغير قابلة للأعراض بطل أن تكون حكمته وحياته قوتين مركبتين كالحرارة في النار والبرودة في الماء ، او عرضيتين كالبياض في الثلج والسواد في القارّ . وكل موجود ليس بقوة مركبة ولا عرض فهو ينقسم بالضرورة إما الى كيان عام وإما الى اقنوم خاص حسبما تقتضيه القوانين المنطقية واللغة السريانية ، ولما ثبت أن البارىء عز وجل واحد فرد وبطل أن تكون ذاته وكلمته وحياته ثلاثة اكيان [١] او ثلاث قوى مركبة او ثلاثة اعراض ثبت أنها ثلاثة اقانيم : فالذات من حيث ليست قوة مركبة ولا عرضاً هي اقنوم ، والحياة من حيث ليست قوة مركبة ولا عرضاً هي اقنوم ، والحكمة من حيث ليست قوة مركبة ولا عرضاً هي اقنوم ، ولذلك تقول ان البارىء تعالى كيان واحد ثلاثة اقانيم

[٢٠] فصل — ولما كانت الذات علة ولادة [٢] الحكمة التي هي الكلمة ، وعلة انبعاث الحياة التي هي الروح ، وكانت الكلمة مولودة من الذات كولادة [٣] النطق من النفس والضوء من الشمس ، والحياة منبعثة منها كانبعاث الحياة من النفس والحرارة من الشمس ، سُميت الذات أباً والكلمة ابناً والحياة روحاً قدساً . وكما ان ذات النفس ونطقها وحياتها نفس واحدة ، وقرص الشمس وضوءها وحرارتها شمس واحدة ، كذلك

١) جمع « كيانا » السريانية على « اكيان »
٢ و ٣) في الاصل : ولود

ذات البارىء تعالى وكلمته وروحه اله واحد . ولذلك نقول ان الله هو كيان واحد ثلاثة اقانيم : فقولنا كيان واحد هو عبارة عن القائم بنفسه ، وقولنا ثلاثة اقانيم عبارة عن الذات والحكمة والحياة . ولا فرق بين قولنا : الله كيان واحد ثلاثة اقانيم ، وقولنا [١] : الله قائم بنفسه ذو حكمة وحياة ، اذ حكمته وحياته ليستا بقوتين مركبتين او عرضيتين مثل حكمة المخلوقين وحياتهم ، ولكنهما ذاتيتان غير منفصلتين من الذات وغير متبعضتين من الكيان [٢] . وبهذا الاعتقاد ننفصل من الذين يعتقدون أن المدبر للعالم هو الطبيعة التي ليست قائمة بنفسها ولا حكمة لها ولا حياة ، ومن المرقيونية [٣] الذين يعتقدون ثلاثة ارباب معبودين ومن المانوية [٤] الذين يعتقدون ثلاثة اكيان وثلاثة آلهة ، ومن اصحاب صابااليوس الذين يعتقدون أنه لا حكمة ولا حياة للبارىء تعالى ، ومن سائر اهل المذاهب المخالفة لمضمون الانجيل

وهذا قول جميع النصارى الذين يعتقدون أن الله تعالى كيان واحد ثلاثة اقانيم اعني : قائمًا بنفسه ذا حكمة وحياة [٥] ، وهم النسطورية والملكية

---

١) في الاصل : وبين قولنا

٢) انظر عدد ١ من المحاضرة الثانية من كتابنا « المشرع »

٣) ورد في كتابنا « المشرع » ما نصه :« المرقيونية هم القائلون بالهة ثلاثة : عادل انزل التوراة وصالح نسخها بالانجيل وشرير وهو ابليس » ص ١٣

٤) جاء في « المشرع » ما نصه : « المانوية والديصانية من مارقة النصارى يقولون بالهين : احدهما خير وهو معدن النور . والاخر شر وهو معدن الظلمة » ص ١٤ حاشية ٤

٥) راجع ما جاء في هذا المعنى لبولس الراهب الملكي اسقف صيداء . ص ٤ و ١٣

واليعقوبية اذ لا خلف بينهم في التوحيد وانما الخلف بينهم في الاتحاد والاعتقاد في المسيح

وفي ما أوردته من الدلائل على حدوث العالم ووحدانية الخالق تعالى وتثليث الاقانيم كفاية ، وانا اسأل الله تعالى أن يجعل ما اوردته مفيداً لك ولمن يقف عليه ويوفقنا واياك وجميع المخلوقين لما يرضيه ويلهمنا شكره ويجعلنا في الدنيا من الطائعين وفي الآخرة من الفائزين

٦

[١] مقالة (١) في وحدانية البارىء تعالى وتثليث (٢) اقانيمه صنفها الشيخ الفاضل الكامل سمعان بن كليل (٣) بن مقارة بن ابي الفرج القبطي(٤)

كل شيء موجود لا بد له من احد امرين : إما أن يكون قائماً بنفسه ولا يحتاج في وجوده الى غيره ، وهذا هو الجوهر . وإما أن يكون لا قوام

و٢٠ و٥٥ من كتاب « مقالات دينية قديمة » وما جاء لايليا مطران نصيبين نفسه في رسالته في وحدانية الخالق وتثليث اقانيمه . ص ١٢٥ وما بعدها من الكتاب المذكور

١) في خزانة كتبي نسخة واحدة من هذه المقالة رقم ١٥٣٣ خطت سنة ١١٠٨ للشهداء اي ١٣٩٢ للمسيح

٢) في الاصل : تثلث . وقد تكرر ذلك في المقالة كلها

٣) روى ترجمته ابو الطيب جرجس بن المكين المعروف بابن العميد في تاريخه قال : « ... وكان سمعان كاتبا حاذقا وتقلبت به الخدم فخدم بديوان الجيش في ايام الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٦٩ (١١٧٣) وتميز عنده واعطاه اقطاعا في حجروان واستمر بديوان الجيش ثلاث سنين وترك الخدمة في الدولة العادلية وترهب بدير ابو يحنس القصير ببرية الاسقيط بوادي هبيب وحبس نفسه في صومعة بناها في وسط الدير مدة تزيد عن ٣٠ سنة ... » عن نسخة قديمة محفوظة في خزانة كتبنا الخطية

٤) انظر ما ورد من الكلام في وحدانية البارىء تعالى وتثليث اقانيمه للمؤلف نفسه في القول الثاني من كتابه « روضة الفريد وسلوة الوحيد » المطبوع بمصر سنة ١٦٠٢ للشهداء اي ١٨٨٥ للمسيح

له بنفسه ومفتقراً في وجوده الى غيره ، وهذا هو العرض . وهذان القسمان ليس لهما ثالث . واشرفهما القائم بنفسه الذي لا يحتاج في وجوده الى غيره . ولما كان البارىء اشرف الموجودات ، وهو الذي شاء فخلق ، وجب أن نصفه بالقسم الاشرف وهو الجوهر ، ولهذا قلنا انه جوهر لنثبت بذلك وجوده

ولما اثبتنا وجود الخالق فلا بد من اثبات الحياة ، لأن صدور الفعل الارادي من غير حي محال [١] . ثم لما ثبت وجود الصانع والحياة فلا بد من ثبوت النطق ، لأن الافعال المحكمة لا يمكن أن تكون من غير ناطق . ولهذا قد وجب بلازم الحق أن نصف جوهر الخالق بالموجود الحي الناطق ، والاقرارُ بأن معنى الوجود غير معنى الحياة ، ومعنى الحياة ايضاً غير معنى النطق ، وأن كل واحد من هذه المعاني الثلاثة غير الآخر بدلالة صحيحة لا شك فيها ولا ريب

[٢] ثم لما كان الحق قد أوجب [٢] بالبرهان الصادق أن نصف الخالق بالموجود الحي الناطق ، لزم أن نبين أنه لا يكون موجود بالحقيقة الاّ من اشتُقَّ له ذلك من الوجود ، وأنه لا يكون حي بالحقيقة الاّ من اشتق له ذلك من الحياة ، وأنه لا يكون ناطق بالحقيقة الاّ من اشتق له ذلك من النطق ، لأن الوجود والحياة والنطق صفات ذاتية جوهرية ، والصفات

١) سقط في الاصل : محال
٢) في الاصل : وجب

الذاتية لا تصح للموصوف ولا يجب أن يُنعت بها الاّ من جهة اشتقاقها من غيرها ، لأن لكل موجود وجوداً ، ولكل حي حياة ، ولكل ناطق نطقاً ، وذلك ان العدم والموت والجهل انما تنتفي على الحقيقة بالوجود وبالحياة وبالنطق التي بها يجب أن يسمى الموصوف موجوداً حياً ناطقاً ، وهذا من الاقوال التي يُجمع على صدقها كل واحد الاّ [1] الذين يقصدون عناد الحق ، لأن هذه الصفات المذكورة صفات جوهرية ذاتية

فأيّة صفة ذُكرت منها لا يمكن أن نضيف معها جوهراً آخر : والدليل على ذلك أننا اذا قلنا بصير اضافت معها المبصَر ، واذا قلنا سميع اضافت معها المسموع ، واذا قلنا قادر جرّت معها المقدور عليه ، واذا قلنا جواد جرّت معها المجود عليه ، واذا قلنا عالم جرّت معها المعلوم به ، وما يشبه ذلك . فأما في هذه الصفات الذاتية ، فان [2] قلنا موجود لم تجرّ هذه الصفات معها جوهراً سواه ، وإن قلنا حي لم تجرّ هذه الصفة معها جوهراً آخر ، وإن قلنا ناطق لم تجرّ هذه الصفة معها شيئاً غيره ، لأن هذه الصفات الذاتية وإن كانت كل واحدة منها غير الاخرى فهي لذات واحدة ولجوهر واحد [٣]

وقد يجوز وصف الخالق جل اسمه بكل الصفات الحسنى غير الذاتية من غير اشتقاق ، وذلك أنه قد سبق فوصف نفسه بها على ألسنة انبيائه

١) في الاصل : كل واحد من الذين
٢) سقط في الاصل : فان

الابرار ورسله الاطهار دلالةً على ربوبيته واشارة الى وحدانيته ، لا من اجل عزته وقوته ولا من حيث جبروته وقدرته ، لأن سلطانه يجل عن الصفات وعظم شأنه يفوق [١] النعوت المكرمات ، بل أراد أن يفهمنا بذلك أنه يحيط بكل شيء علماً وأنه دائم البقاء والوجود وهو الاله المعبود . فأما وصف البشر بالاسماء الحسنى فهي للبارىء جل اسمه على الحقيقة وهي لهم بالاستعارة لأن الاشتراك انما هو في الالفاظ وأما في المعاني فليس بينه وبينهم [٢] نسبة ، كقولنا عزيز وحليم ورؤوف ورحيم وجواد وكريم وعالم وحكيم ونظائر ذلك

والذي أجمع على صدقه العامة من الناس والخاصة منهم وهم متفقون عليه جميعاً ولا يجوز لاحد أن ينكره ولا يدّعي فساده هو أنه لا يكون فعل لغير موجود ، ولا يكون فعل ارادي لغير ذي حياة ، ولا يكون فعل محكم لغير ذي نطق . فأية صفة أخذتها من هذه الصفات الذاتية الثلاث في الجوهر إن شئت أن تسميها الهاً كان ذلك جائزاً ، وإن شئت أن تسميها اقنوماً كان ذلك ايضاً جائزاً ، اذ الثلاث [٣] لشيء واحد ، وذلك اشارة الى الجوهر المتميز مع كل صفة منها [٤] ، لأن الفعل يصدر عنه لاعن واحدة منها [٥] . وذلك أن هؤلاء الاقانيم الثلاثة متفقون في الجوهرية

---

١) في الاصل : يفوق عن
٢) سقط في الاصل : وبينهم
٣) في الاصل : الثلاثة
٤ و ٥) في الاصل : منه

مختلفون في الاقنومية ، لأن كل اقنوم منهم له خاصة غير خاصة الآخر ، وهم جوهر واحد بالعدد ولا يقال لهم ثلاثة جواهر ، كما انه لا يقال ثلاثة آلهة . ومثال ذلك اننا اذا قلنا ابراهيم طبيب وكاتب ومهندس ، فابراهيم [٤] ليس هو ثلاثة اناس بل انسان واحد . والانسان ايضاً نفسه جوهر ، وجسمه جوهر ، وعقله جوهر ، وفيه جواهر كثيرة وهي جميعها لجوهر واحد

ويجب أن تعلم أن المثل ليس هو كالمماثل ، لأن الامر اعظم من أن يوصف بالحقيقة بل هو على طريق التشبيه لا على طريق التحقيق الذي لا يفهمه الاّ رب العالمين واله الخلائق اجمعين . وذلك أن من المحسوسات اشياء كثيرة نعرفها معرفة صادقة ، فلو أُلزمنا بوصفها على الحقيقة لعجزنا ، فلو قيل لنا : ما هو الفرق بين رائحة المسك ورائحة [١] العنبر ؟ او ما الفرق بين طعم التفاح وطعم [٢] السفرجل ؟ او ما الفرق بين حمرة الورد وحمرة [٣] الجلنار ؟ لعجزنا عن تأدية الوصف على حقيقته ، فكيف لا نعجز عن وصف اسرار غامضة غير مدركة ولا محسوسة ؟ وانما ضربُ الامثال يقرّب المعنى ويصوّر في [٤] العقل ما لا نقدر أن نوفّيه حقه في الوصف ، كما سبق ارسطاطاليس الفيلسوف وقال : ان قوانا قاصرة عن توفية البحث حقه في الامور الالهية ، اذ كانت هي غاية في الجلاء والوضوح وحقيقتها ثابتة لها ، وربما كانت عندنا بالتمثيل والاشارة

---

١ و ٢ و ٣) في الاصل : ما هو الفرق بين .. وبين ..

٢) سقط في الاصل : في

فان كنا بضعف كلامنا بعيدين عن الحقيقة فلا يجب أن نقف عما[١] تصل اليه قدرتنا ، ولا يلزمنا أن نقول ان كل واحد من الاقانيم جوهر آخر فتكون الجواهر ثلاثة في العدد ، اي انه لا يلزم أن يقال ثلاثة آلهة او ثلاث ذوات بل جوهر واحد واله واحد وذات واحدة . وكل اقنوم من هؤلاء الاقانيم بالجوهر الواحد له فعل آخر بغير انقسام . لأن التثنية والتكثير انما يقعان[٢] على الاقانيم والخواص ، كما سبق ايضاحنا، وهي لاله واحد ومعبود واحد ، لا يحويه مكان ولا يحصره [٥] زمان ، متوحد بجوهريته منفرد بوحدانيته . ولو فُرض أن يكون اكثر من واحد باعتزال الواحد عن الآخر ووجب أن يكون كل واحد منهم محصوراً ، فكل ماهو محصور يقع عليه الحدّ ، وكل ماهو محدود يجب عليه الحدوث ، وكل ما هو محدث يجب أن يكون له بداءة[٣] ، وكل ما كان له بداءة فلا بد أن يكون له ايضاً نهاية ، وكل ما كان له بداءة ونهاية فليس هو أزلياً ، وما كان غير أزلي[٤] لا يمكن أن يكون الهاً

فاذ قد قررنا من جهة المعقول بالبراهين الممكنة والدلائل المحكمة المتقنة وحدانية البارىء تبارك اسمه وتثليث اقانيمه وخواصه بالازلية الواحدة الخالية من التقديم والتأخير والتكبير والتصغير ، يلزم أن نورده مما

١) في الاصل : نصف مما
٢) في الاصل : يقع
٣) في الاصل : بداية . وقد تكررت
٤) سقط في الاصل : وما كان غير ازلي

قد أخذناه من جهة المقبول الذي هو من المقدمات التي لا تحتاج الى فكرة، ومن شروطه الرضى والتسليم لنحقق به كلامنا في ما قد اوضحناه من جهة المعقول في التوحيد والتثليث ، فمن ذلك قول الرب لتلاميذه بعد قيامته : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم وعمّدوهم بسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم حفظ جميع ما أوصيتكم به » [١] ولما جاءنا التوقيف [٢] من الله عز وجل بأنه سمى ذاته أباً وابناً وروحاً قدساً ، وأن هذه التسمية وهذا الوصف لم يكن في غيره ، لزمنا أن نسميه ونصفه بما سمى به ذاته ووصفها من حيث لا نعدل عن المعاني التي قدمنا ذكرها آنفاً وهي : الوجود والنطق والحياة [٦]

فاذ قد لزم من جهتي المعقول والمقبول الاقرار بالاقانيم الثلاثة وخاصة كل من الثلاثة للاله الواحد : فالآب له خاصة الابوة وليس هو ابناً ولا روحاً قدساً ، والابن له خاصة البنوة وليس هو أباً ولا روحاً قدساً [٣] ، والروح القدس له خاصة الانبثاق وليس هو أباً ولا ابناً . فقولنا آب يفيدنا معنى هو غير المعنى الذي يفيدناه قولنا ابن ، وغير المعنى الذي يفيدناه قولنا الروح القدس ، من اجل الوجود . وقولنا ابن يفيدنا معنى آخر وهو غير المعنى الذي يفيدناه قولنا آب ، وغير المعنى الذي يفيدناه قولنا روح قدس ،

---

١) انجيل متى ٢٨ : ١٩ و ٢٠

٢) راجع حاشية ٢ من ص ٢٣

٣) سقط في الاصل : والابن له خاصة البنوة وليس هو ابا ولا روحا قدسا

من اجل النطق . وقولنا روح قدس يفيدنا معنى آخر وهو غير المعنى الذي يفيدناه قولنا آب ، وغير المعنى الذي يفيدناه قولنا ابن ، من اجل الحياة المنبعثة من الآب والابن . فالآب قائم بذاته ، ناطق بالابن ، حي بالروح القدس . والابن قائم بالآب من غير افتراق منه ، وهو ناطق بخاصته ، حي بالروح القدس . والروح القدس قائم بالآب ، ناطق بالابن ، حي بخاصته . ثلاثة اقانيم ثلاث خواص ، جوهر واحد اله واحد معبود واحد سلطان واحد ذات واحدة قدرة واحدة طبيعة واحدة مشيئة واحدة من غير انقسام ولا افتراق ولا انفصال ولا تضاد ، توحيد بالذات وتثليث بالصفات

ثم ان الولادة تقال على نوعين : ولادة كثيفة بمباضعة وتناسل ، وتقدم الوالد على المولود وتأخر المولود عن الوالد ، كولادة [1] اسحق من ابراهيم وولادة سليمان من داود [٧] . وولادة لطيفة من غير مباضعة ولا تناسل ، ولا تقدم ولا تأخر بغير زمان ولا انفصال ولا افتراق ولا اعتزال بين الوالد والمولود كولادة النفس للنطق وولادة قرص الشمس للضوء وولادة النار للحرارة . فالآب لم يزل والداً اي ناطقاً ، والابن لم يزل مولوداً اي نطقه ، والروح القدس لم يزل حياة منبعثة من الناطق والنطق . فليس الاله ثلاثة بمعنى ما هو واحد ، اي انه ليس ثلاثة جواهر ولا ثلاث ذوات ،

---

١) في الاصل : كولود . وقد تكررت

بل هو جوهر واحد وذات واحدة ومعبود واحد ورب واحد . وليس هو ايضاً واحداً بمعنى ما هو ثلاثة ، اي انه ليس بموصوف بصفة واحدة بل موصوف بثلاث صفات ، كل صفة منها غير الأخرى ، فكما اننا نحن نصف النار الواحدة بالاشتعال والضوء والحرارة ، وكل صفة من هذه الصفات غير الاخرى ، هكذا وصفنا الاله الواحد بالآب والابن والروح القدس ، نعني بذلك الموجود الحي الناطق [١]

٧

[١] نبتدىء بعون الله تعالى وحسن توفيقه ان (٢) نكتب فصولا مختصرة في تثليث الاتحاد (٣) عملت بالقاهرة المغربية لطالبها في اواخر سنة تسع وثلاثين وستمائة العربية (٤) لابن العسال (٥)

فصل ـ البيعة المسيحية تعتقد أن البارىء تعالى جوهر واحد موصوف بصفات الكمال وأنه يوصف بثلاثة اقانيم وهي الآب والابن والروح

---

١) راجع ما جاء في معنى الجوهر والعرض والتثليث والابوة والبنوة وصفات البارىء تعالى في المحاضرة الثانية من كتابنا « المشرع » وفي رسالة ايليا مطران نصيبين التي مرت بك . ص ٩٩ وما بعدها وفي رسالته في وحدانية الخالق وتثليث اقانيمه التي اشرنا اليها انفا وفي رسائل بولس الراهب الملكي اسقف صيداء . ص ٢ و ٣ و ٤ و ١٣ و ١٤ و ٢٠ و ٢٦ و ٥٥ و ٥٦ من كتاب « مقالات دينية قديمة »

٢) سقط في الاصل : ان

٣) في خزانة كتبي نسختان من هذه المقالة ومن المقالة التي تتلوها الاولى رقم ٣ كتبت في القرن السابع عشر والثانية رقم ١٥٥٢ تعود الى القرن الرابع عشر وقد اعتمدت على الثانية في نشر المقالتين المومأ اليهما بعد معارضتها بالاولى

٤) اي : ١٢٤١ للمسيح

٥) انظر ما كتبه الاب مالون اليسوعي عن اولاد العسال في المجلة الاسوية Journal Asiatique 1905 Paris, T. VI, 509- 529

القدس ، وأن الابن تأنس ، والجوهر هو القائم بذاته لا بغيره ، والصفات قائمة بالجوهر لا بذاتها ، والاقنوم هو مجموع الجوهر مع الصفة المخصوصة ، فالآب هو الجوهر الالهي مع صفة الابوة ، والابن هو الجوهر المذكور مع صفة البنوة ، والروح القدس هو هذا الجوهر المذكور مع صفة الانبثاق

فصل — والجوهر ههنا يشار به الى ذات البارىء التي قد ثبت أنها واحدة ، وصفات هذه الذات الالهية منها سلبية كقولنا ليس هو تعالى جسماً ولا محدثاً ، ومنها اضافية كقولنا هو قبل مخلوقاته ، ومنها مركبة منهما كقولنا هو الاول ، ومعنى الاول أنه ليس قبله غيره وهذه سلبية ، وأنه قبل غيره وهذه اضافية ، ومنها ثبوتية كقولنا انه قادر مريد اي القدرة صفة حاصلة في ذاته وكذلك الارادة ، ومنها مركبة منهما كقولنا انه عالم فان العلم صفة حاصلة في ذاته ومتعلقة بالمعلوم ، فمن حيث هي حاصلة في ذاته هي ثبوتية ، ومن حيث هي متعلقة بالمعلوم هي اضافية . ثم صفاته تعالى إما ذاتية لا تتعدى ذاته كقولنا انه حي وناطق ، وإما فعلية مشتقة له من[1] افعاله كقولنا انه خالق ورازق . وأما الاقانيم الثلاثة فهي الاوصاف الشرعية التي أمر الشارع باعتقادها وذلك بقوله للرسل : « تلمذوا كل الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس »[2]

[٢] فصل — وقد انكر تسميته تعالى بالجوهر مَن لفظة الجوهر

---

١) سقط في الاصل : من

٢) انجيل متى ٢٨ : ١٩

موضوعة عنده لما يقبل الأعراض ويشغل الاحياز[1]، ونحن نريد بها القائم بذاته، كما هي عند الحكماء، ولا خلاف في أنه تعالى قائم بذاته لا قائم بغيره كالاعراض، فالخلف لفظي لا معنوي فلا التفات اليه. وأما وصفه تعالى بالاقانيم الثلاثة بمعنى أنه موصوف بثلاثة اوصاف ثبوتية ذاتية، فالقائلون بالصفات الثبوتية انكروا العبارة فقط، ولا عبرة بذلك، والفلاسفة والمعتزلة من المسلمين لانكارهم الصفات الثبوتية انكروا المعنى ايضاً

فصل — والدليل على صحة اتصافه تعالى بالصفات الثبوتية أنه يوصف بأنه قادر ومريد، ولا يقولون ان واصفه كاذب في وصفه بذلك، لانهم لا ينسبون نفوسهم الى الكذب لاسيما في تمجيد الله ومدحه، لأنه يلزم من لم يمدحه بشيء صدقٍ وصفهُ بمقابله، فلو كان وصفه بأمرٍ أنه قادر وعالم وصفاً كاذباً، لكان وصفه بأنه عاجز وجاهل، ووصفهُ هذا باطل بالاتفاق، فثبت أن واصفه صادق في وصفه بأنه قادر وعالم، والصدق هو مطابقة القول لما الامر عليه في نفسه

والقول المطابق الموصوف: إما أن يكون حداً له او جزءاً من حده كقولنا للانسان انه حيوان ناطق او انه ناطق، وإما أن يكون دالاً على معنى للموصوف كقولنا في الاسفيداج ابيض لوجود البياض فيه، والاّ خرج الصدق في الاقاويل عن هذين الوجهين، لأن الوصف الصادق

---

١) يريد جمع: حيز

للشيء إما أن يكون مأخوذاً من ذات ذلك الشيء او من اعراضه ، وذات الباريء بسيطة ، وانما يُحدّ المركب ، فبقي أن يصدق الوصف عليها بما هو موجود لها

[٣] واذا كنا نصفه تعالى باوصاف زائدة دالة على معانٍ متغايرة ، لأن معنى العالم غير معنى القادر ، وقد يوجد كل واحد منهما لبعض الموجودات مع عدم الآخر ، فلا يمكن اذاً أن يكون المرجع بهذه الاوصاف المتكثرة المتغايرة الى الغلوّ لأن الذات واحدة بسيطة ، فبقي أن يكون المرجع بها الى احوال الذات ، وهذه هي الصفات الثبوتية

وايضاً فلأننا بعد اثبات الذات بدليل ، نفتقر الى اثبات الصفات بأدلة أخرى ، وبعد اثبات كل واحدة من الصفات بدليل يخصها ، نحتاج الى اثبات غيرها من الصفات بدليل آخر ، فلو كانت الصفات عين الذات ، او كل واحدة من الصفات عين الاخرى ، لكنا اذا علمنا وجود الذات وجب أن نعلم الصفات ، واذا علمنا واحدة من الصفات وجب أن نعلم بما فيها ، ولما كنا نفتقر في معرفة الذات وكل واحدة من الصفات الى دليل آخر يخصها ، علمنا أن صفاته ليست ذاته ، وأن كل واحدة من صفاته غير الاخرى

وأما ان الثبوتية ليست اضافية في وجودها ، فلأن وجودها غير مشروط بوجود غيرها والاضافية وجودها مشروط بوجود غيرها ، وأما

الصفات السلبية والاضافية فلم ينكرها احد

فصل — وأما ان الاقانيم ثلاثة لا اكثر ولا اقل فيبيّن من ثلاث جهات : الاولى من خبر من ثبت صدقُه بالآيات ، وهو على ثلاثة اقسام: الاول مما ورد في النبوات ، كقول داود : « بكلمة الله قامت السموات و بروحه جميع جنودها » [١] فاشار بالله تعالى الى الآب ، وبكلمته الى الابن ، فان الكلمة لفظة مرادفة للابن في شريعتنا ، و بروحه الى الروح القدس . والثاني مما ورد في الانجيل ، كقول المسيح : « تلمذوا الامم وعمّدوهم [٤] باسم الآب والابن والروح القدس » [٢] . والثالث مما ورد في الرسائل ، وهو شيء كثير

والجهة الثانية من قول الحكماء ، وقد أثبتوا أن البارىء تعالى يوصف بأنه عقل عاقل لذاته ، وأنه لا يصح النقص من هذه الاوصاف الثلاثة ، ولا الزيادة عليها [٣]

والثالثة من اقوال المتكلمين الاصوليين ، وقد اثبتوا أنه تعالى يوصف بأنه حي عالم قادر ، وأن النقص من هذه الثلاثة نقص في كماله تعالى

---

١) سفر المزامير ٣٢ : ٦

٢) انجيل متى ٢٨ : ١٩

٣) راجع ما ورد في معنى العقل والعاقل والمعقول لابن زرعة في رسالته في معان سأله عنها بعض اخوانه وفي مقالته لبشر بن فنحاس بن شعيب الحاسب ص ٩ و ١٠ و ٣٩ من هذا الكتاب ـ واطلب ما جاء في المعنى عينه ليحيى بن عدي في مقالته في صحة اعتقاد النصارى في البارىء جل وتعالى ولايليا مطران نصيبين في رسالته في وحدانية الخالق وتثليث اقانيمه ص ٧٣ و ١٢١ من « مقالات دينية قديمة »

والزيادة عليها متفرعة منها ولا ضرورة اليها . والاعتماد في ما لا تصل العقول البشرية الى تحقيقه وتيقنه على قول من ثبت صدقه ، وقد تقدم

فصل — اعلم أنه كما لم يلزم من قولنا : ان الاله حي عالم وقادر ، وان هذه الاوصاف تدل على معان متغايرة ، وان الحي هو الاله والعالم هو الاله والقادر هو الاله ، أن يكون تعالى ثلاثة آلهة ، هكذا لا يلزم من قولنا : ان الاله آب وابن وروح قدس ، وان هذه الاوصاف تدل على معان متغايرة ، وان الآب هو الاله والابن هو الاله والروح القدس هو الاله ، أن يكون تعالى ثلاثة آلهة ، وقد تدل على اوصاف كثيرة لذات واحدة

واعلم أن الاقانيم متفقة في الجوهر ، مختلفة في الصفات الخاصة ، وأن كل الصفات التي يوصف بها الجوهر الالهي من الهمية [1] وحكمة وقدرة ومشيئة وخلقة ورحمة وازلية وابدية وجود وعظمة وامثال ذلك ، يوصف بها كل واحد من الاقانيم ، لأن كل واحد من الاقانيم هو هذا الجوهر الواحد الالهي مع خاصته التي له ، وهي الصفات التي خصه بها الشارع

[٥] فصل — وتأنُّس الابن هو اتحاده بالانسانية منذ مبدإٍ وجوده حملاً في بطن مريم العذراء في اثناء ما بُشّرت وقبلت ، كاتحاد نفس الانسان ببدنه ، الاّ ان اتحاد لاهوته بناسوته لم يزُل لا في حال اتصال

---

١) يريد : الوهية

نفس ناسوته بجسده قبل الموت و بعد القيامة ، ولا في حال موته الذي هو مفارقة نفس ناسوته لجسده ، فان لاهوته بقي متحداً بنفسه لما مضى الى الفردوس ، كما قال اللص [١] ، و بجسده وهو في القبر ، ولهذا « لم يرَ الفساد » كما قال داود النبي [٢]

فصل — اعلم أن النصارى متفقون على كل ما تضمنه الانجيل والرسائل والامانة الجامعة ، وعلى أن المسيح اله متأنس ، وعلى وصفه بالالهية والانسانية واوصافهما ، كما ورد في [٣] الانجيل والرسائل والامانة ، وعلى أنه رب واحد ، كما تضمنت الامانة . واختلفوا بعد تلك في الفاظ فلسفية:

فقالت اليعقوبية : انه واحد من كل وجه في الجوهرية والاقنومية والمشيئة ، لأن الانجيل والرسائل والامانة انما ذكرته بلفظ الوحدانية لا الاثنينية ، ولأن معنى اتحاد الاثنين هو مصيرهما الى واحد ، فلذلك قلنا انه جوهر من جوهرين ، اقنوم واحد من اقنومين ، له مشيئة واحدة وفعل واحد . ونعني بالاقنوم هنا الجوهر المتميز ، ولولا انه جوهر واحد متقنم من جوهرين وهما موجودان فيه ، لما صح وصفه بكل واحد من الجوهرين و باوصافهما ، فان الاله والانسان لا يصحّ وصفهما بأنهما الاله ولا بأنهما الانسان ، فأما الاله المتأنس فيصح وصفه بأنه الاله و بأنه الانسان ، كما في

---

١) انجيل لوقا ٢٣ : ٤٢ و ٤٣

٢) سفر المزامير ١٥ : ١٠

٣) سقط في الاصل : في

كتبنا يصح وصف الكل باوصاف اجزائه

[٦] وقالت الملكية : انه جوهران اله وانسان ، وله فعلان ، ومشيئتان الهية وانسانية ، وانه اقنوم واحد وهو الاقنوم الالهي دون الانساني . فقدماؤهم قالوا ان الاتحاد وقع بالمعنى الكلي في الانسان ، والكلي ليس باقنوم . ومتأخروهم قالوا ان الاقنوم هو القائم بذاته وان الناسوت لم يوجد الاّ متحداً باللاهوت . والقولان ضعيفان [١]

وقالت النسطورية : انه واحد في المسحة والبنوة والمشيئة ، وانه جوهران اقنومان اله وانسان [٢]

فمن قال بالوحدة في الكل او في البعض اعتمد على ورود ذلك كذلك في الانجيل والرسائل والامانة ، واستند الى حفظ الاتحاد اذهو مصير الكل في واحد . ومن قال بالاستحالة بينهما ، فأسهل وأظهر ما يستدل به عليهما أن يقول : قد اجتمع الآباء والقديسون والعلماء على تمثيل اتحاد لاهوت المسيح بناسوته باتحاد نفس الانسان ببدنه،وأن هذا التمثيل هو أولى واقرب ما وجدوه . فناسوت المسيح الذي هو مجموع نفسه وجسده ، وهما جوهران ، لا يخلو أن يكونا جوهراً واحداً ، او جوهرين: فان كانا جوهرين كان المسيح ثلاثة جواهر : لاهوته ، وجوهري ناسوته،

---

١) لا خفاء ان ابن العسال كان على مذهب اليعقوبية ولذلك يعترض هنا على مذهب الملكية ـ طالع المحاضرة الرابعة من كتابنا « المشرع »

٢) راجع الفرق النصرانية لبولس الراهب اسقف صيداء .ص ٢٧ من « مقالات دينية قديمة »

ولا قائل بأنه ثلاثة جواهر . وإن كان جوهراً واحداً وهو الحق والمشهور فقد صح أن يتحد جوهران بغير الاستحالة فيتقوّم منهما جوهر واحد ، وهذا هو قولنا في المسيح

فصل — طرق الاستدلال على تأنس الاله اعني اتحاد اللاهوت بالناسوت المسيحي ثلاث : احداها ما ورد في الانبياء من الإخبار بأن الاله سيظهر للناس [٧] متأنساً ويفعل ما قد شهد به الانجيل ، كقوله : « ها العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا »(١) ولم تزل ترد النبوات على شيء شيء الى كمال تدبير الابن ، كما هو مكتوب: « حينئذ فلما رأى أنه قد اكمل كل شيء كما هو مكتوب في الانبياء أمال رأسه واسلم الروح »(٢) وقد تضمن الانجيل والرسائل اكثر النبوات الدالة على ذلك ، ولذلك قال : « فتشوا الكتب فهي تشهد من اجلي »(٣)

والثانية هي الطريق التي استدل بها الحكماء على وجود البارىء وعلى اتحاد النفس بالبدن ، وهي الاستدلال بوجود الآثار الخاصة بالشيء على وجود المؤثر المخصوص بها ، ولهذا قال : « اذا لم تصدقوني فصدّقوا اعمالي »(٤) وفعل الآيات الخاصة بالاله وحده بمشيئته وسلطانه ، وقرنهما باجتذاب

---

١) انجيل متى ١ : ٢٣

٢) انجيل يوحنا ١٩ : ٢٨ و ٣٠

٣) انجيل يوحنا ٥ : ٣٩

٤) انجيل يوحنا ١٠ : ٣٨

الناس الى الايمان باسمه . وهذا فرق بينه وبين الانبياء ، وهو كالفرق بين الرسل والاولياء ، فان الرسل يدّعون الرسالة ، والاولياء يمتنعون من أن تنسب اليهم

والثالثة كونه ارسل تلاميذه الى العالم ليأخذوهم [١] بالايمان بالهيته ، وأقدرهم على عمل الآيات الباهرات ، فمضوا الى جميع اصناف الناس وفعلوا فيهم الآيات الباهرات ، وقادوهم [٢] الى الايمان بالهيته فآمنوا ، كما يشهد الوجود [٣] والانجيل الثابت صدقه [٤]

فصل — اعلم أن الشيء يصح وصفه بما يوجد فيه ، ولما كان لاهوت المسيح وناسوته موجودين فيه صح وصفه بهما وباوصافهما ، فصح أن يوصف بأنه اله وبأنه انسان ، وباوصاف الالهية من الافعال المعجزة الخاصة بها ، [٨] وباوصاف الانسانية من الافعال والانفعالات اللاحقة بها ، فلهذا قلنا ان المسيح هو الخالق الرازق وانه المولود من مريم العذراء المصلوب المائت ، لكن تلك له بلاهوته ، وهذه له بناسوته ، كما قالت الرسل : انه ولد بالجسد وصُلب بضعف الانسانية ومات بالجسد ، وهذا كما هو مكتوب ، كما نقول في الانسان انه مفكر وانه طويل ، وانما هو مفكر بنفسه لا بجسمه ، وطويل بجسمه لا بنفسه

---

١) يريد : ليحملوهم على الايمان
٢) في الاصل : واقادوهم
٣) اي : الواقع
٤) اقرأ ص ١٤٢ و ١٤٩ و ١٥٠ من « المشرع »

فصل — قد ذكرت العلماء للاتحاد اسباباً كثيرة ، وهي ترجع الى قسمين : الاول من جهة البارىء ، وهو الذي لاجله أوجدَنا ، وهو جوده ، هو الذي لاجله اتصل بطبيعتنا لتكميلنا ، وهو تكميل جوده . والدليل على وجوب الاتحاد أن البارىء تعالى هو افضل الجائدين ، وافضل الجائدين هو الجائد بافضل الذات ، وافضل الذوات ذات البارىء ، فتكرم البارىء بجوده بذاته علينا ، وهذا كان باتصاله بنا [١] . والدليل بانَ وهو أن اتصاله بنا ممكن ، لأن المانع من الاتصال المضادة ، والخالق ليس هو ضد مخلوقه ، اذ الضد يُعدم ضده لا يوجده ، وقد قال في التوراة : « انه يخلق الانسان شبهه » [٢] والمشابهة مقرّبة للاتصال ، واذا كان اتصاله بنا ممكناً وكان لنا فيه غاية الشرف وله فيه كمال الجود ، ولا يمنعه لا العجز ولا البخل وهما من جهات النقص فهو يتعالى عنهما ، فيجب اتصاله بنا

والقسم الثاني من جهتنا ، وهو أننا لما قصّرنا عن بلوغ كمالنا الانساني ، وقصّرت الانبياء عن البلوغ بالاقلين الى مبادىء الكمال المذكور ، تأنس الاله حتى بلغ بالاكثرين الى غاية الكمال الانساني ، والوجود والكتب تشهد بهذا من حال المسيحيين بالنسبة الى حال المتقدمين عليهم في الابتعاد عن عبادة غير الله الى عبادة الله [٩] ومن كثرة التفسح الى غاية النسك

---

١) طالع رسالة بولس الراهب اسقف صيداء الى احد المسلمين . ص ٢٦ من كتاب « مقالات دينية قديمة »

٢) سفر التكوين ١ : ٢٦

The American University at Cairo of Oriental Studies

فصل — الكلام في العلم الالهي وخصوصاً [١] في ادقه صعب، ولاسيما على من يشتغل بالاصول التي يتوقف فهمه على معرفتها كالكتب الحكمية والكتب الدينية العتيقة والحديثة، وقد قال الرسول: « ان المسيح هو الناطق فيّ. وانما نعلم قليلاً من كثير وننظر الاشياء كالمثل وكمن ينظرها في مرآة الآن استشفافاً وفيما بعد مواجهة » [٢] يعني بعد القيامة. ثم ان العلم الالهي هو حصول اشرف المعاني في ذهن الانسان، وان اشرف المعاني لا يحصل الاّ في اشرف الاذهان، لأن الاتصال يصح مع المشابهة ويمنع من المنافرة، فيجب على الانسان أن يطهر نفسه وعقله من ملابسة اللذات الحسية والاستغراق في الاشتغال بالامور العالمية، ثم يبتهل الى الله أن يمنحه فهماً كافياً كقول الرسول: « من كان ناقص ادب فليسأل الله » [٣] فلا يعسر عليه ادراك ما يمكن الآن ادراكه من هذا العلم الشريف، فنسأل الله الارشاد والاسعاد في العلم والعمل آمين

٨

[٢٩٠] وللمصنف (٤) ايضا مقالة في ايضاح تقسيم تدابير السيد المسيح من حين الحبل به الى حين صعوده الى السماء

ان جملة تدابير السيد المسيح اذا تُأمّلت تأملاً بالغاً وُجدت بكمالها

---

١) في الاصل: لا سيما. فوضعنا « خصوصا » تجنبا من تكرارها

٢) رسالة بولس الاولى الى اهل كورنتس ٢ : ١٦ — ١٣ : ١٢

٣) رسالة يعقوب ١ : ٥

٤) اي لابن العسال المشار اليه انفا

مشتملة على سبعة أقسام وسبعة معان ، وإن كان بعض العلماء ما رأى أنها تنقسم الاّ الى اربعة معان . تفصيل الاقسام هو : الاقتداري والطبيعي والناموسي والسياسي والتدبيري والتعليمي والنسخي ، واعلم أن هذه الاقسام السبعة مشتملة على جميع مايتعلق بالمسيح من قول وفعل ، حتى لا يمكن أن يصدر شيء عن المسيح أو يُنسب اليه الاّ وهو داخل تحت هذه الاقسام السبعة ، فهي في التقدير بمنزلة الامور العامة لجملة تصاريف المسيح:

فالاقتداري مثل الحبل به من غير وساطة رجل وحفظه عذرية والدته بعد الولاد منها ، ويُدرج تحت هذا القسم الكبير ما عمل من الآيات والجرائح [1] ، وقيامته من بين الاموات وصعوده الى السماوات ، وما أشبه ذلك

وأما الطبيعي فكمسكنه في البطن تسعة أشهر قبل الولادة ، وكرضاع اللبن والاغتذاء بالطعام ، وكونه وُلد وهو ذو جسم تام حساس متحرك بالارادة ، ومن ذلك سعيه وتعبه وجوعه وعطشه وسهره ونومه وحزنه وتألمه وموته وما أشبه ذلك

وأما الناموسي فكالختان ، وتقديم القربان ، وكجلوسه مع العلماء في الهيكل ومساءلة الاعيان وكصعوده الى العيد في كل عام ، وكدخوله المجامع في ايام السبوت لقراءة الناموس ، وكعمله عيد الفصح الناموسي

---

١) قل « العجائب » بدلا من « الجرائح »

عشية نهار الخميس الكبير ، وما أشبه ذلك

[٢٩١] وأما السياسي فكنزوله الى مصر لما رام هيرودس قتل الاطفال مع كونه كان قادراً على منعه من قتله ، الاّ ان هـذا هو مفهوم السياسي وهو أن يكون الانسان قادراً على فعل الشيء الفلاني فيتركه لمصلحة شيء آخر ، وكعبوره من بين اهل بلدته لما راموا قتله وذلك اشفاقاً منه عليهم وسياسةً في حقهم ليتحققوا قدرته بهذا فيرجعوا عن سوء المعتقد فيه فيستحقوا لذلك العفو منه ، ومن ذلك دفعه الجزية مع كونه لا حقّ عليه وسببه ليُمسكهم عن المقاولة قبل الوقت ، وكتحوُّله عن اليهود الى الجليل حين كان يزداد [١] حنقهم عليه وذلك ليهدّىء غضبهم ويروضهم لعلّهم يتوبون، وفعل هذا ليمسكهم عن المبادرة الى قتله قبل الوقت اللائق به لأن القتل والصلب انما ينبغي أن يكونا عند كمال التدبير

وأما التدبيري فكدخول الجوع عليه عند نهاية صومه أربعين يوماً لأن هذا النوع من الجوع لم يداخله [٢] قليلاً قليلاً كما جرت عادة الطبيعة لكن داخله [٣] حين اراد فقط وهذا تدبير منه ، والسبب فيه حتى يجد الشيطان السبيل الى مساءلته وتجربته ، فانه لو بقي على الحال الاولى لما كان جسر عليه ولا تقدم اليه ، ومن ذلك جوعه سحراً لما جاء الى

---

١) في الاصل : يتزايد
٢) في الاصل : لم يتداخله
٣) في الاصل: تداخله

المدينة وما ذلك الاّ حتى يكون مجيئه الى شجرة التين أمراً لائقاً عند الحاضرين

وأما التعليمي فكاتضاعه وخضوعه وطاعته لأوامر الشريعة وتكريمه للفرائض الآلهية ، وكاكرامه للوالدين وفي حب الوصاة على اكرامهم ، ومن ذلك أدبه [٢٩٢] وفهمه وحكمته وسياسته وريا ضته وزهده وتعبده وانقطاعه وصلاته وصومه وتقشفه وحلمه وسهولته ولينه ودعته ووداعته وسكونه وحسن اجابته وتستير فضائله وكتمان بره والمبالغة في الوصاة في عدم الاذاعة لشيء من محاسنه واحسانه ، ثم مسالمته وجميل معاملته ومسامحته وحنوه واشفاقه وتجنبه لكل مذمة ونقيصة واحتواؤه على كل منقبة وفضيلة ، ثم صبره واحتماله وبذل الاحسان مجاناً لكل محسن ومسيء ، وفي إحالة جميع اعماله وتعاليمه الى الله تعالى مع كونه الفاعل لذلك ، وكرفع الصلاة حية عن نفسه وتصغيره لذاته ، وفي أنه لا يقول ويعمل الاّ ما رُإِيَ له من الله ابيه ، وفي دوام الصلاة أن تكمل مشيئة الله فيه ، وفي تضرعه أن يغفر الله لصالبيه

وأما النسخي فكحله السبت بحجة عمل الخير أو لضرورة عائدة لمصلحة [1] الغير ، ومن ذلك اجازته السجود والتعبد لله في كل مكان ، بخلاف الحصر المعروف في الناموس بأن يُسجد لله في اورشليم خاصة

(١) في الاصل : بمصلحة . وقد تكرر هذا الخطأ ثلاثا

ولا يُتعبد له خارجاً عنها ، ومن ذلك جواز خلطته مع الامرأة السامرية واطنابه في محادثته معها ، وتفضيله المرأة الكنعانية وتفخيمه لأمانتها ، ومدحه للسامري الذي صنع معروفاً الى الواقع بين اللصوص مع كونه مذموماً من حيث هو سامري فقط ، ومن ذلك نسخه ذبح خروف الفصح وأكل الفطير بجسده ودمه ، والدليل على ذلك قوله : « عهداً جديداً اصنعوه لذكري الى حين مجيئي » [١] وقد علمت أن اكثر تصرفات المسيح كانت في [٢٩٣] السبوت المنهي عن التصرف فيها خاصة ، وما ذلك الاّ ليُشعر بجواز نسخ أكثر فرائض العهد العتيق ، وحجته بأن : « السبت جُعل للانسان [٢] » دليل على أن الشيء اذا جُعل لشيء آخر لا يجوز شرعاً أن يقدح في ذلك الشيء بل يجوز حله وربطه بحسب مصلحة ذلك الشيء ، وتقديره أن السبت جعل راحة للانسان فمتى حصل نفعه وراحته بشرط حل السبت جاز شرعاً حله ، وبحسب هذا التأويل يجوز حلّ اكثر الفرائض الناموسية عند حصول زيادة الانتفاع بحلّها . واذا عُلم ذلك نقول : ان الحل والربط للوصايا الآلهية وبدل احداها بالاخرى مشروط بحصول زيادة الانتفاع وبدون الافضل ، واذا كان حل الوصية يقتضي منفعة أخرى للانسان اعني النفس والبدن جاز حلها شرعاً وعقلاً ، وقد احتج السيد لليهود عن التلاميذ وعن داود

(١) انجيل لوقا ٢٢ : ١٩ و ٢٠

(٢) انجيل مرقس ٢ : ٢٧

النبي حيث تعدّوا الوصية لاجل منفعة جزئية وهي دفع ألم الجوع الموجِب حياة البدن خاصة ، وحجته في ذلك حجة يُعجَب منها وهي قوله : «ان المطلوب رحمة لا ذبيحة» [1] ومعنى هذا ان عمل احدى الوصايا بشرط منفعة الانسان افضل عند الله كثيراً من ابقاء الوصية على حالها ، والسبب في هذا ان الشرائع ما وُضعت الاّ لمصلحة الانسان ، فمتى كان الحل عائداً للمصالح كان الربط غير جائز . واعلم أن هذا الاحتجاج انما هو خاصة عن الوصايا التي لم تُفرض بعينها ، أما التي فرضت بعينها ، فلا يعترضها النسخ ابداً

واعلم أن هذه الاقسام السبعة المقدم ذكرها اذا قيس بعضها الى [٢٩٤] بعض وُجدت مناسبةً بعضها بعضاً ، ما خلا الاقتداري فانه لا يناسب شيئاً من الاقسام الستة ، غير أن بعض الاقسام تناسبه مناسبة ما :

فمن ذلك أن الطبيعي قد يناسب الاقتداري ، وذلك أن مكثه في البطن تسعة اشهر كان بالامر الالهي وذلك أن اتحاد الكلمة كان بجسد كامل في اسرع مايكون من الزمان ، فهذا الأمر يخالف المجرى الطبيعي لانك قد علمت أن الجسم يتكامل في بطن الامرأة بالاعضاء الاصلية بعد اربعين يوماً ، وهذا صار جسداً كاملاً للوقت ، فقد صار فيه ضرب من ضروب الاقتداري . واعلم أن هذا المكث في البطن تسعة اشهر وإن كان قد جرت به العادة الطبيعية العامة ، الاّ ان ما نُسب الى المسيح

---

(١) انجيل متى ١٢ : ٧

منه فيه تخصيص المشيئة الالهية، وما يتعلق بالمشيئة الالهية لا يتمّ الأ بالقدرة العلوية ، وهو المقصود ، فصحّ بهذه الاعتبارات مناسبة الطبيعي للاقتداري

وقد يناسب الطبيعي السياسي والتدبيري والتعليمي : أما السياسي فنقول لو انه وُلد من العذراء في دون ماجرت به العادة الطبيعية لتوهمتَ أنه خيالٌ عبر بها ولم يأخذ منها شيئاً ، فمكث الى كمال تسعة اشهر ليُتحقق حلوله فيها ويستدل على تكريمه لها ، وحينئذ يتهيأ لها أن تدعوه ابناً لها ، فهذا الامر جرى سياسةً في حقها لأن كل ما تكون القدرة الالهية صالحة له ويكون السبب في تأخيره ليقع على وجه طبيعي فهو سياسة بلا شك

وأما مناسبته للتدبيري فاعلم أن الامر الطبيعي هو الذي يقع [٢٩٥] ابداً بتقدم شرط طبيعي ، كاشتراطنا في وجود الولد تقدم وجود الوالدين مع شرط آخر وهو المجامعة ، وكحكمنا في حياة الطفل المولود بشرط مقامه في البطن تسعة اشهر ، فهذه صورة الامر الطبيعي ، أما اذا وقع الامر الطبيعي من غير تقدم سبب طبيعي ولا شرط عادي فذلك تدبيري . واعلم أن صورة الامر التدبيري في الظاهر صورة طبيعية ، وفي الباطن صورة تدبيرية . واعلم أن التدبيري مفتقر الى القدرة والمشيئة وهو كمن أرأى [1] من نفسه خلاف ما في ذاته ، اعني ما هو معدوم

١ في الاصل : أوري

من جوهره ، او كمن ادّعى امراً طبيعياً في غير وقته اللائق به . واعلم أن الامور التدبيرية مفتقرة الى الطبيعة والمشيئة ، ومختصر هذا المعنى أن المشيئة اذا استُعملت في الطبيعة في امر ما سُمي ذلك الامر تدبيرياً ، واذا كان المحرك الى ذلك هو الطبيعة يسمى ذلك الامر أمراً طبيعياً ، وتقديره أن الطبيعة استعملت المشيئة في اكماله ، هذا بالنسبة الى مجرد الانسان ، أما بالنسبة الى مجرد اللاهوت ، فذلك جميعه مجاز لاحقيقة له ، ونحن نريد بالطبيعة ههنا ما اذا اراد امراً لا يريد خلافه ابداً . واعلم أن الفاعل بالاختيار اذا اتصل بالامر الطبيعي كان بمنزلة الرئيس والمدبر الجملة المجتمعة

وأما كون الطبيعي يناسب التعليمي فمن ذلك أن السيد المسيح ماجلس على البئر يستريح الاّ بعد السعي الطويل ، وكذلك ما طلب الماء ليشرب الاّ بعد ست ساعات مشي ، فان حدوث العطش بعد السعي الكثير أمر طبيعي [٢٩٦] وذلك أن المشي يحلّل من البدن اكثر مما يحلل الصوم منه في هدوء وجلوس ، ومن ذلك أنه ماسأل أن يُعفى من شرب كأس الآلام الاّ في الوقت اللائق بالآلام ، ولا عاتب لاطمه الاّ حين آلمه اللطم ، ولا صاح « اناعطشان »[1] الاّ في حال ضغطة الصليب ، ولا قال : « الهي الهي لماذا تركتني »[2] الاّ حين تألم بالحقيقة ، فان هذه الامور وإن كانت طبيعية الاّ ان فيها ضرباً من ضروب التعليم ويجوز الاقتداء بالمسيح فيها

١) انجيل يوحنا ١٩ : ٢٨
٢) انجيل متى ٢٧ : ٤٦

وكذلك الناموسي بينه و بين السياسي والتدبيري والتعليمي مناسبة ما ، فان الختان هو امر شرعي ، فلو لم يستعمله في نفسه لكان عند اليهود بمنزلة مخالف للناموس ، واذا تصوروه مخالفاً للناموس لم يجُز عندهم قبول شيء من اوامره ، ففعل ذلك مع كونه غير محتاج اليه سياسةً في حقهم وتدبيراً يعود لمصلحتهم و يدل على عظم حكمته و يُشعر بمبالغة اكرامه لفرائض الله ، ومن هذا تيقنوا أنه ليس ضد الله ، والدليل عليه كونه يكمل الاوامر في نفسه بالفعل اختياراً منه . واعلم أن ما كان بهذه المثابة جاز الاقتداء به فيه فيكون ذلك بمثابة التعليم

وكذلك السياسي يصلح للتعليم اذا استُعمل في مواضعه اللائقة . واعلم أنه يشارك التدبيري من حيث ان المفهوم من ظاهره غير المفهوم من باطنه . واعلم أن مفهوم التدبيري يدل على العلم اكثر مما يدل على العمل ، والسياسي يُشعر بجملة عملية

[٢٩٧] وكذلك التدبيري يصلح للتعليم و يليق استعماله من الافاضل دون غيرهم وإن كان كلاهما جائزاً لهم ، وسببه التظاهر بالامور العادية في غير محلها ، وما كان على هذا السبيل ففيه ضرب من ضروب المخادعة ، والمثال في ذلك كمن كسر همته بمشيئته ليتعين ضعفه قدّام من ادّعى عليه باللصوصية فيخلص بهذا العذر ، او كمن شدّ نفسه فأرأى[1] من

---

١) في الاصل : فاورى

الحزم ما لا عنده وذلك ليخيف عدوه ، فهذه الامور طبيعية لكن اصلها الاختيار

وكذلك النسخي يصلح للتعليم فان تبديل الامور الجسدانية بالروحانية امر يقتضيه الشرع والعقل ، ولكن لا يجب أن يكون ذلك الاّ من قبل الافاضل من الناس اوصاحب الشريعة نفسه اعني البارىء تعالى الذي له المجد الى ابد الآبدين

٩

[١] مقالة تشتمل على معان نافعة للنفس وهي اجوبة عن امور يكثر الناس من السؤال عنها والمعارضة في معانيها مستخرجة من اقوال الاباء القديسين والفلاسفة المفضلين (١) الفها عبد الله بن الفضل الشماس الكاتب الانطاكي (٢) نيح الله روحه (٣)

اللهم مبدع البرايا والموجودات من غير مادة متقدمة جوداً وتعطفاً واحساناً وترأفاً ، ومصورها اصناف التصاوير من غير احتياج الى مؤازر ولا افتقار الى مضافر ، اياك اسأل واثقاً برحمتك ومعتمداً على جزيل تحننك أن تمدني بالمعونة وتفتح لي ما استغلق عليّ من ابواب المعاني ، لافنّد الآراء الوخيمة وازيف الاعتقادات الذميمة ، بما أورد من اقوال قديسيك الروحانيين وفضلائك الالهيين ، وانك لحقيق باجابة الدعوة وقبول الوسيلة ،

١) في خزانة كتبي نسختان من هذه المقالة الاولى رقم ٤٣ خطت في سنة ١٧٦٦ والثانية رقم ١٥٦٩ كتبت في سنة ١٧٦٣ للاسكندر أي ١٤٥٢ للمسيح وقد استندت الى الثانية في نشرها بعد معارضتها بالاولى

٢) اطلب ترجمته في مجلة المشرق . بيروت سنة ١٩٠٦ ص ٨٨٦ و ٩٤٤

٣) قل « روح الله روحه »

وإن كنت لوصاياك مخالفاً

[٢] زعم قوم أن امور الناس منوطة بالكواكب وأنها هي العلة في سرّائهم وضرّائهم . وشرذمة اخرى اعتقدت أن الله تعالى علة الشر كما أنه علة الخير . وصنف آخر منهم ردّوا امور الناس الى الاتفاق وانكروا سياسة البارىء عز وجل وسابق نظره . وكثر استقصاء هؤلاء الفرق عن اختلاف احوال الناس في طول العمر وقصره ، والفقر والغنى ، والصحة والمرض ، قائلين : لمَ [١] لا يتساوون ، ولمَ لا يقابل كل بما يستحقه ههنا من اكرام وهوان ، ولأية حال بعض الامور بعكس ما يوجبه القياس كخيّر في بأساء وشرير في نعماء ، فاقتضت الضرورة نقض [٢] ما قالوه والاجابة عما التمسوه بحسب الممكن :

فنقول انه من المتفق عليه أن الله تعالى جواد حكيم قادر : أما الدليل على جوده فاخراجه الموجودات من العدم الى الوجود ، وأما الدليل على حكمته فاتقانه [٣] اياها ، ومن اراد استقصاء ذلك معرفةً فليقرأ كتاب منافع الاعضاء لجالينوس ، وأما الدليل على قدرته فجمعه بين الاضداد في تكوينها . واذا كان ذلك كذلك فلا [٣] يطّرد في العقل أنه ابدع شيئاً لا حاجة اليه لأن هذا امر لا يصدر عن حكيم ، والعقل هو ابدعه ، فإن رُدّ

---

١) في الاصل : لما . وقد تكررت هذه الغلطة في هذه المقالة

٢) في الاصل : النقض على ما قالوه

٣) سقط في الاصل : فلا

تدبير الناس الى الكواكب كان ابداعه لا حاجة اليه ، وقد قام الدليل على بطلان هذا ، فليس تدبير الناس اذاً مردوداً الى الكواكب بل الى العقل المركوز فيهم

ومن البين الظاهر أن الناس ناطقون ، وكل ناطق مستطيع أن يفعل ما يختار ، فالناس مستطيعون أن يفعلوا ما يختارون [١] ـ وهذا القياس من الشكل الاول الذي تركيبه من مقدمتين موجبتين كليتين ـ واذا كانوا مستطيعين أن يفعلوا ما يختارون [٢] ، فقد بطل أن تكون حركاتهم عن الكواكب

فان سألت : وما للناس أن يفعلوا ؟ أجبتك : الفضائل والرذائل ، [٤] وقد شهد بذلك ارسطوطاليس في كتاب الاخلاق اذ يقول : ان الاشياء التي فعلناها هي الاشياء التي اذا تعلمناها فعلناها ، فانا إن تعلمنا قمع اللذات صرنا اعفاء ، وإن صرنا اعفاء قمعنا اللذات ، وقد قال في المقالة الثالثة من السماع الطبيعي بما يشهد للعقل بالفعل ، قال: ان الفاعلين ثلاثة : الطبيعة والصناعة والعقل ، أما الطبيعة فتفعل الجوهر ، وأما الصناعة فتفعل اعراضاً محدودة تخضع فيها للطبيعة ، وأما العقل فيفعل ايضاً اعراضاً الاّ انها مباحة ، وهذه الاعراض هي الفضائل والرذائل ، وايضاً فان طبيعة الممكن موجودة ، وجُلُّ الفلاسفة يصرّحون بها ، والرويّة والفكر

---

١ و ٢) في الاصل : ان يفعلوا ما يختاروا

مقرّان بها في الانسان ، فان كان الفعل للكواكب وكان فعل الكواكب ضرورياً ارتفعت طبيعة الممكن ولم يُحتَجْ الى الرويّة والفكر وهذا مردود

وانني لمورد قول فيلسوفين روحانيين ، وهما القديس غريغوريوس النيصي [1] [٥] والقديس يوحنا الدمشقي ، في أن لنا أن نفعل افعالاً ما من غير أن يكون سبب ذلك غيرنا ، قالا : ان الذين يدفعون الاستطاعة يزعمون أن الكائنات كلها لا يخلو شيء منها من أن يكون سببه : إما البارىء عز وجل ، وإما الاضطرار ، وإما القدر ، وإما الطبيعة ، وإما الاتفاق ، وإما أن يكون حدوثه من تلقاء نفسه . أما فعل الله تعالى فاجتراح اعيان الجوهر وسياستها بسابق النظر ، وأما فعل الاضطرار فالحركة التي على حال واحدة ، وأما فعل القدر فتمام الاشياء بحكم الاضطرار لأن القدر ايضاً هو من الاضطرار ، وأما فعل الطبيعة فالكون والفساد والنبات والحيوان ، وأما فعل الاتفاق فما يقع في الندرى مما لم يؤمَّل ـ وحدُّ الاتفاق عندهم أنه موافقة شيئين مبدأهما عن الاختيار يحدث عنهما شيء غير ما قُصد بهما ، كانسان احتفر قبراً ليدفن فيه ميتاً فوجد فيه كنزاً ، فان الذي جعل الكنز [٦] في ذلك الموضع لم يجعله هناك ليجده هذا المحتفر للقبر ، والذي وجده لم يحفر الارض ليجد كنزاً بل ليدفن ميتاً ، فاتفق من الفعلين جميعاً امر لم يقصده واحد منهما ـ وأما فعل ما يكون

---

١) في الاصل : النيصصي

حدوثه من تلقاء نفسه فالاعراض التي تعرض للحيوان الذي ليس بناطق لما لا نفس له لا عن الطبيعة ولا عن الصناعة . فاذا كانت افعال الانسان لا يجوز أن تنسب الى الله تعالى اذ فيها افعال قبيحة وظلم ، ولا هي من الاشياء الاضطرارية لانها ليست ابداً على حال واحدة ، ولا هي ايضاً مما يكون عن افعال القدر لأن ما يكون عن القدر اضطراري [١] ، ولا هي ايضاً من افعال الطبيعة لأن افعال الطبيعة الحيوان والنبات ، ولاهي ايضاً بالاتفاق لانها ليست من الاشياء التي تقع في الندرى وعلى غير امل ، ولا هي ايضاً من الاشياء الحادثة من تلقاء نفسها لأن تلك اعراض فيمالا نفس [٧] له [٢] او في الحيوان الذي ليس بناطق ، فقد بقي اذاً أن يكون الانسان هو العلة في فعل ما يفعل والبادىء به ، واذا كان ذلك كذلك فقد [٣] بطل أن يكون الفعل للكواكب،وفي هذا كفاية ولله جزيل المنة

وأما أن البارىء عز وجل ليس بعلة للشر ، كما زعم هؤلاء الجهلة ، فالدليل على ذلك أنه من المقرّ به عند أئمة الفلاسفة أن الشر يضادّ الخير ، وهما جنسان ، وأن الضد لا يكون من الضد فان الصحة لا تحدث من المرض ولا السواد من البياض ، بل تكوّن الاضداد يكون [٤] باستحالة الاحوال الى الاضداد متى لم يكن ما يضادها على طريقة الملكة والعدم ، فأما اذا كانت

١) في الاصل : اضطراريا
٢) في الاصل : لها
٣) في الاصل : قد
٤) سقط في الاصل : الاضداد يكون

مضادة على طريق الملكة والعدم [١] فلا تستحيل بعضها الى بعض ، هذا ما اتفقوا عليه . ومن المقرّ به ايضاً عندهم أن البارىء تعالى خير ، ويُستدل [٨] على ذلك من جوده وحكمته وازليته وقدرته واستغنائه بذاته ، وهذه صفات ذاتية له تعالى لا يُحمل منها شيء على الشر ، واذا كان سبحانه وتعالى خيراً فلا يمكن أن يصدر عنه شر على الاصل المقرر المقدم

وما أحسن ماقال القديس والفيلسوف الالهي ديونيسيوس : ان الشر ليس من الخير وانه لو كان منه لما كان اذاً شراً ، وقال ايضاً : كما انه ليس من شيم النار أن تبرّد هكذا ليس من شيم الخير أن يولد شراً . وقد شهد بامتناع تكوّن الاضداد من الاضداد سيدنا والهنا يسوع المسيح اذ يقول : « شجرة صالحة لن تستطيع أن تثمر ثمراً رديئاً » [٢] وقال ايضاً القديس المذكور : إن كانت طبيعة الخير من شأنها الاصلاح وطبيعة الشر من شأنها الافساد فليس شيء من الموجودات اذاً من الشر ، نعم ولا هو ايضاً موجوداً لأنه شر لذاته ، واذا [٩] كان ذلك كذلك فليس الشر بالجملة شراً بل له من الخير نصيب ما هو به موجود . والدليل على ذلك ان القتل شر لأنه افساد ما كوّنه الله تعالى فهو غير موجود من هذه الجهة ، وهو موجود بما [٣] قد انضاف اليه من الخير المظنون ، فان القاتل لم يقتل الاّ لما

---

١) سقط في الاصل : فاما اذا كانت مضادة على طريق الملكة والعدم

٢) انجيل متى ٧ : ١٨

٣) سقط في الاصل : بما

قد توهم من وصول خير اليه . ومن ههنا حدّ الفلاسفة الشر بأنه نقص تميز قوى العقل

فان قال قائل : فاذا لم يمكن أن يكون الشر من الخير لم يمكن ايضاً أن يكون الخير من الشر ، واذا كان ذلك كذلك فهما اذاً عنصران . اجبناه : ان الزوج لايكون مبدأ بل الواحد مبدأ كل زوج

وإن قال قائل : فللخير والشر اذاً مبدأ واحد . اجبناه : انه لا يمكن البتة أن يكون من شيء واحد بسيط غير منقسم ولامتجزىء ولامستحيل [١٠] ضدان [1] بالكلية — فان قال : فلنسلم اذاً أن المبدأ لهما بهذه الصورة اعني منقسماً متجزئاً مستحيلاً مركباً . اجبناه : ماهو بهذه الصفة ليس بأزلي بل محدث وكلامنا في الازلي ، فليس للشر اذاً وجود البتة بلازم الضرورة

فان قال قائل : فمن اين هو ؟ فان ظهوره في العالم غير مدفوع . أجبناه بجواب القديس والفاضل في المتكلمين الالهيين باسيليوس : انه يحدث من التضجع في ملازمة الخير

وللفلاسفة في الخير والشر سؤالات مستحسنة منها : لمَ ضاد الشرُّ الشرّ كالجبن للتهور ؟ ولمَ يضاد الخير الخير كالكراهة للذة بعقل ؟ الجواب : ان الكراهة بعقل لاتضاد اللذة بعقل لأن غايتها واحدة بعينها ، وانما ضاد الشر الشر لأنه غير محدود ولا له غاية ولا صورة ولا فعل فيضاد بالزيادة

١) في الاصل : ضدين

والنقص ، والخير محدود له غاية وصورة موجود فلم يتضاد لذلك . وحدُّه أنه الشيء المطلوب من الكل دائماً ، وقد حدَّه آخرون فقالوا : انه الصانع لكل الموجودات [١١] والحافظ لها ، وحدته طائفة اخرى فقالت : انه الارادة المتجوهرة [١] المؤثرة لأن توجد الخير ، وحده آخرون فقالوا : انه الشيء الذي يجود بالخيرات جوداً غزيراً من غير علة

ومن قائل : إن كان الخير يضاد الخير فقد صار للشر ضدان الخير والشر وهذا الظلم من الطبيعة . الجواب : انه ليس يمنع مانع من أن يكون للشيء الواحد ضدان بمعنيين مختلفين ، كالحارّ والفاتر للبارد ، والابيض والاسمر للأسود

فان قال قائل : ان الشرائع مجمعة على أن الطوفان وحريق سدوم وضروباً [٢] من المصائب تشمل الناس ، وبالجملة الموت من الله تعالى وهذه شرور ، وقد زعمتم أن الشر ليس من الله وهذا خلف . أجبناه : ان هذه الامور ليست شراً لأن المتولد عنها خير . ولقد أحسن القديس ديونيسيوس اذ يقول : إن كان الملائكة أشراراً لانهم يعاقبون الخطأة ، [١٢] فالذين يعاقبون الخطأة ايضاً اشرار ، والكهنة الذين يمنعون النجسين من الاسرار اشرار ، وفي ما ذكرناه كفاية وإن كان موجزاً ولله جزيل المنة

وأما الذين ردوا أمور الناس الى الاتفاق ودفعوا سياسة البارىء

١) يريد : الصائرة جوهراً
٢) في الاصل : وضروب

عز وجل وسابق نظره ففساد ماذهبوا اليه على هذا النص : قد كنا قلنا ان فعل الاتفاق يكون في الندرى ومما لم يؤمَّل [١] ،وأمور الناس ليست كذلك فليست اذاً عن الاتفاق . والدليل على ذلك ان المحسنين يتوقعون خيراً وخيراً يصادفون، والمسيئين ينتظرون شراً وشراً ينالون، وهذا في فِطر العقول مركوز لا ينكره الاَّ المعاند لا طالب الحق ، واذا قام الدليل على أن أمور الناس ليست بالاتفاق ثبتت السياسة وسابق النظر

وقبل أن نورد ما قاله الآباء من شواهد السياسة يجب أن نورد [١٣] حدّها الذي حدّوها به ، قالوا : السياسة هي عناية الخالق بالخلق ، وها حدُّها يصيح بوجودها اضطراراً ، وانه لمن الشنع أن نعتقد في الخالق جل علاه أنه لايسوس البرايا دائماً ويراعيها أشد مراعاة ، لأن ذلك يدل ويؤول إما الى اعجاب وإما الى جفاء وإما الى عجز ، وهذه الصفات يجل عنها افاضل الناس ، فضلاً عن مبدع سائر الموجودات المعقولة والمحسوسة عنصر الخير وينبوع كل فضل ، وكيف لايكون هذا الاعتقاد نهاية في الجنون ، وقد نرى جنس الحيوان الذي ليس بناطق يُعنى بغذاء ولده وتربيته واصلاح شأنه بجهده وطاقته ؟ قال الفلاسفة الروحانيون : ومما يدل على السياسة اتقان البرايا وحسن تأليفها وتناسبها ووضعها وكمالها وجريها على ماطبعت عليه ، ومما يشهد بها ايضاً الفصول اللاحقة للاشخاص التي

---

١) في الاصل : ما لم يؤمل

لا تحصى كثرة والتي يتميز بها الواحد من [١٤] الآخر ، فلا يقع بينهم اشتباه وفي هذا اكثر منفعة ، والدليل على ذلك انه لولا هذه الفصول لجامع الواحد أمه وأهل بيته من غير أن يعلم ، ولم يمتنع من الظلم والسرق والقتل لعلمه أنه لا يميَّز من غيره

ونجمل القول فنقول : متى ارتفعت ابواب البر تبطل السياسة ، لأن الله تعالى إن كان لا يسوس العالم فليس يثيب ولا يعاقب ، واذا لم يثب ولم يعاقب[1] لم يُعبد، واذا لم يعبد لم يقصد قصد التقى والصلاح ، وهذا اعتقاد مدفوع بأباه عزاز الناس وينكره الحس ولا حقيقة له ، والدليل على ذلك ما نشاهده في الناس حسًّا ، فانهم على اختلاف مذاهبهم ولغاتهم وشسوع[2] ديارهم واوطانهم مجمعون على فعل الخير والامتناع من الشر ، تقرباً الى الله عز وجل والتماساً لاحسانه وخيفة من عذابه ، ولم يلازموا هذا الامر على تقضي آلاف من السنين الاّ لما صح معهم عقلاً وحساً من سياسة البارىء تعالى للكل. [١٥] فقد قام الدليل اذاً على وجود السياسة وبقيامه على وجودها صح الاعتقاد بسابق النظر ، لأن السياسة تتبع سابق النظر ، ولو ارتفع سابق النظر لارتفعت السياسة ، وهذا ما أوردنا بيانه ولله جزيل المنة

وأما السبب الداعي الى اختلاف الناس في قصر العمر وطوله فهو لاقامة الدليل على القيامة، وعلى سياسة البارىء للعالم ، وعلى أن للنفوس عالماً

١) سقط في الاصل : واذا لم يثب ولم يعاقب
٢) في الاصل : تشاسع

غير هذا تتحول اليه وتصادف فيه جزاء عملها إن خيراً أو شراً ، ولولاه لكان من مات طفلاً والفقراء وذوو [1] الامراض المزمنة قد جِيرَ عليهم غاية الجور ولوُصف البارىء بسوء التدبير في أنه يبدع أشياء ثم يبيدها لغير منفعة ، جل وعز عن ذلك جلاله ، فان الناس لو تساووا في ذلك لدفعوا وجود عالم آخر ، وأنكروا سياسة البارىء وسابق نظره ، ولتوهموا أن ابداعه طبيعي لا اختياري

[١٦] ونقول أيضاً : ان اختلاف الناس في قصر العمر وطوله هو شيء توجبه السياسة ، وذلك أنهم لو تساووا في العمر لم يخلُ أن يكون ذلك إما قصيراً و إما طويلاً ، وان هذا وذلك من المعاف :

فان كان قصيراً لم يتمّ لهم مع قصره معرفة الموجودات والبحث عن الحق واحكام الفضيلة والترقي من فهم البرايا الى تصور مبدعها عزّ وجلّ الذي هو السعادة الكبرى — كقول بعضهم : لمّا رأينا الفلك متحركاً دلّنا ذلك أن له محركاً ضرورة ، ولمّا كان تحركُه على نمط واحد لا يختلف أوجبت الضرورة أن يكون المحرِّك واحداً ، ولو كان اكثر من واحد لحرّك كل واحد منهم غير حركة الآخر ولم تكن الحركة واحدة ، نعم وتحرّكُه من غير متحرك لأنه لو كان تحرُّك لمحرِّك الفلك لطلبنا له محركاً ، وهذا الى ما لا نهاية ، نعم والمحرك [١٧] غير جسم لأنه لو كان محرك

---

١) في الاصل : وذوي

الفلك ذا جسم لكانت قوته متناهية ، ولما كان محرك الفلك غير متحرك قام الدليل على أن قوته غير متناهية، واذا كانت قوته غير متناهية فهو غير ذي جسم ، ومع هذه الامور فهو غيرفاسد وأزلي ، فيُفهم اذاً من المقولات أن محرك الفلك واحد غيرُ متحرك وغير ذي جسم ذو [١] قوة غير متناهية وغير فاسد وازلي ؛ وهذا ليس هوشيئاً آخر إلاّ الله تعالى ، وهذا شيء لايقيسه طفل — ولم يتمكنوا [٢] من النسل الذي به بقاء النوع ، وكان خلق العقل عبثاً ومثله الحواس أيضاً ، وفي هذا من المضرّة ما ليس بقليل ومن الاشياء التي يُنسب البارىء لأجلها الى فساد السياسة وسوء النظر ، تعالى سبحانه عن ذلك علواً كثيراً

وإن كان طويلاً [٣] تقاعدوا بالفضيلة الى أوان الموت ، على أنهم بالكد [١٨] كانوا يفعلونها لكثرة انكارهم عالماً آخر وانهماكهم في الملاذ والفساد ، وكانوا [٤] اذا فعلوا الخير لم يكن ذلك إيثاراً للخير بل لقرب الموت ، وكان ذلك يصير من الاضطرار لا من الاختيار ، وما فُعل عن اضطرار ليس بفضيلة . وقد بانَ الضرر الناجم من هذا الوجه الآخر أيضاً

فليس التساوي في العمر اذاً من الاشياء المستقيمة النافعة ، واذا لم يكن التساوي نافعاً كان ليس إلاّ غير التساوي ، وغير التساوي الذي هو

---

١) في الاصل : ذي

٢) معطوفة على قوله « لم يتم لهم مع قصره معرفة الموجودات . . . »

٣) تابعة لقوله « فان كان قصيراً . . . »

٤) سقط في الاصل : وكانوا

الاختلاف ، فالاختلاف [١] اذاً نافع ومنفعته ظاهرة ، وذلك ان الانسان يستدل به على السياسة والقيامة فيتوفر على فعل الخير لذلك ، ثم لعلمه أيضاً أن وقت الموت غير محدود يتيقظ من الشر ، فهو إن كان صغيراً لا يأمنه ، فكيف اذا كان كبيراً ؟ واذا كان المقام في هذا العالم مشوباً بالاحزان متهيئاً الى الزوال وكان النشور متوقعاً فلا نحسد من طال عمره ولا نرثِ لمن مات [١٩] طفلاً ، وفي ماذكرناه كفاية ولله جزيل المنة

وأما العلة في اختلاف احوال الناس في الفقر والغنى ولِمَ لمْ يتساووا فيهما فواضحة أيضاً ، وذلك لو تساووا في الغنى لدفعوا القيامة ايضاً وسياسة البارىء تعالى ، ولوقفت امورهم ولما كان الواحد منهم يُضطر الى أن يكون حكيماً [٢] وحائكاً وخيّاطاً وفلاّحاً الى غير ذلك من المهن ، وهذا متعذر ، ولازدادت [٣] مع ذلك شرورهم . ولو تساووا في الفقر لوُصف البارىء بالبخل والعجز وسوء النظر ، تعالى عن ذلك علواً كثيراً . واذ قد بطل التساوي فقد ثبت ببطلانه الاختلاف المقابل له اذ كان لابد من احد الامرين

وفي الاختلاف من الفوائد ماليس بخافٍ [٤] : فمنها الاستدلال على

---

١) سقط في الاصل : فالاختلاف

٢) يريد : طبيبا

٣) في الاصل : ولتزايدت

٤) في الاصل : بخافي

القيامة والسياسة ، ومنها امكان تصرف الناس في الدنيا ، ومنها التطريق لفعل الفضيلة بالغنى والفقر ، أما الغنى فبالاحسان الى الضعفاء ، وأما الفقر فبالصبر [٢٠] والشكر ، وبازاء مايتحسر الضعيف لاجل ضعفه كذلك يسهل عليه الدخول الى الملكوت ، وبازاء ما يتلذذ الموسر بايساره كذا يصعب عليه الدخول الى الملكوت ، وما ذكرنا كفاية للحصيف ولله الحمد

وأما السبب الداعي الى اختلاف الناس في دوام الصحة والمرض فهو شيء توجبه السياسة ايضاً ، وذلك أنهم لو تساووا في دوام الصحة لانكروا ايضاً القيامة والسياسة ، ولازدادت [1] شرورهم ، والدليل على ذلك أنهم اذا رأوا كل شرير دائم الصحة دفعوا سياسة البارىء للعالم ، واذا رأوا كل خيّر دائم الصحة أنكروا القيامة ، وفي هذا من الضرر ما ليس بمدفوع . ولو تساووا ايضاً في دوام المرض لوُصف الاله تعالى بالبخل والعجز والجفاء او سوء النظر ، ولتوهم الناس أن فعله طبيعي لا اختياري ، جل عن ذلك جلالاً ، ولغلب الموت في النسل فسارع الفناء الى النوع ، ولاشتغل الناس بامراضهم عن التفلسف [٢١] والشرع في الاشياء التي بها ، مع تفضل الله عز وجل ، يتم لهم المقام في هذا العالم . وقد تبين الفساد الناجم من هذا الوجه ايضاً ، واذ قد استحال التساوي في الامرين جميعاً اعني في دوام الصحة والمرض فقد ثبت المقابل له وهو الاختلاف

---

١) في الاصل : ولتزايدت

وفي هذا الاختلاف من المنافع ما ليس بقليل : منها الاعتراف بالقيامة والسياسة ، ومنها التوفر على عمل الخير من الفئتين جميعاً ، أما الاصحاء فبما قد أنعم الله عليهم به من الصحة ، وأما المرضى فبصبرهم وشكرهم على ماقد مُنوا [١] به من الامراض

ولم يكن كل الاخيار في رخاء ولا كل الاشرار في شقاء ، بل بعض الاخيار في رخاء وبعضهم في شقاء [٢] كذلك بعض الاشرار في شقاء وبعضهم في رخاء ، لأنه لو كان كل الاخيار في هذه الدنيا في رخاء لكذّب الناس بالقيامة والمجازاة في ذلك العالم ، ولو كان ايضاً كل الاشرار في هذه الدنيا في شقاء [٢٢] لكذّب الناس بالقيامة والمجازاة هناك ، لكن بعض الاخيار ههنا ايضاً في شقاء وبعض الاشرار ههنا في رخاء ، وانما استتبّ ذلك لجهات نافعة : منها الدلالة على القيامة والسياسة ، ومنها ألاّ يفعلَ الناس الخير إيثاراً لحسن الحال في هذه الدنيا بل اشتياقاً الى الخير [٣] ، ومنها ليتبين الرجل الفاضل الشهم من الجاهل الفشل ، ومنها العتق من الاعجاب

ونقول ما قاله القديس غريغوريوس اسقف نيصص وهو : ان البارىء سبحانه اذا علم الانسان الخيّر الفاضل أن الاصلح له أن يكون في

---

١) في الاصل : منيوا

٢) سقط في الاصل : بل بعض الاخيار في رخاء وبعضهم في شقاء

٣) راجع رسالة ايليا مطران نصيبين . ص ٩١ وما بعدها من هذا الكتاب

الشقاء وانه إن حسنت حاله انحرف عن الصلاح يديم عليه شقاءه توخياً لصلاحه ، واذا علم أيضاً الانسان الشرير أن دوام ثروته تشغله عن كثير من الشرور وأنه لو عدمها لخرج أمرُه الى القتل والسرق والى غير ذلك من الامور الشنعة جداً [٢٣] يُقرّها عليه وينميها التماساً لصلاحه ايضاً ، فتبارك الله الوادّ للانام المؤثر أن يكونوا افاضل و بررة اماثل المبالغ في العناية بهم وحسن السياسة لهم وله اوفر الشكر وجزيل الحمد دائماً

وقد أوردنا بمعونة الله تعالى ما قاله الآباء في السؤالات المذكورة في المقالة راجين أننا قد أتينا على فضائل التعاليم الثلاث : وهي الاستقصاء في الصحة ، واستتمام المعنى ، والايجاز في الكلام ، ونحن نؤمل أن يجزي ويكفي الرجل اللبيب المنصف المتزمّت لا المعاند المعنّت

ولما كنا قد ذكرنا في هذه المقالة أن الله تعالى غير متحرك حسبما قاد اليه القياس ، وكان الاب الكبير والفيلسوف المتأله غريغوريوس المتكلم في اللاهوت قد وصفه بالحركة في ميمر الميلاد ، بقوله : ولما لم يكتفِ الخير بأن يتحرك في هذا المعنى على سبيل الايحاء ، قال [١] المفسرون : انه يجب أن [٢٤] نفهم الحركة في الله تعالى أجمل فهم : فيقال انه يتحرك لا على سبيل الحلول وهو الذهاب في كل المكان ، ولا على سبيل الاستحالة وهي الحركة التي تتحرك الى الضد مع ثبات المواضع كالصحة والمرض ، ولا

١) في الاصل : قالوا

على سبيل الغيرية كالحركة من لون الى لون ، ولا على سبيل التبدل كالهواء من الماء، ولا على سبيل النقلة في المكان وهي الحركة المستقيمة الدورية وذات الالتفاف وهي التي تشابه دوام دبيب الارقم ، ولا على سبيل الحركة العقلية وهي على ثلاثة أضرب : إما الى الافضل وإما الى الانقص وإما الى المتوسط ، ولا على سبيل الحركة النفسانية وهي تصوّر العقل والجسم ، ولا على سبيل الحركة الطبيعية وهي الحركة الى الاغتذاء والنموّ . فان الله تعالى ليس يتحرك ولا واحدة من هذه الحركات على الاطلاق ، إن لم نأخذ منها الحركات المكانية ونفهم [٢٥] ذلك فهماً لائقاً به تعالى فنقول : انه يتحرك الحركة المستقيمة لاجل أن بروز افعاله لا زوغان فيه ولا ميلان وأن كون الكل منه ، وانه يتحرك الحركة الملتفة المنكفة لبروز افعاله وثبات ما ينشأ عنها ، وانه يتحرك الحركة الدورية لاجل أنه يحصر الاطراف مع الوسط كالفلك الحاوي كل ما داخله وان الكل يعود اليه اذ هو علته . والى هذه الحركة أشار القديس اعني الدورية فهو يقول : ان الخير حرّك بعقله ذاته [1] من غير تحرك لما لم تكن الموجودات مبدعة ، اي ان العقل الالهي عندما تصور ذاته وحصر كل الموجودات فيها — وهي التي تزعم طائفة أنها صور ومثالات ـ لم يرضَ الاّ أن يكون صلاحه منبثقاً متدفقاً تدفقاً جماً . ويجب أن نعلم أن القديس يصف الطبيعة الالهية في موضع

---

١) في الاصل : لذاته

آخر [٢٦] بأنها تدرك ذاتها وتعقلها ، هذا ما قاله القديس والمفسرون موجزاً ولله جزيل المنة ، وبهذا فلنختم مقالتنا هذه ، والله محمود مشكور مسؤول حسن الصنيع في الدارين بجوده ورأفته

١٠

[٣٢] مقالة في وجود البارىء تعالى وكمالاته (١) تصنيف الربان دانيال المكنى بابن الخطاب (٢) نيح (٣) الله روحه

الحمد لله الازلي السرمدي ، و بعد فهذا مختصر في وجود البارىء تعالى ، وأنه ازلي ابدي الوجود ، وغير متناهي القوة ، وغير مدرك لشيء من مخلوقاته ولا يُحيط بكنه (٤) حقيقته الاّ هو فقط ، وأنه واحد ولا جسم له وسميع بصير : (٥)

فصل في وجود البارىء تعالى — نقول : إن كان في الوجود ممكنُ الوجود ، فيلزم أن يكون في الوجود موجدٌ خالق كل موجود ، لكن المقدم حق ، فالتالي مثله . بيان صدق المقدم : ان الموجودات الممكنة كثيرة ، والممكن يفتقر الى علة توجده ، وعلته لا يمكن أن تكون ممكنة ، لأن الممكن هو الواجب بغيره ، فكيف يوجد غيره ؟ واذا كان كل ممكن

---

١) في خزانة كتبي نسخة واحدة من هذه المقالة رقم ١٥٧٠ تعود الى القرن السادس عشر

٢) اقرأ ماروي عنه في مجلة الشرق المسيحي Revue de l'Orient Chrétien 1904,T.X, 314-318

٣) قل « روح الله روحه »

٤) في الاصل : كنه

٥) ورد للمؤلف نفسه ما اورده في هذه المقالة في الفصول الخمسة الاولى من كتابه « مختصر في أصول دين النصرانية مختص بالملة اليعقوبية » المحفوظ في خزانتنا

في الوجود مفتقراً الى غيره ، فالكل مفتقر الى غيره ، فذلك الغير يجب [٣٣] أن لا يكون ممكناً لذاته ، فبقي أن يكون علةُ الكل واجباً لذاته ، وهو البارىء تعالى

فصل في أنه تعالى أزلي أبدي الوجود — نقول : قد ثبت بالبرهان أن كل ممكن لابدّ له من علة توجده ، وثبت أن علته [١] ليست ممكنة مثله ، وكل ما هو غير ممكن لذاته فهو واجب لذاته ، وكل واجب لذاته لا يُتصوَّر عليه البداءة [٢] والنهاية ، وكل ما لا يُتصور عليه ذلك فهو ازلي ، فاذاً البارىء تعالى أزلي ، وكل ازلي فهو بالضرورة ابدي ، فهو تعالى ازلي ابدي ، وهو المطلوب

فصل في أنه تعالى غير متناهي القوة — و برهان ذلك أن الممكن بذاته يجب أن يستمد الفيض والانعام من غيره ، وذلك الغير إن كان ممكناً لذاته افتقر الى غيره ، وكذلك الى [٣] أن ينتهي في آخر الامر الى موجود ليس له قبول الفيض من غيره بل هو عام الفيض على الموجودات كلها ومنه تستمد كمالاتها و به دوامها وثباتها ، فهذا ينبغي أن يكون غير متناهي القوة ، وليس بهذه الصفة الاّ الله تعالى ، فهو غير متناهي القوة ، وهو المطلوب

[٣٤] فصل في أنه تعالى غير مدرَك لشيء من مخلوقاته ولا يحيط

---

١) في الاصل : علة
٢) في الاصل : البداية
٣) سقط في الاصل : الى

بكنه حقيقته الاّ هو فقط ـ والدليل على ذلك انه تعالى علة الكل ، والعلة تحيط بمعلولها ، والمعلول لا يحيط بعلته ، بل المعلول يعلم بوجود علته من اللوازم الصادرة عنها فقط ، واذا كان الامر بهذه الصفة فلا يحيط بعلة الكل احد من الكل فعجز عن ادراكه الكل ، والى مثل هذا اشار بعض الفضلاء بقوله : عجزت عقول الكل عن ادراكه كالشمس تعجز دونها العينان

فصل في أنه تعالى واحد وغير جسم وسميع بصير ـ فنقول : لو كان في الوجود اكثر من اله واحد ، فاما أن يشتركوا من جميع الوجوه، أو يفترقوا من جميع الوجوه [١] ، أو يشتركوا من وجه ويفترقوا من وجه ، وذلك في وجوب الوجود والقدرة والقدم والسلطان والعظمة . والقسم الاول محال لأن الاشتراك من جميع الوجوه في جميع الاحوال يوجب الوحدة المحضة، والقسم الثاني باطل لأن الافتراق من جميع الوجوه يمنع وجوب القدم والخالقية والقدرة وغيرها [٢] ،فتعيّن القسم الثالث وهو [٣٥] الاشتراك من وجه والافتراق من وجه ، ولا شك أن وجه الاشتراك غير وجه الافتراق، وكل ماهو بهذه الصفة فهو مركب من الاشتراك والافتراق ، وكل ما هو مركب من أمرين يلزم أن يكون مخلوقاً اذ يكون وراءه شيء آخر قد خصّصه بالاشتراك والافتراق فيكون مفعولاً من غيره ، وقد قيل انه

١) سقط في الاصل : او يفترقوا من جميع الوجوه
٢) في الاصل : وغيره

خالق ، فهذا محال ، وهذا المحال صدر من قولنا ان في الوجود اكثر من اله واحد ، ولما بطل القول باكثر من واحد تعيّن [١] الحق وهو أن الاله واحد وهو المطلوب

ثم نقول : انه تعالى ليس جسماً ، لأن كل جسم حادث ، وكل حادث مخلوق ، فكل جسم مخلوق . ولما كان البارىء تعالى ليس بحادث على ما بيناه وليس بمخلوق ، فهو اذاً ليس بجسم . ونقول ايضاً : ان البارىء تعالى غير متناهي القوة على ما بيناه آنفاً ، وكل جسم متناهي القوة ، فليس [٢] شيء منه تعالى بجسم . ونقول ايضاً : لا شيء من الازلي متناهٍ ، وكل جسم متناهٍ ، فليس [٣] شيء من الازلي بجسم

ثم نقول : انه تعالى سميع بصير ، لأن البصر والسمع من دلائل الكمال ، ولما كان سبحانه اكمل الموجودات ، يلزم أن يكون سميعاً بصيراً . [٣٦] ونقول ايضاً : انه حي كامل ، وكل حي كامل يسمع و يبصر ، فاذاً هو سميع بصير . ونقول ايضاً : انه تعالى يعلم الاشياء قبل كونها [٤] لأنه علتها [٥] ، والاصوات والالوان من جملة الاشياء الموجودة ، فهو اذاً يسمعها و يبصرها وهو المطلوب

---

١) في الاصل : فتعين
٢) في الاصل : فلا
٣) في الاصل : فلا
٤) في الاصل : كونه
٥) في الاصل : علته

١١

[٦٦] براهين على صحة الانجيل (١) لمار ايشوعياب بن ملكون مطران نصيبين (٢)
صلواته معنا امين

البرهان الاول — الانجيل كتاب قبلته أمم وشعوب مختلفة في المكان والخلق والعادة والسُنّة واللغة . وكل كتاب قبلته أمم وشعوب مختلفة في المكان والخلق والعادة والسنة واللغة يكون بالضرورة حقاً . فالانجيل والحالة هذه بالضرورة حق

فان قال قائل : ان المقدمة الكبرى ، وهي القائلة القول المقدم ذكره ، تحتاج الى بيان لأنها ليست [٣] أوّلية في العقل . قلنا . من الاوائل في العقل أن الامم المختلفة في المكان والخلق والعادة والسنة واللغة لايمكن أن يقع التواطؤ بينها ولا الالفة ، لأنها في الجزءين وتوابعهما مختلفة اعني في البدن والنفس . فما ذاك الذي اتفقت فيه الأحق [٤] ، لأنها اتفقت مع تلك الاحوال التي تباينت فيها بدليل صادق . والدليل الصادق هو المعجز الذي يختص به البارىء تعالى ، وهو دليل الانجيل بحسب المشاهدة الحسيّة : فاننا نجد كافة أمم الدنيا قبلت الانجيل وهي متباينة الاحوال ،

---

١) في خزانة كتبي نسخة واحدة من هذه المقالة ومن المقالة التي تتبعها تحت رقم ١٥٦٥ خطت في سنة ٧٤٦ للهجرة أي ١٣٤٥ للمسيح

٢) راجع ما ذكره عنه السمعاني في مكتبته الشرقية قسم ١ جزء ٣ , BO . III[1] 295 - 306

٣) سقط في الاصل : ليست

٤) في الاصل : حقا

ولا [٦٧] نجد بين هذه مَن قبلَ التوراة كشريعة يعمل بموجبها سوى العبرانيين ، والقرآن سوى العرب والعجم ، وهم من الامم الشرقية[١] المتقاربة في المكان والخلق والعادة والسنة واللغة فالانجيل بالضرورة حق ، والمقدمة الكبرى حق ، والبرهان من الأوائل في العقل . وذلك ما أوردنا بيانه في البرهان الثاني

البرهان الثاني — الانجيل كتاب يدعو الى ما هو فوق الطبيعة. وكل كتاب يدعو الى ما هو فوق الطبيعة يقتضي برهاناً صادقاً[٢] ليثبتَ قبولهُ في الامم . وكل ما يقتضي برهاناً[٣] ليثبت قبوله في الامم فهو حق. فالانجيل حق . والمقدمة الكبرى في هذا البرهان تثبت بالبيان الذي ثبتت به مقدمة البرهان الاول الكبرى

البرهان الثالث — الانجيل كتاب ثبت في الامم بدليل. وكل كتاب ثبت في الامم بدليل فهو حق . فالانجيل حق . وهذا البرهان يثبت بما ثبت به البرهانان المتقدمان

البرهان الرابع — من البيّن الظاهر أن[٤] علماء الزمان في قديم الايام هم فلاسفته واطباؤه ، وفلاسفة الزمان واطباؤه هم[٥] اصل انارته ، اذ كانت

---

١) في الاصل : الشرق
٢) في الاصل : برهان صادق
٣) في الاصل : برهان
٤) سقط في الاصل : ان
٥) في الاصل : منهم

مجالس العلماء فيها ومنها منشأ العلوم واهل البيّنة . [٦٨] وهؤلاء قبلوا الانجيل ، وادلّة الباطل لا تجوز على العلماء ، فيكونون قد قبلوا الانجيل بالدليل الصادق . فالانجيل اذاً حق [١]

البرهان الخامس ـ من البيّن الظاهر أن السُنن المعمول بها في سائر الاديان ثلاث [٢] : سُنّة عدل وهي التي أتى بها موسى ، وسنة جود ورحمة وهي التي أتى بها السيد المسيح لاسمه السجود ، وسُنّة جور وظلم وهي بخلاف السنتين المتقدم ذكرهما ، وهي سنة المجوس والصابئين والدهريين والمعطلين وغيرهم ، وكلهم من جنس واحد يجمعهم الاتفاق على الضلال وكونُ [٣] سنتهم ليست من الله . وافضل هذه السنن وأكملها وأعظمها مناسبةً لاخلاق البارىء عز وجل هي سنّة الجود والرحمة التي نادى بها الانجيل . فسنة الانجيل أفضل السنن . فالانجيل اذاً حق

البرهان السادس ـ التواطؤ على خلاف الحق يمكن أن يقع في بعض الأمم اذا كانت متقاربة في اخلاقها وعاداتها وسُننها . فأما الامم المختلفة جدّاً في هذه الاحوال فلا يمكن أن يقع بينها التواطؤ على مايخالف الحق . والامم التي هذه احوالها قد قبلت الانجيل . فالانجيل اذاً حقّ . وهذا البرهان يثبت بما ثبت من البراهين المتقدمة

---

١) راجع مقالة ابن زرعة لبشر بن فنحاس بن شعيب الحاسب. ص ٤٥ من هذا الكتاب

٢) في الاصل : ثلاثة

٣) في الاصل : وتكون

School of Oriental Studies
The American University at Cairo

[٦٩] البرهان السابع ـ كل كتاب صادق يثبت بدليل ويجب قبوله فهو حق . ولما كان الانجيل كتاباً صادقاً ثبت [١] بدليل ووجب قبوله . فالانجيل اذاً حق

البرهان الثامن ـ الانجيل كتاب ثابت بدليل ثابت . وكل كتاب يثبت بدليل ثابت فهو حق ممتنع دفعه . فالانجيل حق ممتنع دفعه

البرهان التاسع ـ الناس كلهم يميلون الى ما يوافق طباعهم واخلاقهم وعاداتهم . والانجيل ينادي بما يخالف طباع الناس واخلاقهم وعاداتهم : وهو [٢] محبة الاعداء ، والاحسان الى المسيء ، والامساك عن كل مطلوب ، والانتهاء عن كل مرغوب ، و بذل النفس لخلاص البشر كافة . ورأينا الناس عدلوا عن آرائهم وقبلوا الانجيل ، وهو بخلاف طباعهم واخلاقهم وعاداتهم . وهذا لا يمكن أن يكون بغير دليل صادق و بيان واضح و برهان صحيح . فالانجيل حق واضح يجب قبوله

١٢

[٧٠] وله (٣) أيضا أدلة أخر على صحة الانجيل

الدليل الاول ـ ان سُنّة الانجيل موافقة للخير والصلاح . وكل ما هو موافق للخير والصلاح فهو محمود . وكل ما هو محمود فهو حق . فسنة

---

١) في الاصل : يثبت

٢) في الاصل : وهي

٣) اي : لايشوعياب المصنف المذكور

الانجيل حق

الدليل الثاني ـ كل ما يوافق و يلائم شيئاً ، فقبوله أسرع من قبول ما لا يوافقه ولا يلائمه . والانجيل يوافق و يلائم النفس العاقلة ، فاذا ما تهذّبت قبلت أفضل نوع الموجودات . وأفضل نوع الموجودات [١] هو ذات الخالق . والانجيل يدعو النفس العاقلة الى قبول ذات الخالق . فالانجيل اذاً حق

الدليل الثالث ـ اللذات ثلاث : إما لذة النفس الشهوانية ، و إما لذة النفس الغضبية ، و إما لذة النفس العالمة . والانجيل مناف [٢] للذّتي النفس الشهوانية والغضبية ، ومناسب للذة النفس العالمة . وأفضل علوم النفس علم الالهيات . والانجيل ينادي بالالهيات . فالانجيل اذاً حق [٣]

[٧١] الدليل الرابع ـ ان الموجودات تنقسم الى قسمين : محسوسة ومعقولة ، فللمحسوسة سُنن ، وللمعقولة سنن غيرها . والموجودات المعقولة أفضل من المحسوسة ، فسننها أفضل من سنن المحسوسة . والانجيل يحوي السنن المعقولة ، فالانجيل يحوي أفضل السنن ، فهو اذاً حقٌ

الدليل الخامس ـ من البيّن الظاهر أن كل قوم هجروا مذهبهم فلاسباب [٤] تصبو انفسهم اليها . والانجيل ينادي بما لا تصبو اليه الانفس

---

١) سقط في الاصل : وافضل نوع الموجودات
٢) في الاصل : منافي
٣) انظر ما جاء في هذا المعنى لابن زرعة ص٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٥٧ و ٥٨ من هذا الكتاب
٤) في الاصل : لاسباب

ولا يؤثره الهوى لصعوبته ، لأن السيد المسيح يقول : « من احبني فليهلك نفسه » [١] ووجدنا أكثر اهل العالم قد قبلوا هذا الذي لا تصبو اليه الانفس قبول المؤثر المختار ، وهذا لا يمكن قبوله الاّ بدليل. فالانجيل اذاً حق

الدليل السادس — كل من يهوى شيئاً ينصره . وكل من نصر شيئاً فليس يخلو ذلك الشيء إما أن يُصلح شأن جسمه او يصلح شأن نفسه . والانجيل نادى باحوال تصلح شأن النفس . وهذه الاحوال باقية ببقاء النفس . وأما احوال الجسم ففاسدة بفساد الجسم . والانجيل نادى باحوال تبقى ببقاء النفس . وكل ما نادى بمثل ذلك فهو حق . فالانجيل حق

الدليل السابع — الانجيل نادى بقبول أشرف الذوات وهي ذات الخالق . وهذا لا يتمّ الاّ بأفضل [٧٢] استعداد . وأفضل استعداد هو تخلية الدنيا جملة ، وتطهير [٢] الجسد والنفس من كل دنس . فاذا حصل للانسان هذا الاستعداد اشرقت ذات الخالق عليه وحلّت في نفسه الناطقة. والانجيل نادى بهذا الاستعداد . فالانجيل اذاً حق

الدليل الثامن — أفضل الموجودات ما تشبّه بأفضل الصُوَر . وأفضل الصور هي صورة البارىء تعالى . والانجيل نادى بالتشبّه بها . فالانجيل اذاً حق

---

١) انجيل مرقس ٨ : ٣٤

٢) في الاصل : وتطهر

الدليل التاسع — الانجيل نادى بالمحبة ، والمحبة جامعة للمؤمن والغير [١] المؤمن والقريب والبعيد والصديق والغير [٢] الصديق . وهذه المحبة مماثلة محبة البارىء تعالى لخلائقه لأنه يطلع شمسه وينزل غيثه على الاخيار والاشرار . والانجيل يحث على الاحسان الى الاعداء والاصدقاء ويحضّ على محبة الاعداء والاصدقاء على حد سوى . وهذا من اخلاق البارىء تعالى [٣] . فالانجيل اذاً حق [٤]

١٣

[٤٨] مقالة في الرد على اليهود والمسلمين الذين يتهمون النصارى بعبادة الاصنام لسجودهم للصليب واكرامهم صور المسيح والسيدة والقديسين صنفها مار أيشوعياب بن ملكون مطران نصيبين صلواته معنا امين (٥)

اننا نكرم الصليب لأننا نتصور المخلص وهو بهذا الشكل قبالة حواسنا وقد بذل نفسه عنا لنتمثل به ونبذل أنفسنا عن الحق ولأنه أراد أن يوصلنا به الى القيامة فنحن ننصبه لنتذكر الحالة التي وصلنا بها اليها ، فأما من ينكر تعظيمه علينا ففي [٦] غير موضعه لأننا نشاهد الملوك وهم اناس مثلنا فنبوس ايديهم وتقبل ابوابهم ونسجد على التراب امامهم

---

١) و ٢) في الاصل : وغير

٣) اقرأ ص ٢٠٣ وما بعدها من كتابنا « المشرع »

٤) راجع المحاضرة الثالثة في رد من يتهم النصارى بتحريف الانجيل من « المشرع »

٥) في خزانة كتبي نسخة واحدة من هذه المقالة ومن المقالة التي تليها تحت رقم ١٥٧٨ تعود الى القرن الرابع عشر

٦) في الاصل : في

لنحظى عندهم ، فكما انه غير منكر علينا تقبيلنا جسماً بشرياً [١] كذلك لا ينكر علينا تقبيل جسد المسيح أو ما هو مثل هذا على هيئته ومحلّه عندنا المحل الموصوف ، وكما اننا نقبل بساط الملك اجلالاً للملك لا للبساط كذلك نعظم هذا الشكل الذي تشكل به المسيح لأنه صورة جهاد المسيح في الله وليس التعظيم للخشب والنحاس بل للمعنى المدلول بهما [٢] عليه

[٤٩] وأول من وضع الصليب في البيعة بطرس السلّيح [٣] عليه السلام لما رسم على سيمون الساحر فوقع من الأفق وتقطع ومات فأمر حينئذ بوضع الصليب في بيعة رومية الكبرى وبعد ذلك في بيعة انطاكية وقصة الصليب مع الملك الموفق قسطنطين رضي الله عنه معروفة

ونجد أن بني اسرائيل كانوا يعظمون التابوت الذي اتخذه موسى ويسجدون له وكان موسى النبي اذا حمله يقول : « قم يارب لينهزم مبغضوك »[٤] ويشوع بن نون ومشيخة بني اسرائيل خرّوا ساجدين بين يدي التابوت معظمين له ، وداود النبي عليه السلام لما نقل التابوت الى اورشليم عظّمه غاية التعظيم وشيعه بالتسبيح والتهليل وافتتح ذلك بما قاله موسى يحيي الله اذ قال : « ليقم الله فيفترّق اعداؤه ويهرب مبغضوه من

---

١) في الاصل : جسم بشري

٢) في الاصل : بها

٣) لفظة سريانية معناها : الرسول

٤) سفر العدد ١٠ : ٣٥

بين يديه» [١] وهذا فعلُهم بالتابوت تعظيماً لله لا للخشب فنحن بمثل هذه السُنّة اقتدينا في تعظيمنا الصليب وجرينا فيها على طريقة الانبياء والابرار

وكما فعل يعقوب أبو الاسباط لما جاءوه بقميص يوسف وعليه دم مسفوك فضمّه اليه وتعزى به فانفتحت عيناه بالقميص وصبر على آلام الاحزان كذلك نعظم [٥٠] الخشبة التي سُفك عليها دم المسيح ومثالها ونتعزى بها ونصبر على شدائد الدنيا الى أن يرد المسيح في مجيئه الثاني ملكاً [٢] على الدنيا والملكوت ويشركنا معه في ملكوته السماوي كما رأى يعقوب يوسف ملكاً على مصر واشركه في ملكه ونعمته

وليس تقبيلنا أو سجودنا نحو الصليب بأكثر من تقبيل الحجر الذي بمكة والسجود نحو البيت من جميع جوانبه ، فكما لا يلزم المسلمين [٣] أن يكونوا اذا قبّلوا الحجر وسجدوا نحو البيت عابدين له دون الله كذلك لا يلزم النصارى أن يكونوا اذا قبلوا الصليب لمعناه لا لذاته أن يكونوا قد عبدوه ، فليس كل مسجود له معبود بل كل معبود مسجود له اذ قد نسجد امام القرابين ونقبّل عند تناولها [٤] ايدي الآباء والكهنة اعظاماً لما فيها [٥] من اسرار اللاهوت واكرامنا للقداس ورتبة الكهنوت لا للخبز

---

١) سفر المزامير ٦٧ : ٢
٢) في الاصل : ملك
٣) في الاصل : المسلمون
٤) في الاصل : تناولهم
٥) في الاصل : فيهم

والخمر والانسان، وتقبل قبور الشهداء ونأخذ منها الطين والتراب والحصى توقيراً لمن فيها وكذلك يجري الامر في اجلال صورة المسيح والسيدة والقديسين

وأول من وضع في البيعة صورة المسيح والسيدة وأبرار الشريعة برماري السلّيح احتذاءً لفعل سيدنا المسيح في انفاذه المنديل وفيه صورته الى ابجر صاحب الرها ، [٥١] والصور في البيوت المقدسة هي بمنزلة الكتابة لمن لا يفهم الخط والقراءة كالصغار والامّيين فاذا شاهدوا الصور استغنوا عن السؤال واستنباط الخبر

والمسلمون واليهود يعظمون الكتب المنزلة وكل ما يكتب عليه اسم الله من جميع الجواهر وليس التعظيم [١] للجوهر المكتوب عليه من الورق والرق والاصباغ والحبر لكن للمعنى المدلول بذلك عليه وهو ذكر الله والانبياء والصالحين

واليونانيون والصابئون والفلاسفة القدماء عظموا الكواكب وصوّروا صورها [٢] في هياكلهم واستمر الأمر بينهم أن [٣] كل معظم تُصوَّر هيئته قبالة أعينهم ، فلما وردت الدعوة المسيحية آنس الحواريون [٤] الشعب بتصوير ابرار السنة قبالة حواسهم ليستأنسوا ببعض ما ألفوه من عاداتهم والاكرامُ انما هو للمسيح ولحواريّيه وللانبياء والقديسين لا

١) في الاصل : تعظيم
٢) في الاصل : صورهم
٣) سقط في الاصل : ان
٤) في الاصل : الحواريين

للأصباغ والهيئات والاشكال المرسومة في الذوات المحسوسة ، وقد يرِد على الانسان كتاب من سيد يكرمه أو صاحب له يستخدمه فيقبله بالتقبيل والكرامةُ عائدة على الكاتب [١] لا على جسم البياض والحبر ، وكذلك ما قلناه في معنى الصليب من تقبيل بساط الملك [٥٢] وتقبيل ثيابه ولثم التراب بين يديه اجلالاً له لا للبساط ولا للثياب ولا للارض نقوله ايضاً في معنى الصور

وانما صوّر المؤمنون الحواريين والشهداء والقديسين لأنهم أبادوا اجسادهم عن الحق وأماتوا ذواتهم لاجل الشريعة وأخفوا اشخاصهم بالممات وأعلنوا الدين و بيّنوا قواعد السُنَّة للمؤمنين و بشّروا بالبشارة في الاقطار وسائر البلاد والامصار ، فاما هلكوا في المقاومة عن الشرع واولاده وجاهدوا في الله وفي سنته وتثبيت شريعته حقّ الجهاد صوّر [٢] المؤمنون صورهم احياء لذكرهم و بشرى لامرهم وجعلوا صورهم امام اعين الشعوب في المواضع المقدسة و بيوت العبادات المشرّفة وقبّلوا صورهم وسجدوا لله امامها وجعلوها كالقيامة لهم مثل الصليب فتعظيم هذه الصور لكونها دالة على الاشخاص الشريفة المدلول بها عليهم والمشار بشكلها اليهم

فان قيل : انها كالاصنام التي كانت تُعبد وفي كونها تشبهها ففيها

---

١) في الاصل : الكتاب

٢) في الاصل : صوروا

شناعة وأوفى بشاعة ، قلنا : ان تلك الاصنام المجسمة والاجسام المعظمة كانت تُعبد دون [١] الله وهذه صور اشخاص الهية من عباد الله المخلصين تُعظم لاجل الله [٥٣] وتُكرم لاجل اخلاصهم لله وفرق عظيم بين ما يُعبد دون الله وما [٢] يُعظم لاجل الله : ألا ترى أن الضحايا التي كانت تُقرب للاصنام صار بنو اسرائيل يقربونها لله وذاك القربان الاول كفر وهذا الثاني ايمان وعبادة ، وكذلك ما يذبحه المسلمون في عيدهم ويجعلونه قرباناً لله ، [٣] فلو وجب الامتناع من الصور لاجل مشابهتها للاصنام لامتنع اليهود والمسلمون من القرابين لاجل مشابهتها لقرابين الاصنام ، وكذلك نسجد لله ونعبد الله وليس يجب أن نمتنع من جنس السجود وجنس العبادة لله لكونهما كانا [٤] قديماً للاصنام ، فكما لم يجُز أن يُمتنع من السجود لله لاجل أن السجود كان للاصنام ولا يُمتنع أن يُعبد الله لاجل أن العبادة كانت للاصنام كذلك لا يجوز أن يُمتنع من تعظيم الصور المشبهة بأولياء الله لاجل الله لكونها مشابهة لما كان يُعبد دون الله

وقد قال الله لموسى النبي : « اعمل صورة ملاكين على التابوت وصفيحة التمحيص التي عليه واجعل وجهيهما متقابلين واجنحتهما منتشرة » [٥]

---

١) سقط في الاصل : دون

٢) في الاصل : وبين مايعظم

٣) في الاصل : قربان لله

٤) في الاصل : لكونهم كانوا

٥) سفر الخروج ٢٥ : ١٨ و ٢٠

فاذا كان الله قد أمر بتصوير الصور في [٥٤] السُنّة الاولى فكم بالأحرى أن يُمثّل ذلك في الشريعة العظمى الاخرى فلذلك عظمنا صور من عبد الله وبذل نفسه في طاعة الله لله ، وكلما عظمنا عبيد الله لاجل الله مثل الوسائط الى الله كان ذلك أعظم في تعظيم الله كما نعظم خادم الملك لاجل الملك[١] ولا نهجم بنفوسنا على الملك فيكون ذلك اقداماً[٢] عليه فتعظيم بابه أعظم من تعظيم بساطه وتقبيل الارض بين يديه أعظم من تقبيل يديه لأن العبادة أمر معنوي نفساني يدل على أمر ظاهر حي ، فلا جُناح علينا في ذلك اذا جعلنا ما[٣] كان معبوداً دون الله مستخدماً في عبادة الله معظماً لانتهائه الى الله لأنه غير محمود الهجوم على الله بغير واسطة والاقدام عليه بغير دليل وطريق ، والصور دالة على من هي صورهم وأولئك ادلة على الطريق والهداية والشريعة وطريق الى الله واذا عُظّم أبعد وسيط في تعظيم الله كان أعظم في تعظيمه

ولو جاز الامتناع من تصوير صور أوليائه جل وعز لاجل مشابهتها للاصنام التي عُبدت لجاز أن لا يخلق الله النار لأنها عبدت دونه ولا يخلق عجلاً لأنه عبد [٥٥] دونه ولا يسيّر الكواكب لأنها عبدت دونه ولامتنع عز وجل من خلقه صورة بني آدم لأنها قد عبدت دونه وامتنع

١) سقط في الاصل : لاجل الملك
٢) في الاصل : اقدام
٣) سقط في الاصل : ما

من اظهار الشمس لانّها عبدت دونه

فصور أولياء الله عوض عن اشخاصهم وتقبيلها شبه السلام عليهم والخدمة لهم ومذابحهم وذكر فضائلهم شبه مخاطباتهم ومحادثاتهم والقرابين على اسمائهم مثل مؤاكلتهم ومثل رتبهم لأنهم أخوتنا في المعمودية ورضيعي لبان الشريعة المسيحية والسُنّة الالهية والبخور امامهم وامام ذخائرهم المقدسة سُنّة افعالهم الطيبة واخلاقهم المحمودة وأخذ الآثار من تُربهم والدهن من قناديلهم للتبرك بها شبه صلاتهم وعطاياهم واجتماع الجموع لديهم وفي بيوت العبادات في تذكاراتهم [١] واعيادهم شبه رؤيتهم وحضور ولائمهم ودعواتهم ، فكأنهم ماتوا عن الشريعة والحقّ بأجسادهم فأحياهم أبناء الشريعة وأولاد المعمودية بالذكر [٢] الطيب والمدح المبشر وغير ذلك مما ذكرناه ووصلوا الى الفوز بحياة الخلود في الملكوت فكملتهم الشريعة في الدنيا وصورتهم السُنة في هذا العالم لأنهم عنها [٥٦] أهلكوا ذواتهم وفي الجهاد لتبيينها أتلفوا نفوسهم واجسادهم فأعادتهم ذكراً وأحيتهم فعلاً في هذا العالم وفي العالم الآتي لهم النعيم السرمدي والمجد المخلد صلوات الله عليهم وصلواتهم تكون معنا الآن وكل أوان والى دهر الداهرين آمين [٣]

---

١) في الاصل : ذكراناتهم

٢) في الاصل : بالذكران

٣) راجع شرح العقيدة النصرانية لبولس الراهب اسقف صيداء . ص ١٢ من كتاب « مقالات ديلمية قديمة »

١٤

وللمصنف (١) أيضا مقالة في قيامة الاجساد العامة

حدُّ القيامة أنها عود الاجساد البشرية التي أحالها الزمان الى هيئتها وصورتها وردُّ نفوسها اليها لتنال الثواب أو العقاب الى الابد

و يُعترض على القيامة العامة بهذين الاعتراضين :فالاول ان الاجسام الفاسدة لا يمكن أن تعود الى حالها الاولى بعد فسادها . والثاني الجسم الواحد اذا استحال يتكوّن منه جسم آخر وحيوان آخر ، وهكذا الجسم اذا استحال فانه تتكوّن منه أرض ، والارض نبات ، والنبات غذاء ، والغذاء دم ، والدم جسد انسان آخر ، فكيف تعود الاجسام على [٥٧] هذا القياس وتُردُّ النفوس اليها في القيامة ؟ فاقول : هذان الاعتراضان لهما جوابان :

فأما اعتراض من قال : ان الاجسام الفاسدة لا يمكن أن تعود الى حالها الاولى بعد فسادها فجوابه : كلّ ممكن الوجود اذا فُرض له زمان غير معيّن خرج الى الوجود ، واذا كان هكذا ، كان وجود شخص من الاشخاص البشرية ممكناً (٢) ، وذلك أنه لو لم يكن ممكناً (٣) لوجب ضرورةً أن يكون إما ضرورياً : والضروي هو دائم الوجود ، والاشخاص البشرية ليست دائمة الوجود اذ كانت قبل وجودها معدومة ، وإما ممتنعاً :

---

١) اي لايشوعياب المقدم ذكره

٢) و ٣) في الاصل :ممكن

والممتنع هو دائم العدم ، والاشخاص البشرية ليست دائمة العدم اذ قد وُجدت في وقت ما . فاذا بطل أن يكون وجودها ضرورياً او ممتنعاً ثبت أنه ممكن . وكل ممكن الوجود اذا فُرض له زمان غير معيّن خرج الى الوجود . فالاشخاص البشرية تخرج بعد فسادها بالموت الى الوجود وذلك في القيامة العامة

وأما اعتراض من قال : الجسم الواحد اذا استحال يتكوّن منه جسم آخر وحيوان آخر وهكذا الشخص اذا استحال فانه يتكوّن منه ارض والارض نبات والنبات غذاء [٥٨] والغذاء دم والدم شخص انسان آخر ، فكيف تعود الاجسام على هذا القياس وتُردُّ النفوس اليها في القيامة ؟ فجوابه : ان الله تعالى بقدرته جبل الانسان من تراب الارض حتى انشأه ليعلم أن انهاضه من الارض لا يصعب اذا شاء . فكما لا يُعجزه تعالى الاخراج من العدم الى الوجود ومن غير شيء ، كذلك لا يعسر عليه حشر الاجساد البالية من مكان الى مكان اذا شاء ، اذ كان سائر ما يُبطله فساد ، ويبيده ماء ، ويحرقه نار ، ويحويه قبر ، وجميع ما يأكله سبع وطائر وسابح في بحر وبرّ وجوّ يعود الى الارض من كل الاسباب ، ويتحوّل الآكل والمأكول والفاقد والمفقود الى التراب ولا يتجاوز الارض في سائر حالاته ، ومنها يخرج وينهض كل جسد بذاته [١]

١) راجع مقال ابن زرعة في هذا المعنى في ص ٤٦ وما بعدها من هذا الكتاب

١٥

[٢٠] مقالة في اثبات صدق الانجيل على طريق القياس بالبرهان والدليل (١) من كلام الشيخ يحيى بن عدي بن حميد بن زكرياء رحمه الله تعالى (٢)

قال: ان من المشاهد بالعيان أن الانجيل الطاهر مقبول من (٣) أمم كثيرة متباعدة الاوطان قد كانت مختلفة الاديان متنائية الاهواء لايجوز على امثالها التواطؤ ولا يسوغ الظنة بأشكالها التوافق ، واذا كان ذلك كذلك وكان كل مقبول لن يخلو من أن يكون مقبولاً من اسباب يُقبل منها الباطل وإما من اسباب يُقبل من مثلها الحق ، واسباب قبول الباطل الهرب من القتل والذلّ والفقر ومن تكلُّف التعب الفادح ومن ضيق الشريعة ومن قطع الارحام ومن مجانبة اللذات مع عصيان الشهوات ، والرغبة في العز والسلطان وسعة الاحوال واقتناء الاموال وطلب الراحة والدعة والأمن والسكون [٢١] والرُخَص في الشريعة وصلة الارحام واطلاق الانهماك في اللذات واباحة الامعان في الشهوات ، وفضل حيَل الداعين وشدة غبا المدعوين . والانجيل يتضمن الدعاء الى اضداد هذه كلها والتعري من

---

١) في خزانة كتبي نسختان من هذه المقالة ومن المقالة التي تتلوها الاولى رقم ١١٢٥ خطت في القرن الرابع عشر والثانية رقم ١٥٨٥ نسخت في سنة ٤٧٧ للهجرة اي ١٠٨٤ للميلاد وقد اعتمدت على الثانية في نشر المقالتين المومأ اليهما بعد معارضتها بالاولى

٢) اطلب ترجمته في فهرست ابن النديم ص ٢٦٤ وفي كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٣٧ و ٢٣٨ وفي كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء جزء ١ ص ٢٣٥ وفي مختصر تاريخ الدول ص ٢٩٦ و ٢٩٧

٣) قل « عند » بدلا من « من »

جميعها و يأمر باحتمال الذلة وترك طلب العز وايثار الفقر والصبر على التعب الفادح وترك الترخيص في الشريعة والتضييق فيها والامر بالتشجيع على احتمال الآلام وترك التماس اللذات وترك الجزع من المحذورات [١] . ومن الظاهر البيّن أن الداعين الى قبول الانجيل وهم الداعون الى النصرانية لم يكن فيهم من تفضل حيلته ومكره حيل المدعوين ومكرهم بل لا يقاربونهم في ذلك ، فان الدعاة أكثرهم كانوا أمّيين وصيادي سمك وذوي صناعات لا تمنح المشتغلين بها فضلَ علم ولا تقدح فيهم جودة فهم ، وأما المدعوون فمنهم الروم واليونانيون وهم ارباب الحكمة اللطيفة وأولو العلوم الشريفة والافهام الثاقبة والبصائر النافذة [٢٢] الذين لا تعيي عليهم حيلة ولا تنفذ فيهم غيلة ولا يخفى عليهم تخليط ولا يعمون عن لحظ الاغاليط ، [٢] فقد تبيّن أن الانجيل لا يجوز أن يُتوهم أنه قُبل بواحد من هذه الاسباب التي بها يُقبل الباطل

وبقي أن يكون انما قُبل باسباب بها يُقبل الحق إما بها كلها أو ببعضها وذلك موجبٌ صدقَ ما يتضمنه ، وهذه الاوامر والزواجر التي تضمنها الانجيل انما [٣] تقتضي ألاَّ يسارَع الى قبولها فقط بل تستدعي أن تُستثقل وتُشتم ويُهرب منها ويُنصرف عنها وأن لا تُقبل البتة ولا

١) راجع ما جاء في هذا المعنى لابن زرعة في ص ٢٧ و ٢٨ و ٥٧ و ٥٨ من هذا الكتاب
٢) انظر مقالة ابن زرعة لبشر بن فنحاس . ص ٤٥
٣) في الاصل : ليس انما

تؤثر أصلاً ، ولذلك اذ هو مقبول من أمم لا يُحصى عددها فذلك أدل دليل وأعدل شاهد أن التصديق به احدى [1] المعجزات ومن أوكد الآيات .

واسباب قبول الحق التي بقي أن لا يكون مقبولاً الاّ بها أو ببعضها هي هذه : إما أن يكون ما يُخبَر به مدرَكاً بالحس [٢٣] موجوداً حاضراً ، ومنها أن يكون أوّلاً في العقل ، ومنها ما يتبين ببرهان كوجود زوايا المثلث الثلاث متساوية لقائمتين ، ومنها ما يُصدَّق به لأنه شائع ذائع يشهد بمشاهدته أمم لا يجوز من مثلها التواطوء على كذب ، ومنها ما السبب في قبوله خارجٌ عن هذه الاسباب وهو أن يكون قبوله والتصديق به انما هو باظهار الداعين اليه آياتٍ ومعجزات يشهد عجز البشر عن فعلها بأنها لا يُقدَّر عليها الاّ بتأييد الخالق تبارك اسمه ولا يجوز أن يُقدَّر على مثلها الاَّ الاخيار الاطهار الفاضلون الصادقون الذين لا يحدث عنهم الاّ الحق المحض الذي لا يشوبه كذب والنفع الخالص الذي لا يخالطه ضرر

واذا كان هذا هكذا وكان ما يتضمنه الانجيل ليس مما ادركته الأمم القابلة له كلها بالحسّ ولا حضرتْه ، ولا هو من الاوائل في العقول ، ولا مما يُقام عليه [٢٤] البراهين المأخوذة من ذوات الامور ، ولا مما هو شائع ذائع لا يُخالِف في صحته بعضُ الناس بعضاً ، فقد وَجب ضرورةً أن يكون إنما قُبل وصُدّق به بالآيات المعجزات التي أظهرها الداعون

---

١) في الاصل : احد

اليه ، ولا يجوز البتة ولا يسوغ أن المدعوين يُصدّقون الدعاة اذا خلا ما يدعونهم اليه من احد الاسباب التي بها يُقبل الحق وهي التي قد ذكرناها ، فقد وجب أن يكون قبول القابلين له بمشاهدتهم ما فعله الداعون اليه من الآيات الممتنعة على طبائع البشر وثبت ما أردنا بيانه من صدق ما تضمنه الانجيل الطاهر وأنه انما صدّقت به الأمم المدعوّة الى التصديق بايات ومعجزات أجراها الله على أيدي الدعاة اليه والشكر لله دائماً [1]

١٦

[٢٥] في اختلاف لفظ الاناجيل ومعانيها من قول الشيخ يحيى بن عدي أيضا

الاختلاف يُقال على ضروب : فضرب منها المناقضة وهو أن يقول القائل بشيء وخلافه مما ينقضه كمخبر يخبر بشيء ويخبر بخلافه مما يُفسده فهذا منفي عن كتب الله عز وجل لثبوت الدلالة على عصمة المخبرين بها ، ويُقال الخلاف على ضرب آخر كمخبر خبّر بشيء ولم يخبر به غيره وهذا لا يُسمى خلافاً بالحقيقة لأنه قد يقول الانسان قولاً ويقول غيره قولاً آخر فلا يُسمّى هذان مختلفين ، ويُقال الاختلاف على ضرب آخر وهو كاختلاف الاسماء دون المعاني كقولنا حجر وفهر . ولما حلّ روح البارقليط على التلاميذ وعُصموا العصمة التي نؤمّن بعدها من الزلل والخطاء

---

١) اقرأ المحاضرة الثالثة من « المشرع » وراجع ما مر بك في هذا الكتاب من البراهين على صحة الانجيل لايشوعياب بن ملكون

وكان كتبة الاناجيل انما [٢٦] كتبوها في اوقات دعت الحاجة الى كتبها كتب كلٌّ واحد منهم ماراّه بما فيه الصلاح بالهام الروح القدس، ألا ترى الى لوقا البشير أنه قد ذكر أن العلة في كتبه الانجيل أن قوماً كثيراً كتبوا اقاصيص واخباراً من اخبار المسيح وقصصه ليست مرضية عنده لقوله : « فأما انا فاني اكتب اليك يا تاوفيلا بما اخذته ممّن عاين وشاهد »[١] واذا كان كل واحد من المبشّرين قد أتى بما لم يأت به الآخر فلا يُسمى خلافاً على ما بيّنا من ضروب الخلاف ، وفي هذا حكمة بالغة ولطف من ألطاف الله العظيمة[٢] لأنه لو جاءت الاناجيل متفقة الفاظها ومعانيها ولغتها لجاز لمُدّعٍ أن يدّعي أنهم تواطؤا على كتبها وبثّها في العالم كما يزعم من خالفنا من اهل المذاهب

١٧

[٧٠] في قولنا « وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء » من كلام الشيخ يحيى بن عدي(٣)

لما سأل بعض الاخوة واحد بعد واحد عن معنى قولنا في الامانة الجامعة : « وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء » وأُجيبوا بما لاق بكلّ منهم وجب[٤] اثبات ذلك ليتذكروا[٥] ما نظر فيه العلماء ويصلحوه

١) انجيل لوقا ١ : ٣
٢) في الاصل : عظيمة
٣) في خزانة كتبي نسخة واحدة من هذه المقالة رقم ١٥٦٤ تعود الى القرن الرابع عشر
٤) في الاصل : واجب
٥) في الاصل : يتذكروا

إن احتاج الى اصلاح في اللفظ والمعنى لينتفع به[١] من يحتاج اليه

فاقول: ان الاصل الذي أُخذ منه هذا القول هو الانجيل المقدس لأنه فيه مكتوب: « مريم المولود منها يسوع الذي يدعى المسيح [٢]، وولدت ابنها البكر ودعي اسمه يسوع [٣] وان الذي تلده هو من الروح القدس وتدعو اسمه يسوع [٤] ووُجدت حبلى من الروح القدس » [٥] فقد ثبت أن يسوع المسيح ولد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وقد بيّن بولس الرسول جهة [٧١] ولادته من امه فقال: « انه ولد بالجسد من امرأة» [٦] يعني ولد بناسوته من السيدة مريم العذراء، وقد ثبت في مقالتنا السابقة لهذا القول أن ناسوته محدَث

ولا بدّ لوجود كل محدَث من اسباب مثل النجار والخشب وغيره، [٨] فسببه الفاعل هو اللاهوت الواحد الخالق لكل مخلوق اعني لاهوت الآب والابن والروح القدس، وسببه المادي هو مريم العذراء، وكما انه لا يمكن أن يُتخذ من الحديد سيفٌ دون أن تحلّ النار فيه وتهيئه لامكان ايجاد

---

١) سقط في الاصل: به
٢) انجيل متى ١ : ١٦
٣) متى ١ : ٢٥
٤) متى ١ : ٢٠
٥) متى ١ : ١٨
٦) رسالة بولس الى اهل غلاطية ٤ : ٤
٧) يشير الى مقالة له في هذا المعنى لا ندري اين هي
٨) مثل ذلك الكرسي فالعلة الفاعلة له هي النجار والعلة المادية هي الخشب والعلة الصورية هي صورة الكرسي والعلة الغائية هي الجلوس عليه

السيف منه ، هكذا لم يوجد من مريم العذراء ناسوت من دون أن يحلّ عليها الروح القدس و يعدّها لاتخاذ الناسوت منها ، ولهذا لماقال لها الملاك : « ها انت تحبلين وتلدين » [١] وقالت : « كيف يكون لي هذا ولم اعرف رجلاً » [٢] قال لها : « الروح القدس يحلّ عليك » [٣] فالروح القدس [٧٢] جعل فيها قوة طبيعية على تكوّن الجنين منها

وهذا كما كُتب في التوراة : « وروح الله كانت ترفّ على المياه » [٤] فان الروح حلّ على الماء وجعل فيه قوة طبيعية لأن يُستخرج منه حيوان، ثم قال الله بعد ذلك : « ليخرج الماء حيواناً فأخرج » [٥] وهذا كما يحضن الطائر بيضه ليسخّنه و يصل منه الى بيضه قوة حياة و بعد ذلك يُستخرج منه الحيوان . ومعلوم ايضاً أن نسبة المرأة لمن يولد منها نسبة الارض لما نبت منها ، فكما شاء الله في مبدإ الخليقة أن تخرج الارض نباتاً من دون تقدم زرع نبات فيها هكذا شاء تعالى أن تحبل امرأة من غير زرع بشر

فأما لفظة « من » فهي التبعيضية في قولنا « ومن مريم » كقولنا خاتم من ذهب لأن الناسوت جزء من مريم لكون الخاتم قطعة من الذهب مع صورة الخاتم التي صنعها [٧٣] الصائغ في تلك القطعة من

---

١) انجيل لوقا ١ : ٣١
٢) لوقا ١ : ٣٤
٣) لوقا ١ : ٣٥
٤) سفر التكوين ١ : ٢
٥) سفر التكوين ١ : ٢٠

الذهب وككون كل جنين من امه ، وهي [١] في قولنا « من الروح القدس » اعني لفظة « من » بمعنى المصنوع منه ، كما يقال الكل من الله لا بمعنى أن شيئاً جزء من الله بل بمعنى أن كل شيء مصنوع من الله

ولا فرق بين أن نقول ان الناسوت مصنوع من الروح القدس وأن نقول انه مصنوع من اللاهوت فاللاهوت هو لاهوت الآب وهو لاهوت الابن وهو لاهوت الروح القدس ، فقد تبيّن أن الروح القدس أعدّ مريم للحبل بما صوّره اللاهوت من طباعها على التدريج الطبيعي في نموّ الجنين في بطن الحبلى به ، ولهذا كُتب قديماً : « الحكمة بنت لها بيتاً » [٢] ففي لفظة البناية إشعار بالفاعل وهو اللاهوت وبالمادة وهي الطبيعة المريمية وبالمفعول وهو الناسوت المسيحي وبنموّه قليلاً قليلاً وهو تكوّنه الطبيعي ، وفي قوله « بنت لها بيتاً » اشعار [٣] بحلول اللاهوت في الناسوت . وهذا هو حلول اتحاد لا حلول سكن كاتحاد النفس بالبدن في الانسان

[٧٤] فمريم العذراء مادة والروح القدس معدّ والناسوت مصنوع واللاهوت صانع واقنوم الابن متحد بالناسوت في اول وجوده كاتحاد النفس بالبدن والمسيح متقوم منهما اعني من لاهوته وناسوته باتحادهما ووجودهما فيه ولهذا يصحّ وصفه بأوصافهما

---

١) معطوفة على « فهي التبييضية »
٢) سفر الامثال ٩ : ١
٣) في الاصل : اشعاراً

١٨

[١١٠] مقالة في الرد على المسلمين الذين يتهمون النصارى بالاعتقاد بثلاثة الهة (١) صنفها الاب الفاضل العالم القس ابو (٢) الخير بن الطيب(٣)

قال بعض المسلمين : ان المسيح قال للرسل : « امضوا وتلمذوا كل الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس »(٤) فها قد صرّح بأنكم تعتقدون بثلاثة آلهة ، أجبناهم : لا خلاف في أن علوم الشريعة المسيحية هي ثمرات لثلاثة أشياء أي الانجيل المجيد ورسائل بولس الرسول وقصص الرسل الحواريين الاطهار ، وهذه الكتب الثلاثة شاهدة في أقطار الوجود بأن الله إله واحد وأن الآب والابن والروح القدس اوصاف لذاته الواحدة ، وجميع موضوعات علمائهم في اربع زوايا المعمور شاهدة بذلك ، ولولا خشية الاطالة لذكرت عقائدهم مفصلة لكن اقتصرُ ههنا من مختصر اقاويلهم على ما سيأتي بيانه فاقول :

[١١١] ان النصارى يقولون: ان البارىء تعالى جوهر واحد موصوف بصفات الكمال وانه يوصف بثلاثة اوصاف ثبوتية ذاتية أمر بها الشارع وهي : الآب والابن والروح القدس ، ويشيرون الى الآب باسم الجوهر الذي يسمونه البارىء ذا العقل المجرّد ، وبالابن الى الجوهر المذكور الذي

---

١) في خزانة كتبي نسخة واحدة من هذه المقالة رقم ١٥٨٠ خطت في سنة ٧١٥ للهجرة اي ١٣١٥ للميلاد

٢) في الاصل : ابي

٣) ذكره ابو البركات بن كبر في فهرس كتبته Riedel P. 661

٤) انجيل متى ٢٨ : ١٩

يسمونه ذا العقل العاقل لذاته ، و بالروح القدس الى الجوهر المذكور الذي يسمونه ذا العقل المعقول لذاته ، ويشيرون هنا الى الجوهر القائم بذاته الغني عن المحل . وانما سمحت الشريعة المسيحية بوصفه تعالى بذلك مخاطبةً للأمم من حيث يفهمون

وقد حكى هذا الرأي عنهم الامام العالم أبو حامد محمد الغزالي [١] في كتابه المعروف بالرد الجميل ، فقال : « يعتقد النصارى أن ذات البارىء تعالى واحدة في الموضوع ولها اعتبارات : فان اعتُبرت مقيدة بصفة لا يتوقف وجودها على وجود صفة قبلها كالوجود ، فذلك يُسمّى عندهم أقنوم الآب . وإن اعتُبرت بصفة يتوقف وجودها على وجود صفة قبلها كالعلم ، فان اتصاف الذات يتوقف على اتصافها بالوجود ، فذلك هو المسمى عندهم أقنوم الابن او الكلمة . وإن اعتُبرت [١١٢] بقيد كون ذاتها معقولة لها ، فذلك يسمى عندهم أقنوم الروح القدس ، لكون ذات البارىء معقولة له . وحاصل هذا الاصطلاح أن [٢] الذات الالهية واحدة في الموضوع موصوفة بكل أقنوم من هذه الأقانيم

ومنهم من يقول : ان الذات من حيث هي الذات لا باعتبار صفة ، هي عبارة عن معنى العقل ، وهو المسمى عندهم بأقنوم الآب . وإن اعتبرت من حيث هي عاقلة لذاتها ، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى العاقل ،

١) هو الملقب بحجة الاسلام توفي عام ١١١

٢) سقط في الاصل : ان

وهو المسمى عندهم بأقنوم الابن أو الكلمة . وإن اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها ، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى المعقول ، المسمى عندهم بالروح القدس . فعلى هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط ، والآب مرادف له . والعاقل عبارة عن ذاته بقيد كونها عاقلة لذاتها ، والابن أو الكلمة مرادف لها . والمعقول عبارة عن الاله الذي ذاته معقولة له ، والروح القدس مرادف له »[١] ثم قال مشيراً الى ما تقدم [١١٣] « فاذا صحّت المعاني فلا مشاحّة في الألفاظ ولا في ما يصطلح عليه المصطلحون »[٢]

وقد حكى الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه اعتقاد[٣] النصارى في المسيح من حيث هو الانسان المأخوذ من مريم في كتابه المقدم ذكره ، فقال : « هم يعتقدون أن البارىء تعالى خلق ناسوت عيسى عليه السلام ، ثم ظهر[٤] فيه متحداً ، فهم يعنون بهذا الاتحاد أنه صار له به تعلق النفس بالجسد » فأبان رحمه الله بتصريحه بهذين القولين حقيقة اعتقادهم لمن يحاول[٥] معرفة العلوم الحكمية

---

١) راجع الحاشية ٣ في ص ١١٥ من كتابنا هذا

٢) ورد لابي الخير بن الطيب في كتابه « درياق العقول في علم الاصول » المحفوظ في خزانتنا هذا الكلام عينه فاستشهدنا به في كتابنا « المشرع » ص ٢١ ـ ٢٦ واضطررنا الى تهذيب عبارته حتى امتزجت بانشاء كتابنا

٣) في الاصل : اعتقد

٤) في الاصل : ظاهر

٥) في الاصل : يحاول في معرفة

١٩

[٥٥] قول لابي الفرج عبدالله بن الطيب كاتب الجاثليق الفيلسوف (١) في العلم والمعجز (٢)

البرهان في مذهب النصارى اشرف من المعجز لان البرهان دليل يُتوصّل به الى وقف (٣) العقل على صحّة ما ادّعاه صاحب المعجز واستقرائه واستقراء احواله واحوال القائلين وصيغة الامر في حالة الدعوة ، فأما البرهان فمع الخواص والفلاسفة والعلماء الذين لا ينقادون الاّ به ، وأما المعجز فمع الجمهور الذين صدورهم لا تثلج بالعلم اليقيني ولا يصدّقون الاّ بما تشهد به الحواس ، فقد بانَ أن البرهان دليل يقطع بالعلم وهو للخواصّ والمعجز دليل يقطع بالحس وهو للجمهور ، والدليل على أنّ العلم اشرف من المعجز من الكتاب قول فولوس (٤) الرسول المنتخب السماوي (٥) عند قوله : « رتب الله في بيعته الرسل السليحين (٦) أولاً وبعدهم الانبياء وبعدهم العلماء وبعدهم الذين يفعلون المعجز وبعدهم الذين يشفون

---

١) اطلب ترجمته في كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٥٠ وفي كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء جزء ١ ص ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ وفي مختصر تاريخ الدول ص ٣٣٠

٢) في خزانة كتبي نسخة واحدة من هذه المقالة رقم ١٥٨١ خطت في سنة ٦٣٥ للهجرة اي ١١٣٧ للمسيح

٣) في الاصل : ايقاف العقل. وهوغلط لانه يقال « وقفت على الشيء ووقفتك عليه » ولا يقال « اوقفتك عليه »

٤) ان العرب اصطلحوا على تعريب الباء الارية بالفاء فقالوا مثلا في بلاطون الفيلسوف « افلاطون » ووضعوا « الالف » قبل الفاء دفعا للابتداء بالساكن فالمؤلف مصيب اذاً في تعريب « بولس » بفولس اتباعا للسريان

٥) في الاصل : السماءي

٦) راجع الحاشية ٣ في ص ١٥٩

المرضى و بعدهم اصحاب اللغات » [١] ومن هذا الدليل يُعلم أن العلم اشرف من المعجز ، ثم قال : « ان القسان الذين يدبرون [٢] تدبيراً حسناً يستحقون جزاء متضاعفاً ولاسيما الذين يتعبون في العلم » [٣]

[٥٦] ثم البرهان [٤] دليل عقلي والمعجز دليل حسي فاذا كان العقل اشرف من الحس فالبرهان [٥] اذاً اشرف من المعجز

والمعجز يوجد في مكان مخصوص وزمان مخصوص [٦] وأمة مخصوصة فاذا زال ذلك المكان وذلك الزمان وتلك الامة زال المعجز بزوالها ، [٧] والبرهان موجود في كل مكان وفي كل زمان ومع كل امة ، فالعلم والبرهان اذاً اشرف من المعجز

وهكذا كان سيدنا المسيح يفعل المعجز للعامة والجمهور و يقيم الدليل والبرهان للفلاسفة الفضلاء الذين لا ينقادون بالمعجز ولا ينتفعون به والمجد لله دائماً ابداً

---

١) رسالة بولس الاولى الى اهل كورنتس ١٢ : ٢٨
٢) في الاصل : يتدبرون . وهوغلط
٣) رسالة بولس الاولى الى تيموثاوس ٥ : ١٧
٤) في الاصل : ثم والبرهان
٥) في الاصل : البرهان
٦) سقط في الاصل : وزمان مخصوص
٧) في الاصل : بزوالهم

٢٠

[١٣] مقالة لحنين بن اسحق المتطبب (١) في كيفية ادراك حقيقة الديانة (٢)

قال حنين بن اسحق : من اين يعلم الانسان أن ما يعتقده هو الحقّ وأن ما يعتقده غيره هو الباطل فانه إن قال ان ذلك انما أتاه عن آبائه او قال ان ذلك أتاه من كتاب أو من نبيّ أتى بآيات أو من رأيه اذ رأى ذلك فصحّ له بذلك دينه عنده فجميع اصحاب الاديان المخالفين لهم أن يقولوا بمثل ما قال فاذا كان هذا الجواب مشتركاً بين جميع اصحاب الاديان فيجب ضرورة على من قبِل دينه بهذه الحجة ألاّ يَرِدَ عليه دين من الاديان إلاّ قبله لهذه الحجّة بعينها فان لم يقبل حجة المخالفين فلا يقبل تلك الحجة من اهل مقالته

فنقول لمن قال هذا القول : ان الحقّ والباطل من جميع الاقاويل انما يُعلم من الاسباب التي عنها قبولها منذ اوّل امرها والاسباب التي منها يُقبل الكذب غير الاسباب التي يُقبل منها الحقّ فأسباب قبول

---

١) راطب ترجمته في فهرست ابن النديم ص ٢٩٤ وكتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٧ ـ ١٢٢ وكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء جزء ٢ ص ١٨٤ وما بعدها وفي مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠ وما بعدها

٢) طبعت هذه المقالة بين « مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى » ص ١٤٣ ـ ولما كان المخطوط الذي في خزانتنا قد شرحه يوحنا بن مينا وجعل شرحه مضافا اليه رأينا ان نثبته هنا مع الشرح ولدينا ثلاث نسخ منه الاولى رقم ١٠٠١ خطت في القرن الحادي عشر والثانية رقم ١٠٤٠ كتبت في سنة ١٥٠٤ للشهداء اي ١٧٨٧ للمسيح والثالثة رقم ١٥٨٩ نسخت في سنة ٦٤٧ للهجرة اي ١٢٤٩ للميلاد وقد اعتمدنا على الثالثة في نشر المقالة بعد معارضتها بالاولى والثانية

الكذب ستة : اولها أن يُضطر القابل الى أن يقبل ما يُحمل عليه من غير ارادة منه ، والثاني أن يفرّ الانسان من الضيق والشدّة بارادته اذا لم يقدر على احتمالهما [١] فينتقل منهما الى ما يرجو منه السهولة والسعة ، والثالث أن يؤثر العزّ على الذلّ والشرف على الضعة والقوّة على الضعف فيدع دينه وينتقل الى غيره [٢] ، والرابع أن يكون صاحب القول رجلاً خبيثاً محتالاً في الكلام فيموّه ويُطغي من يدعوه ، والخامس [١٤] أن يستعين بجهل من يدعوهم وقلة آدابهم ، والسادس أن يكون بين المدعو [٣] وغيره نسب طبيعي فلا يحب قطع ذلك النسب فيما بينه وبين موافقه في الدين

وأما الاسباب التي بها يُقبل الحق فهي اربعة : الاول أن يرى القابل آياتٍ تعجز عنها طاقة الانسان ، والثاني أن يكون ظاهر ما يدعو اليه الداعي دليلاً شاهداً على حقيقة ما هو خفي عنه ، والثالث البرهان المضطر الى قبوله ، والرابع أن يكون آخر الامر موافقاً لأوله وأن يكون في ما يحدث بعد صحة ما قد سلف مما لا يُشك فيه

وقد يتبع هذا أن ننظر من اين لنا أن نعلم أن سائر الاديان انما قُبلت من هذه الست الخصال والديانة بالحق من الاربع

وقد يطول عليّ أن اذكر كلّ واحد من الاديان ما كان منها قديماً

---

١) في الاصل : احتمالها

٢) في الاصل : وينتقل لغيره

٣) في الاصل : بين المدعي وبين غيره

فبطل مع بطلان ما كان به قوامه وما يحدث منها من بعد مما قوامه [١] انما هو بقوام ما بطل من تلك فبقدر ما يُعلم أنه بطل منها ذلك الشيء بطلت كما بطلت الملل التي كانت قبلها

والواجب على كل من اراد أن [٢] يفهم من اي الاسباب في ابتداء الامر قُبل دينه إن كانت من الاسباب التي منها يُقبل الباطل او من الاسباب التي منها يُقبل الحق أن ينظر الآن مَن يقبل ذلك الدين من اي الاسباب يقبله إن كان من الاسباب التي يُقبل منها الحق او من الاسباب التي يُقبل منها الباطل حتى يفهم قبول ما يرد عليه في وقته هذا ما كان قبوله من قبله في اول الامر وأن يحس أن الحق هو [٣] الذي يُقبل من تلقاء نفسه وأن [١٥] الباطل يحتاج الى اسباب يثبت بها عند قابله فان من نظر في هذا حين ينظر فيه يحس اي العبادات هي العبادة الصحيحة واي العبادات هي العبادة الباطلة

فأما انا فادع ذكر سائر العبادات وابين في عبادتي أنها انما قُبلت عن الاسباب التي منها يُقبل الحق إما من جميعها وإما من بعضها فاقول : انه ليس يمكن أن يُفهم أن يقبل الناس عبادةً ما من غير سبب من الاسباب التي يُقبل بها كل دين وليس يمكن أن يُتوهم خلا العشر الخلال [٤]

١) في الاصل : مما قوامها
٢) سقط في الاصل : ان
٣) سقط في الاصل : هو
٤) في الاصل : العشر خلال

التي عددنا ستاً منها يُقبل منها الباطل واربعاً منها يُقبل منها الحق فان صح أنه لم يكن سببُ قبول عبادة الله واحداً من اسباب قبول الباطل وجب ضرورةً أن يكون سبب قبولها الاربعة الاسباب التي بها يُقبل الحق إما كلها وإما بعضها . فان لم يوجد أنه كان سببُ قبول عبادة الله التي نحن عليها سببَ قبول الباطل لكن وُجد أن اسبابها كان اضدادها على ابعد ما يكون من المضادة كان صحةُ الامر فيها اثبتَ وأوجب فكذا نجد الامر قد كان

النظر في كل واحد من الاسباب :

أما الاول فانها لم تُقبل بغنى ملك ولا بقهر سلطان لكن ناصبها جميع ملوك الارض وسلاطينها ومنعوا منها جميع الناس بسائر الانواع من العذاب والقتل المستشنع واجلوهم عن الارض فغلبت جميع اولئك وثبتت. وأما الثاني فانها لم تدعُ الى الخروج من الامر الضيق الصعب الى الامر الواسع السهل ولكنها دعت من جميع الامور التي هي اوسع واسهل الى الامر الذي هو اضيق [١٦] واصعب واقرب الى الكراهة وقُبلت احسن قبول . وأما الثالث فانها لم تدع من الضعة الى الرفعة ومن الذل الى العز لكنها دعت من العز الى الذل فقبلت حتى كان من يقبلها يحب أن يموت على أن يحيا بسببها [1] . وأما الرابع فانها لم تؤخذ من قوم معهم خبث

---

١) راجع ما ورد في هذا المعنى لابن زرعة ص٢٧ و ٢٨ و ٥٧ و ٥٨ من هذا الكتاب

وحذق بالكلام لكنها انما اتُّخذت عن جهّال وأصحاب عيّ وصيادي سمك هم أبكم [١] واشدُّ عياً من السمك مثلاً . وأما الخامس فانه لم يكن قابلوها لا جهالاً ولا أعياء ولا عوامّ [٢] ولا همجاً لكنهم كانوا اصحاب المنطق والفلسفة بين العالم كله واصحاب تمييز و بحث ومن فاق في الحكمة سائر الناس [٣] . وأما السادس فانه لم يكن من قبلها يتصل بأحباء واصدقاء بقبوله لكنه كان يفارق بها اذا قبلها جميع من بينهم و بينه نسب اي نسب كان بالقرابة او بالمودة . فان أحببت أن تزيد خلة سابعة فانه ضروري لِما كان الحواريون اذاعوه من امر هذا الذي في ظاهره لم يكن شيء اضعف منه وليس ينبغي لاحد اصلاً أن [٤] يقول انه اذا كانت هذه الامور كلها على هذا المثال ثم كان قبول ما نحن عليه سوى ظهور الآيات والمعجزات فلا يمكن الاّ من مناصب تقدم بخبرته فان قلت هذا فطالبْ نفسك عن دينك وعن غيره بما يشبه ما وصفنا لك من امر ديننا فانك تعلم على المكان أن ليس بيننا و بينهم قياس [٥]

تمت المقالة في كيفية ادراك حقيقة الديانة لحنين بن اسحق أثابه الله

---

١) افعل التفضيل من بكم المضموم الكاف

٢) في الاصل : ولا عواما

٣) انظر مقالة ابن زرعة لبشر بن فنحاس ص ٤٥

٤) سقط في الاصل : ان

٥) راجع ما مر بك في هذا الكتاب من البراهين على صحة الانجيل لايشوعياب بن ملكون ومقالة يحيى بن عدي في اثبات صدق الانجيل على طريق القياس بالبرهان والدليل- واقرأ المحاضرة الثالثة في رد من يتهم النصارى بتحريف الانجيل من كتابنا « المشرع »

[١٧] ثم اضاف اليها يوحنا بن مينا اضافة جمعها من كتب العلماء بالشريعة المسيحية قال :

قال احد ابناء [١] بيعة الله المقدسة : لمّا قرأت ما أورده الفاضل أبو زيد حنين بن اسحق نيح [٢] الله نفسه في مقالته الموسومة بكيفية [٣] الديانة وجدته قد ضمنها من البيانات في نُصرة الحقّ ودحض [٤] الباطل ما لا مزيد عليه بالفاظ سهلة يقرب تناول المعاني منها الى افهام المتعلّمين فضلاً عن البالغين [٥] فجزاه الله خيراً ، فلقد بالغ في استخدام نور عقله في ما له خُلق وله وُجدوهو معرفة بارئه والشريعة اللائقة بعبادة الله تعالى ـ جعلنا الله وسائرَ المؤمنين ممّن قرأ ففهم كما قال الانجيل المقدس : « من قرأ فليفهم » [٦] ـ وعلمتُ أن هذه المقالة ستقع بيد من لم يتخرّج في العلوم [٧] القياسية البرّانية [٨] ولا ألف الاقوال الجدلية فلا يعلم أن سلب الضدّ يوجب [٩] ثبوت ضدّه كما فعل حنين في ايراد الاقسام العشرة التي جعلها ميزاناً يُعرف به حقيقة الشرائع من باطلها وبياناً يُعلم معه صدقها من كذبها ، وأبان أن شريعته لم تُقبل من الاسباب الستة التي لم يُقبل بها

---

١) يعني : يوحنا بن مينا المذكور
٢) كلمة سريانية بمعنى اراح
٣) في الاصل : كيفية
٤) لو قال « ادحاض الباطل » لكان افصح
٥) يريد : الراسخين في العلم
٦) انجيل متى ١٥ : ١٠ ثم ٢٤ : ١٥
٧) في الاصل : بالعلوم
٨) يريد : الخارجية
٩) في الاصل : يجب

الكذب وعنى عن ايراد قبولها من اسباب الحقّ لبراءتها من اسباب الباطل ، وخفتُ أن يكون ذلك داعياً الى ايراد الشُبه والشكوك له فآثرت على نقصي بمعونة الرب سبحانه ايراد قياسات [١] تدلّ على قبولها من الاقسام الحقية الاربعة [٢] لتكون هذه المقالة كاملة في فنها ، وعدة البيانات ستة عشر :

« السبب الاوّل في أن يرى القابل آيات ومعجزات تعجز عنها طاقة الانسان » ويتضمن اربعة [٣] بيانات :

[١٨] الاوّل قد تضمّن الانجيل المقدس معجزات فعلها السيد المسيح من اقامة العازر وابن الارملة وغيرهما من الاموات بندائه وابرائه المقعد وحمله سريره عند شفائه وتطهيره الابرص بمشيئته عند استدعائه وابراء النازفة الدم عند لمس هُدب ردائه واحضاره موسى وايليا على طور طابور لاعتلائه وردّ النور في الابصار بعد فنائه وخلق ناظر [٤] العين للمولود أعمى بشهادته وشهادة آبائه [٥] وأشبع [٦] الخلق الكثير من النزر اليسير بعظيم علائه وأطلق ألسن الولدان بمجيد سنائه ووهب الشفاء لابنة الكنعانية بقضائه وانتهر

---

١) لو جمع « قياسا » على « اقيسة » لكان اصح

٢) عنى « بالاقسام الحقية الاربعة » الاسباب التي بها يقبل الحق كما اوردها حنين

٣) في الاصل : اربع

٤) لو قال « انسان العين » لكان اصح

٥) في الاصل : بشهادته وابائه

٦) انتقل من ايراد المصادر بعد « من » البيانية الى « الافعال الماضية » وهذا ضعيف

لجيون [١] فصاح : « ما لنا ولك يا ابن الله » [٢] اي خالق ارضه وسمائه وغير ذلك الى أن ختم الامور البشرية بقيامته بعد انتهائه انذاراً للنشور بابتلائه وارشاداً للمكذبين بها ليحتذوا على احتذائه [٣] ووعد التلاميذ بصدور هذه الافعال منهم فكان [٤] ما وعد مطابقاً لمضمون ابتدائه [٥] وفي ذلك بيان مقنع [٦]

الثاني معلوم أن اهل الفضل والعلم قبلوا هذا الدين ، ومحال أن يكون هؤلاء قبلوه وانتقلوا الى القول به والاعتقاد لما تضمّنه واطّرحوا ما كانوا فيه جزافاً [٧] وكيف اتّفق من دون امرٍ اضطرّهم الى ذلك وكيف يكون ذلك والكتاب نفسه يتضمّن أن المبشّرين به مسلطون على أن يفعلوا المعجزات كما فعل مرسلهم كوعده لهم ، ومع تضمّنه ذلك لا شبهة بأنه طولب المبشرون بفعله [٨] فهم بين أمرين : أن يكونوا خرقوا العادة وفعلوا المعجزات ، او لم يفعلوا ، ومحال أن يكونوا ما [١٩] فعلوا لأن قولهم قُبل ودعوتهم سُمعت وانتقل الحكماء عمّا كانوا عليه الى ما دعوهم اليه ، والامر

---

١) كلمة يونانية معناها في اللغة السريانية « الطغمة من الابالسة »

٢) انجيل متى ٨ : ٢٩

٣) في الاصل : ليحذوا احتذائه

٤) طالع ص ١٤٢ و ١٤٣ من كتابنا « المشرع »

٥) لا تخلو هذه الاسجاع من ركاكة

٦) راجع معجزات المسيح ص ١٢٩ وما بعدها من « المشرع »

٧) يريد : سدى

٨) في الاصل : فعله

الذي يُصدَّق بخرق العادة وفعل المعجز هو صحيح لا محالة وذلك ما اردنا بيانه

الثالث لمّا كان ما تضمّنه الانجيل ليس هو ممّا يُدرَك بالحسّ ولا هو من الاوائل في العقل ولا يثبت ببرهان مأخوذ من ذوات الاشياء وكان لا سبيل الى قبول الحق الاّ باظهار المعجزات ، فقد وجب ضرورة أن يكون قبول القابلين له اوّلَ مرّة المشاهدين للداعين اليه انما قبلوه لمشاهدتهم افعالهم المعجزة وآياتهم المبهرة الممتنعة على طبائع البشر حسبما عُدّد بعضها في البيان الاوّل

الرابع من المقرّ به أنه [١] غير ممكن أن يقبل اهل مدينة من المدن ما يدعوهم اليه داع يرد عليهم غريب منهم اجنبيّ دنيّ المنظر سخيف المخبر يأمرهم بشرع بشع عند الخبر عن شخص يجلّونه [٢] عن البشر مع ما ناله من عظيم الضرر من غير أن يطالبوه بالدليل على صدقه، وقد قبلوه ، فقبولهم بعد التماس الدليل وعند التماسه مع صحّة قبوله أوجب [٣] وقوعه [٤] وذلك ما اردنا بيانه [٥]

---

١) سقط في الاصل : انه

٢) في الاصل : يجلوه

٣) في الاصل : وجب

٤) في الاصل : لوقوعه

٥) راجع مقالة ابن زرعة لبشر بن فنحاس بن شعيب الحاسب ص ٤٥ وفصولا مختصرة في تثليث الاتحاد لابن العسال ص ١٢٠ ومقالة يحيى بن عدي في اثبات صدق الانجيل- وطالع ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٩ وما بعدها من « المشرع »

« السبب الثاني أن يكون ظاهر ما يدعو اليه الداعي دليلاً شاهداً على حقيقة ما خفي عنه » ويتضمّن اربعة بيانات :

الاوّل ان السيد في حال اظهاره العجائب تبعه من اليهود جماعة منهم من تتلمذ له وكان يواصل الازراء على آرائهم وايرادَ مخالفة [١] اهوائهم ، فكانوا معيّرين [٢٠] لافعاله منتقدين لاعماله ممتحنين لشيمه من سبر اخلاقه وبَلْوِ مذاهبه ثم أذكوا عليه العيون الثاقبة واقاموا بازاء افاعيله الرصدة [٢] المتحفّظة يراقبون لفظة ويراعون لحظة ارتياداً لغلطة وانتهازاً [٣] لفرطة ، فرأوه ملازماً للسيرة الالهية وأنه غير محتقبٍ اثماً ولا مستعمل ظلماً مابعثهم على أن أسلموا نفوسهم في ايدي الملوك الطاغية والفراعنة المارقة عند ما أقرَّت العقول بصدقه وشهدت الجوارح بقبوله ، وهذا ما لا يصحّ فعله لغيره ولا يكمل انتقاده في سواه لاسيما وقد قال مبكّتاً لهم : « من منكم يوبّخني بزلّة او عارف لي خطيئة ؟ » [٤]

الثاني أما ظاهر قوله فانه دعا الى الزهد في الدنيا بطرح القنى [٥] والى حمل الاثقال [٦] من صعوبة التكاليف المتضمنة لشرعه من الصبر على الآلام

---

١) يعني : ايراد ما يخالف اهواءهم
٢) معاجم اللغة تجمع « راصد » على « رصد » بضم الراء وشد الصاد و « رصد »
٣) في الاصل : ارتياد لغلطة وانتهاز
٤) انجيل يوحنا ٨ : ٤٦
٥) في الاصل : القنايا
٦) في الاصل : الثقال

والمشاقّ إحالةً على العوض في الآخرة بمواعيد [١] غير مدركة للحسّ ، وأما باطنه فانه فعل ذلك في نفسه بنفسه كما أمرَ به غيره فكان ذلك دليلاً على حقيقة ما خفي منه ، لأن اهل الشرائع غيرَهُ من الانبياء أمروا غيرهم ولم يفعلوا في نفوسهم ونهوهم ولم يُزجروا فكان الناس يرتدّون [٢] بعد الايمان اذا شاهدوا الامرين قد فعلوا ضدَّ ما أمروا غيرهم ونهوهم عنه ، فكانت افعال السيد الظاهر منها دليلاً شاهداً على حقيقة ما خفي منه لانه أمر وفعل ونهى وانزجر وذلك ما اردنا بيانه [٣]

الثالث الدليل على أنّ ظاهر هذه الشريعة دالّ على حقيقة ما خفي منها أنها لا تخلو أن تكون شريعة حقّ او باطل والذين قبلوها إما عقلاء وإما [٢١] جهّال ،والعقلاء لا يقبلون ما يدفعه العقل الاّ بالقهر والجهال لا يمتنعون من الانهماك في اللذات الاّ بالقهر والقهر قهران قهر من الله بالآيات ومن الداعي بالغصب . وقد قبلها العقلاء مع كونها ممتنعة في العقل والجهال مع صعوبة اوامرها ، فقد استولت على قسمي الوجود وفي ذلك بيان أنها لو لم يكن ظاهر ما دعت اليه دليلاً على حقيقة باطنها لما قُبلت،وقد قُبلت وذلك ما اردنا بيانه

الرابع طريق التصديق بالشيء طريقان : احدهما بغير علم والآخر

---

١) في الاصل : مواعيد

٢) في الاصل : يرتدوا

٣) راجع قداسة المسيح ص ١٥٩ وما بعدها من « المشرع »

بعلم ، والذي هو بغير علم هو الذي يكون بخرق العادة من فعل المعجز لأن المعجز اضطر الى التصديق وإن كان المصدق لم يعرف حقيقته ،والذي بعلم هو الشيء الذي يُفهم ادراكهُ وتصوُّرُه من الاشياء الذاتية والخاصية والعرضية ويمكن الاستدلال بالظاهر منه على الخفي ويكون البعض يشهد للبعض بالتصديق ، والتصديق لهذا الشرع كان بالطريقين جميعاً وذلك أن المبشرين به خرقوا العادة وفعلوا المعجزات ، والدليل على ذلك تضمُّنُ[1] الانجيل أنهم يفعلون المعجز ، ومحال أن يتضمن كتاب على يد داعٍ الوعدَ بشيء ولا يُلتمَس ذلك الشيء او يُقبل من دون وقوعه ،وقد بان بالبرهان صدق معانيه على ما تضمنته الكتب النبوية الشاهدة عليه وشهد بعضها لبعض واستُدل بالظاهر على الخفي ، واذا كان بهذه الصفة ثبت[2] قبول هذه الشريعة بهذا[3] الاستدلال وذلك ما اردنا بيانه

[٢٢] « السبب الثالث في البرهان المضطر الى قبوله » ويتضمن اربعة بيانات :

الاول البرهان المضطر الى التصديق بالأخبار والتصديق بالأخبار طريقان : احدهما أن تجتمع امة متقاربة البلد والملوك واللغة يمكن أن ينتهي اولها الى آخرها ويجتمع قاصيها ودانيها على تصديق الخبر ،والآخر

---

١) في الاصل : تضمين
٢) في الاصل : فثبت
٣) في الاصل : هذا

أن يكون التصديق به من أمم [١] متباعدة الاقطار مختلفة الملوك والآراء واللغات والهمم لا يمكن أن تجتمع اطرافها ولا تتفق على أمرٍ ولا تتواطأ عليه . والتصديق الاول ربما دخلته الشبهة وذلك أنه ربما تجتمع أمة من الامم على افتعال خبر وتتواطأ عليه بضرب من ضروب الاختيارات ، فأما التصديق الثاني فلا يجوز أن يكون فيه تمويه وذلك أنه اذا اجتمعت أمم لا يجوز فيها الاجتماع وتواطأت [٢] على شيء فانه صادق لا محالة لأن سبب الكذب وهو المواطأة مرتفع فيها . ومجيء المسيح وصحة الانجيل والبرهان على صحته من الوجه الثاني وذلك أن أمم العالم بأسره من النصارى وهم مختلفو اللغات والملوك والهمم قبلته وغير ممكن أن تجتمع اطرافها [٣] على التصديق بها [٤] ولا تختلف ، واذا كان الامر على هذا فقد بان صحتها واضطُر الى قبولها بالبرهان الذي لا شبهة فيه ، فأيُّ سُنة تصفحتها من سنن العالم ومجيء أي نبي جاء الى العالم ترى قبوله والاستدلال على صحته من الضرب الاول وذلك ما اردنا بيانه [٥]

---

١) لو قال « لدى امم » لكان افصح

٢) في الاصل « وتوطأوا » وهو غلط لان البلاغة تقتضي اتباع نسق واحد في صيغ الافعال فلما قال « اذا اجتمعت امم . . » لزمه ان يقول « وتواطأت » فلو اراد ان يقول « وتواطأوا » اذاً لوجب عليه ان يقول « اذا اجتمع امم . »

٣) الضمير في « اطرافها » يعود على « امم العالم باسره »

٤) الضمير في « بها » عائد على كلمة « الاخبار »

٥) راجع ما مر بك في هذا الكتاب من البراهين على صحة الانجيل لايشوعياب بن ملكون ومقالة يحيى بن عدي في اثبات صدق الانجيل ـ وانظر المحاضرة الثالثة في رد من يتهم النصارى بتحريف الانجيل من « المشرع »

الثاني الافعال بأجمعها تنقسم قسمين إما عقل وإما جهل ، [٢٣] فكل شيء خرج عن العقل فهو داخل في الجهل وكل ما خرج عن الجهل دخل في العقل وكل شيء خرج عن حكم الجهل فهو عقل ، ولسنا نجد شيئاً مما أتى به السيد المسيح داخلاً في باب الجهل لكونه كمال الجود وتمامه فيكون خارجاً عن باب العقل ولا رأينا له شيئاً خارجاً عن باب العقل لبراءته من دواعي الرغبة والرهبة فيكون داخلاً في باب الجهل ، وهذا برهان اضطراري دالّ على قبول شرعه لكونه من باب العقل وخارجاً[١] عن حكم الجهل كما تبين في السبب الثاني

الثالث انهم دعوا الى الدخول في طاعته غير طالبين مجازاة من المدعوين [٢] عالمين أنهم يهدون لانفسهم الحياة الابدية باقتفاء أثره حتى انهم على ضعفهم ألقوا ما ألقوه من الهداية للناس الى معرفة وتوحيد بارئهم بغوامض ما أيدهم به بالبراهين الباطنة العقلية المطابقة الامور الظاهرة الشرعية التي دعت الملوك الفضلاء وذوي النباهة من العقلاء الى امتثال قولهم واحتذاء حذوهم والتمسك باوامرهم وهذا ما اردنا بيانه

الرابع من نبوات الانبياء على الاعتقاد فيه وكيفية تصرفاته وصدق شريعته وأنها ناسخة غير منسوخة وغير ذلك مما اقتصرُ منه [٣] على [٤] ما

---

١) في الاصل : وخارج
٢) في الاصل : المدعين
٣) في الاصل : منها
٤) سقط في الاصل : على

School of Oriental Studies
The American University at Cairo

اختُصر لفظه وغزر معناه وهو ستة ابواب : احدها من قول داود في مزمور ستة وثمانين : « انسان ولد فيها وهو العلي الذي أسسها »[١]، الثاني من قول ميخا على مولده في بيت لحم وازليته : « وانت يا بيت لحم لست بحقيرة في ملوك يهوذا لأنه منك يخرج المدبر الذي يرعى شعبي اسرائيل الى [٢٤] دهر الداهرين وهو من قبل أن تكون الدنيا »[٢]، الثالث من قول اشعيا على ولادته من عذراء : « يعطيكم الرب آية ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل[٣] » ، الرابع من قول اشعيا دالاً على اتضاعه وفقره وكون حكمه بالبر والتقوى : «هوذا فتاي الذي سررت به يجعل الحكم في الارض بالحق والعدل ، ولشريعته تنتظر الامم روح الرب عليه وهو يبشر المساكين ويعزي الباكين »[٤] ، الخامس من اشعيا في معجزاته والاهيته[٥] : « تقوي ايتها الايدي الضعيفة واستمسكي ايتها الركب المرتعدة »[٦] ويقول لضعفاء القلوب : « لا تضعفوا وتقووا فان الاهكم السماوي قد ظهر الاله الجبار وهو يجيء ليخلصكم وهنالك تنفتح اعين العميان وتسمع آذان الصمّ وتقفز العرج كقفز الايّل وتنبسط ألسنة

---

١) سفر المزامير ٨٦ : ٥
٢) نبوءة ميخا ٥ : ٢
٣) نبوءة اشعيا ٧ : ١٤
٤) نبوءة اشعيا ٤٢ : ١ ثم ٦١ : ١ و ٢
٥) يريد : الوهيته
٦) نبوءة اشعيا ٣٥ : ٣

الخرس [١] » ، السادس من ارميا في أنه يُحدث سُنَّة جديدة : « في ذلك الزمان يقيم الرب لكم سنة جديدة لا كالسنة التي خرجتم بها [٢] من ارض مصر » [٣]

« السبب الرابع في أن يكون آخر الامر موافقاً لأوله وأن يكون في ما يحدث بعد صحة ما قد سلف مما لا يُشكّ فيه » ويتضمن اربعة بيانات :

الاول الشريعة في الاصل طريق رشيد ومسلك حميد يرد على يد بعض الانبياء ليجري السيرة الانسانية في الدنيا على النظام فينالوا [٤] الفوز في الآخرة ، والشريعة تنقسم الى شريعة العدل وشريعة الفضل : وشريعة العدل تأمر بالقصاص واستيفاء الحقوق في اوقاتها من غير مسامحة فيها والاخذ بها للمظلوم من الظالم في أوانه ، وشريعة الفضل تأمر بالاحتمال والاعفاء والصفح والتجاوز والإفضال على ابناء الجنس ومساواتهم بالنفس. والسبب [٢٥] الذي لاجله صارت الشرائع شريعتين هو أن الشريعة الأولى [٥] تأمر بالحق والحث على استعماله والحق هو احد الضربين المذكورين ، والشريعة الثانية افضل من الأولى وزيادة عليها وذلك أن المفضل قد استعمل العدل وزاد عليه ، والشريعة الاولى هي التي بها أتى

١) نبؤة اشعيا ٣٥ : ٤ و ٥ و ٦
٢) سقط في الاصل : بها
٣) نبوءة ارميا ٣١ : ٣١ و ٣٢
٤) يعني : الناس
٥) سقط في الاصل : الاولى

موسى ومَن بعده من الانبياء عليهم السلام ، وأما الثانية فهي التي أوردها سيدنا المسيح . ولأن الاكمل ضرورة [١] يجب أن ينسخ الانقص نسخت شريعة سيدنا المسيح ما تقدمها فأما هي فلا يجوز نسخها لأنه لا شيء أفضل منها لأن ما تقدمها يجري مجرى الرياضة وأما هي فلا يجوز نسخها فانها الكمال والغاية اذ كان لا شيء افضل من طريقة التفضل والاحسان والاحتمال ، ولهذا ما خُصت الشريعة الأولى ببني اسرائيل حسب لأن الامم قد كان [٢] في قدرتها أن تسنّ لنفوسها سنة عدل ، فأما سنة الفضل فلم تقوَ العقول البشرية على توهمها فضلاً عن الانقياد لها ولهذا ما عمّت العالم بأسره . فالسنة الأولى لم تبطل بأسرها عند ورود السنة الثانية لكنها انقسمت ثلاثة اقسام : قسم نسخته الشريعة الثانية وأبطلت ظاهره اصلاً وعوضت استعمال باطنه فضلاً وهو كالذبائح بالقرابين وطهور الاجسام بطهور القلب وحفظ السبت بفعل اكثر منه على الوجه الذي كان يُحفظ ، وقسم بقي على حاله كالاقرار بالله والاكرام للوالدين وما اشبه ذلك ، وقسم لم يبقَ [٢٦] على حاله ولم يبطل لكن زيد عليه زيادة كملته كالغفران للمذنب المأمور [٣] بالاقتصاص منه . ففي هذا بيان أن [٤] الشريعة الثانية موافقة للشريعة الأولى وأن آخر الامر مما هو في الشريعة الثانية ما هو

١) لو وضع « ضرورة » بعد « يجب » لكان أولى
٢) في الاصل : كانت
٣) في الاصل : المأمور كان بالاقتصاص منه
٤) سقط في الاصل : ان

مصحح لما قد سلف من الشريعة الأولى مما لا شك فيه من المعجزات والافعال بأسرها

الثاني معلوم أن الشريعة مصلحة للناس وأنها تختلف بحسب الازمان والبلدان ، والحقيقة التي هي حقيقة في نفسها لا تختلف ابداً لأنها مأخوذة من نفس الشيء لا بحسب قياسه الى آخر ، فلو كانت الشريعة القديمة هي الشريعة الحقيقية لم تنقض ولما انتقضت لم تكن حقيقية، لأن الشيء الثاني يأتي فيصدّق الاول و يعظمه أو يورد خلاف قوله و يصرف الناس عن الاتباع والتصديق بحقيقة ما قاله و يأخذهم بالقول بغيره . فلما انتقضت الأولى بهذا الرأي ثبت أنها غير حقيقية لما تضمنته [1] من الانتظار لغيرها الحقيقية التي لا تنتقض لأنها قد احتوت على قضايا العقل وأحكامه كما يوجبه الفطرة والبحث وقضايا العقل على ما توجبه أحكام الشريعة الأولى والفضلِ على ما يوجبه الكمال الوجودي الحقيقي فلا غاية بعدها تُنسخ بها ولا نهاية وراءها تنتظر من أجلها [2]

الثالث أما أوائل [3] أمور السيد فانها مضاهية لاواخرها ، وآخر افعاله احتماله الصلب والآلام وموته على الصليب وطلوعه من القبر وهو [٢٧]

---

١) في الاصل : تتضمنه

٢) راجع ما جاء في هذا المعنى لابن زرعة ص ٢٢ وص ٥٥ وما بعدهما من هذا الكتاب واقرأ المحاضرة السابعة من « المشرع »

٣) في الاصل : أول

مختوم مضاهٍ لمبتدإٍ اتحاده وهو كونه من عذراء وخروجه منها وهي بحالها ، وصحة ما قد سلف قد ثبتت في ما تقدم من البيانات عدة طرق وهي افعاله ومعجزاته وصحة مجيئه وصحة الكتاب المقبول عنه وشريعته . وأما مطابقة ذلك لما يحدث مما لم يُشكّ فيه فانه وعد التلاميذ بارسالهم لكرازة [١] الامم وأعلمهم أنهم يكونون كالحملان بين الذئاب وأنه يخرق العادة على أيديهم ، فالتمسوا تحقيق ذلك فوعدهم وأمرهم بالجلوس في العلّية بصهيون وأعلمهم أنه ينفذ اليهم البارقليط روح الحق المعزي فكان وحلّ عليهم ونطقوا بالألسن المختلفة واللغات المتباينة وأعطاهم قدرة على الامور قبل كونها وبانت منهم الافعال الكثيرة وتمت على أيديهم الدعوة الغزيرة وفي الانجيل من ذلك كثير [٢]

الرابع قال في الانجيل المقدس : « كونوا رحومين [٣] كابيكم السماوي لانه رحوم [٤] يُحدر قطره على الاخيار والاشرار ويشرق شمسه على الابرار والفجار » [٥] وقال : « أحسنوا الى من أساء اليكم أحبوا مبغضيكم باركوا على لاعنيكم » [٦] وقال : « إن أخطأ اليك اخوك في النهار سبع [٧] مرار

---

١) كلمة سريانية معناها : التبشير

٢) اقرأ ص ١٤٨ وما بعدها من « المشرع »

٣ و٤) لم ترد في كتب اللغة « رحوم » بمعنى « رحيم » فينبغي له أن يقول « كونوا رحماء (جمع رحيم) كابيكم السماوي لانه رحيم . . »

٥) انجيل متى ٥ : ٤٥

٦) انجيل متى ٥ : ٤٤

٧) في الاصل : سبعة

فاغفر له فاستعظم التلاميذ ذلك فقالوا : سبع مرات يارب ؟ فقال : لا سبع [١] فقط ولكن سبع [٢] في سبعين » [٣] وقال لهم : « متى عملتم هذا علم الناس أنكم تلاميذي » [٤] لأنه قد طابق فعلي وكان آخر الامر من افعالكم موافقاً لمبادئه من افعالي ، وكان من افعاله استغفاره لصالبيه وغيرذلك مما ساوى القول بالفعل والفعل [٢٨] بالارادة والارادة عقد القوة والضمير كقوله : « من افعالهم تعرفونهم [٥] هل يجيء من الشوك عنب أو من الحسك تين ؟ » [٦] وفي هذا بيان مقنع لمن أنصف من نفسه وعند هذا البيان يتم ما أردنا بيانه والمجد لله الى أبد الآبدين آمين . [٧]

اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صوابه
٦٨	١٤	لمبلغ	المبلغ
١١١	٧و٨	في تثليث الاتحاد	في التثليث والاتحاد

---

١ و ٢) في الاصل : سبعة
٣) انجيل متى ١٨ : ٢١ ، ٢٢
٤) انجيل يوحنا ١٣ : ٣٥
٥) في الاصل : تعرفوهم
٦) انجيل متى ٧ : ١٦
٧) اقرأ ص ٢٠٣ وما بعدها من « المشرع »

فهرس الاسفار التي استشهد بها اصحاب هذه المباحث

الانجيل الشريف صفحة ١٠ ، ١١ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٥٨ ، ٥٨ ، ٥٨ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١١٩ ، ١١٩ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٣ ، ١٧٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٤ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠

اعمال الرسل ١٧٦

رسائل بولس الرسول ١٢٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٠

رسالة يعقوب الرسول ١٢٢

التوراة ١٥٣

سفر الامثال ١٧٥

سفر التكوين ٣١ ، ٣١ ، ٤١ ، ١٢١ ، ١٧٤ ، ١٧٤

سفر الخروج ١٦٣

سفر العدد ١٥٩

سفر المزامير ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٦٠ ، ١٩٥

نبوة ارميا ٣٠ ، ١٩٦

نبوة اشعيا ٣١ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٤٣ ، ١٩٥ ، ١٩٥ ، ١٩٥ ، ١٩٦

نبوة باروك ٤٤

نبوة حزقيال ٤٦

نبوة دانيال ٣٢ ، ٣٣
نبوة ميخا ١٩٥
القرآن ١٥٣
كتاب الاخلاق لارسطو ١٣٣
كتاب اوائل الادلة لابي القسم عبد الله بن احمد البلخي ٥٢
كتاب جوامع السياسة لجالينوس ٣٥
كتاب الرد الجميل للغزالي ١٧٧ ، ١٧٨
كتاب منافع الاعضاء لجالينوس ١٣٢
مقالة في ان ليس في كل زمان ولا لكل احد ينبغي ان نفاوض في الامور الالهية لغريغوريوس اللاهوتي ١٠
مقالة في الابن له ايضاً ١٧
ميمر الميلاد له ايضاً ١٤٦

فهرس الرجال

ابجر صاحب الرها صفحة ١٦١
ابو الخير الحسن بن سوار ٧٠
ابو الخير داود بن موشج ٤٧ ، ٤٩
ابو زكريا يحيى بن عدي ٦٨

ابو زيد حنين بن اسحق ١٨٦
ابو القسم عبد الله بن احمد البلخي ٥٢
ارسطاطاليس الفيلسوف ١٠٧ ، ١٣٣
الاسكافي ٦٥ ، ٦٧
افلاطون الفيلسوف ٣٥ ، ٧٤
باسيليوس الكبير ١٣٧
برماري السليح ١٦١
بشر بن فنحاس بن شعيب الحاسب ١٩
بطرس الرسول ١٥٩
جالينوس الطبيب ٣٥ ، ١٣٢
ديونيسيوس القديس والفيلسوف ١١ ، ١٣٦ ، ١٣٦ ، ١٣٨
سيمون الساحر ١٥٩
غريغوريوس اللاهوتي ١٠ ، ١٧ ، ١٤٦ ، ١٤٧
غريغوريوس النيصي ١٣٤ ، ١٤٥
الغزالي ١٧٧ ، ١٧٨
فرفوريس ٣٦
قسطنطين الملك ١٥٩
محمد نبي المسلمين ٥٥
موسى النبي ٨ ، ٢١ ، ٦٣ ، ١٩٧
هيرودس الملك ١٢٤
يشوع بن نون ١٥٩

يعقوب ابو الاسباط ١٦٠
يوحنا الدمشقي ١٣٤
يوسف بن يعقوب ١٦٠

فهرس الفرق

اصحاب صابليوس صفحة ١٠٢
الدهريون ١٥٤
الصابئون ١٥٤ ، ١٦١
المانوية ١٠٢
المجوس ٣٧ ، ١٥٤
المرقيونية ١٠٢
المشبهة ٥٢
المعتزلة ١١٣
المعطلة ١٥٤
الملكية ١٠٢ ، ١١٨
النسطورية ١٠٢ ، ١١٨
اليعقوبية ١٠٣ ، ١١٧

فهرس الكتاب

صفحة

توطئة للناشر ٣

مقالة في التثليث لابي علي عيسى بن اسحق بن زرعة ٦

« في المواضع التي فيها الخلاف بين اليهود والنصارى له ايضاً ١٩

« في المواضع التي فيها الخلاف بين المسلمين والنصارى له ايضاً ٥٢

« في امر العقل وتمثيل الآب والابن والروح القدس بالعقل والعاقل والمعقول له ايضاً ٦٨

« في حدوث العالم ووحدانية الخالق وتثليث اقانيمه لايليا مطران نصيبين ٧٥

« في وحدانية البارىء تعالى وتثليث اقانيمه لسمعان بن كليل ١٠٣

« في التثليث والاتحاد لابن العسال ١١١

« في شرح اعمال السيد المسيح وتقسيمها له ايضاً ١٢٢

« في الرد على قضايا شتى يجحدها الناس ويكثرون من البحث عنها لعبد الله بن الفضل الانطاكي ١٣١

« في وجود الخالق وكمالاته لدانيال بن الخطاب ١٤٨

« في البراهين على صحة الانجيل لايشوعياب بن ملكون مطران نصيبين ١٥٢

« في الادلة على صحة الانجيل له ايضاً ١٥٥

« في رد من يتهم النصارى بعبادة الاصنام من حيث انهم يسجدون للصليب ويكرمون الصور له ايضاً ١٥٨

مقالة في القيامة العامة له ايضاً ١٦٦
« في اثبات صدق الانجيل لابي زكريا يحيى بن عدي ١٦٨
« في اختلاف لفظ الاناجيل ومعانيها له ايضاً ١٧١
« في قولنا : تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء له ايضاً ١٧٢
« في رد المسلمين وادحاض ما يفتئتون على النصارى من الاعتقاد بثلاثة آلهة لابي الخير بن الطيب ١٧٦
« في العلم والمعجز لابي الفرج عبد الله بن الطيب ١٧٩
« في كيفية ادراك حقيقة الديانة لحنين بن اسحق وشرحها ليوحنا ابن مينا ١٨١
اصلاح غلط ٢٠٠
فهرس الاسفار التي استشهد بها اصحاب هذه المباحث ٢٠١
فهرس الرجال ٢٠٢
فهرس الفرق ٢٠٤

A la mémoire de mon père
Abdallah
décédé à Alep le 2 Octobre 1915
à l'âge de 63 ans
je dédie cet ouvrage

Ces traités se trouvent consignés dans divers manuscrits de ma Bibliothèque, dont les dates s'échelonnent du XI[e] au XVIII[e] siècle.

La nomenclature des traités publiés dans le présent ouvrage démontre que ces écrits, tous d'une importance primordiale, forment un exposé philosophique serré de la religion chrétienne.

Le style de ces différents auteurs prouve par sa pureté que la langue arabe, devenue alors en Orient la langue nationale, était maniée avec une aisance admirable et servait à l'apologie de la religion chrétienne.

Je me suis efforcé de corriger les erreurs des copistes pour offrir le texte original tel qu'il est sorti de la plume de ces auteurs, en indiquant en notes les dites erreurs.

Quant aux notes biographiques des auteurs et les descriptions des manuscrits, où j'ai puisé ces documents, il m'a semblé plus opportun de les inscrire en note au début de chaque traité.

J'ai fait également ressortir dans mes notes les idées qui offrent des points de comparaison avec d'autres ouvrages similaires déjà publiés.

J'espère que ces publications auront bon accueil : les Orientalistes pourront mieux connaitre les grands penseurs arabes chrétiens. Les Orientaux y trouveront un stimulant pour imiter leurs ancêtres dans l'amour et la défense de la religion.

Le Caire, le 5 Mars 1929

Paul Sbath
Prêtre Syrien

6° De l'unité du Créateur et de la Trinité de ses personnes, par Ibn Kolaïl, écrivain copte du XII[e] siècle.

7° De la Trinité et de l'union hypostatique en N.S. Jésus-Christ, par Ibn-el-Assal, grand savant copte du XIII[e] siècle.

8° De l'explication des actes de N.S. Jésus-Christ et de leurs divisions, par le même auteur.

9° De la démonstration de plusieurs questions controversées et faisant l'objet de curieuses recherches, par Abdallah ben el-Fadel el-Antâki, melkite mort en 1052.

10° De l'existence du Créateur et de ses perfections, par Daniel ibn el-Khattâb, jacobite du XIV[e] siècle.

11°12° Des arguments et des preuves de la véracité de l'Evangile, par Yéshuyyab ben Malkoûn, évêque nestorien de Nisibe décédé en 1256.

13° De la réfutation de ceux qui accusent les chrétiens d'idolâtrie, parcequ'ils vénèrent la croix et les images, par le même auteur.

14° De la résurrection générale, par le même auteur.

15° De la véracité de l'Evangile, par Yahia ben Adi, grand philosophe jacobite mort en 974.

16° De la différence des termes employés par les Evangélistes et de leur portée, par le même auteur.

17° De l'expression "Il a été conçu du Saint-Esprit et né de la Vierge Marie", par le même auteur.

18° De la réfutation des musulmans qui accusent les chrétiens de croire en trois dieux, par Abou'l Khaîr ben Attayeb, écrivain jacobite du XI[e] siècle.

19° De la science et du miracle, par Abou'l Faraj Abdallah ben Attayeb, philosophe nestorien décédé en 1043.

20° De la façon de comprendre la vérité de la religion, par Honéin ben Ishaq, médecin et philosophe nestorien décédé en 873. Suit l'explication du dit traité, par Yohanna ben Mina, écrivain copte du XII[e] siècle.

Avant-Propos

En recueillant les manuscrits, mon but a été surtout de conserver les précieux vestiges du Christianisme en Orient.

J'ai eu la chance d'acquérir plusieurs ouvrages anciens, comme on peut le constater par le Catalogue paru dernièrement.

J'ai résolu d'imprimer les plus importants de ces ouvrages. L'an passé, j'ai publié un Traité d'Ibn-el-Ibri sur l'âme. J'ai maintenant la satisfaction de livrer au public vingt traités dûs à douze différents auteurs, qui ont vécu entre le IX^{e} et le XIV^{e} siècle. Ils appartiennent aux trois grandes confessions qui se disputaient alors l'Orient: la Melkite, la Nestorienne et la Jacobite.

Voici le détail de ces traités:

1° De la Trinité, par Ibn Zarâa, grand savant jacobite décédé en 1007.

2° Des principales questions discutées entre les chrétiens et les juifs, soit: l'abrogation de la loi de Moïse, la venue du Messie, la Trinité, l'union hypostatique en N.S. Jésus-Christ et la résurrection générale, par le même auteur.

3° Des différends existants entre chrétiens et musulmans à propos de la Trinité, de l'Incarnation et de la prophétie de Mahomet, par le même auteur.

4° De la raison et de la comparaison du Père, du Fils et du Saint-Esprit avec la raison, le raisonnant et le résonné, par le même auteur.

5° De la création du monde, de l'unité de son Créateur et de la Trinité de personnes dans le Créateur, par Elie, évêque nestorien de Nisibe décédé en 1049.

S.05

9237

Vingt Traités

Philosophiques et Apologétiques

d'Auteurs Arabes Chrétiens

du IX^{e} au XIV^{e} siècle

Publiés pour la première fois

et annotés par le

P. Paul Sbath

School of Oriental Studies
of
The American University at Cairo

Cairo 1929
H. Friedrich et Co
Libraires - Editeurs
(Boîte Postale 1905)

Imprimerie Syrienne Héliopolis

A la même librairie

Ouvrages du R. P. PAUL SBATH

المشرع

(La Source)

Discours prononcés en Egypte, Syrie et Palestine, en vue de rapprocher les musulmans des chrétiens. Arabe très classique.
210 pages in 8° ; 1924 - Prix 2 Sh.

BIBLIOTHEQUE DE MANUSCRITS PAUL SBATH

Catalogue en deux Tomes in 8° contenant la description en français de 1125 volumes manuscrits.
Tome I. 204 pages; 1928 - Prix 5 Sh.
Tome II. 252 pages; 1928 - Prix 5 Sh.

الروضة الطبية

(Le Jardin Médical)

Par Ubaîd - Allah Ben Gibraîl Ben Bakhtichoû, chrétien décédé en 1058. Texte arabe publié pour la première fois et annoté par le **P. SBATH**
73 pages in 16° ; 1926 - Prix 2 Sh.

مختصر في علم النفس الانسانية

(Traité sur l'Âme)

Par Bar-Hebraeus mort en 1286. Texte arabe publié pour la première fois et annoté par le **P. SBATH**
65 pages in 8° ; 1928-Prix 2 Sh.

مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية

Vingt Traités philosophiques et apologétiques d'anciens auteurs chrétiens. Textes arabes publiés pour la première fois et annotés par le **P. Sbath**
216 pages in 8° ; 1929 - Prix 5 Sh.

15 OCT 1987

AUC - LIBRARY

DATE DUE

A.U.C. 15 JUL 1995	
A.U.C. 7 JAN 1999	

A.U.C.
15 JUL 1995
A.U.C.
7 JAN 1999

6·12868243
π·14447149

51088

B
741
S7x
1929

main

0 0 0 0 0 0 0 5 1 0 8 8

B 741 S7x 1929/c.1

15 OCT 1987